إحياء علوم الدين

للإمام الغزالى

وبهامشه

نور اليقين

فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين فى عصره

محمد الحافظ عبد اللطيف سالم التجانى

بتخريجى

الحافظ زين الدين العراقى و السيد مرتضى الزبيدى

يطلب من
الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة
المغربلين عطفة الدالى حسين " ٩ "
تلغرافيا: هيليار القاهرة ت ٩٣٩٣٧٩

رقم الإيداع: ١٨٥٩ - ١٩٨٢

المطبعة النموذجية
سكة الشابوري تليفون ٩١٩٣٧٧

كلمة لجنـــة التصحيح

من المعروف للعامة والخاصة أن كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالى هو عمدة رجال التصوف فى العالم الإسلامى على مر العصور .

وقد قام الحافظ العراقى بتخريج أحاديث هذا الكتاب الجليل ، ولكنه ضعّف كثيراً منها ، وهو الأمر الذى حدا ببعض القوم إلى الغض من قدر الكتاب .

ثم قام السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى بتعقب تخريج الحافظ العراقى ونقل أغلب الأحاديث من الضعف إلى الصحة فى كتاب أسماه « إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » بالإضافة إلى شرح الكتاب كما يؤخذ من هذا العنوان .

وهذه خدمة جليلة أسداها السيد مرتضى الزبيدى لكتاب الإحياء ، ولكنها جاءت فى عشرة أجزاء ضخمة يصعب على الباحث اقتناؤها .

وقد قام العلامة الكبير ، شيخ المحدثين فى العصر الحديث ، فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى رحمه الله تعالى وطيب ثراه ، بمراجعة جميع تخريجات السيد مرتضى الزبيدى .

وبعد أن اطمأن إلى أنها خير مرجع لتخريج أحاديث الإحياء ، كلّف أحد تلاميذه كتابة كل حديث وارد فى الإحياء ، مع تخريج الحافظ العراقى ، وتعقيب السيد مرتضى الزبيدى عليه .

وقد تم بحمد الله كتابة ٤٥٤٦ ستة وأربعين وخمسمائة وأربعة آلاف حديث بتخريج كل من الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ، حيث أصبحت سنداً قوياً يؤيد أن أغلب الأحاديث الواردة فى كتاب الإحياء صحيحة، ولها أساس فى كتب السنة .

وقد تمنى شيخ المحدثين فى عصرنا العلاّمة محمد الحافظ التجانى قبل وفاته أن يعاد طبع هذا الكتاب متضمناً الأحاديث الشريفة ، بتخريج كل من الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ، لتكون مرجعاً لكل رجال التصوف وعلماء الحديث ، ودليلاً على أن حجة الإسلام الغزالى لم يورد فى كتابه أحاديث موضوعة أو لا أساس لها فى كتب السنة .

وإنا لنرجوا بعون الله تعالى أن تتحقق هذه الأمنية الغالية ، والله هو الموفق والمعين ؟

لجنة التصحيح

أحمد محمد الحافظ التجانى — أمين محمود الشريف

عبد الرحمن حسن محمود — محمد أحمد محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة على سيد الخلق رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد رسول رب العالمين رحمة للعالمين ﷺ

لقد أوحى الله عز وجل إلى رسوله ﷺ :

« يا أيها المدثر قم فأنذر » فأطاع ﷺ ربه، وقام على الصفا ونادى قومه، وخطب فيهم، وسألهم : أو لو أخبرتكم أن قوما سيغزونكم خلف هذا الجبل ، أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا . ونادى فيهم المعصوم الميمون : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناسَ ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، ووالله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم .

من هنا ، فى هذا المكان ، وهذا الزمان ، انطلقت دعوة الحق ، ودعوة النور التى محا الله بها ظلمات الضلالة ، وظلم البشر للبشر .

لقد كانت الإنسانية مكبلة بقيود التقليد والتقاليد . قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » (1) .

وقال تعالى : « وتنذر به قوما لدا » (2) .

وهذا يدل على أنه ﷺ أمره ربه أن يبلغ أمر الله للعالمين : من آمن به ومن لم يؤمن .

وقد أخبرنا الله عز وجل أن الأمم غيرت وبدلت . قال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » (3) .

وقد شهد التاريخ بتحريف الرسالات .

فأين الوحى الذى أنزل على المسيح عليه السلام ، وبلّغه قومه ، وخرج من بين شفتيه ؟ وداود وموسى والأنبياء ، وما يوجد فى كتبهم الآن يُعد من كتب السيرة والتاريخ . لقد ضاعت أصول هذه الكتب عبر التاريخ .

---

(1) سورة البقرة ١٧٠ (2) سورة مريم ٩٧ (3) سورة البقرة ٧٩

وخذ مثلا الأناجيل ، وهى كتب أجمع أهل العلم — حتى المسيحيون منهم — على أن قوما كتبوها ، فلان وفلان ، فليست من الوحى الذى أوحى الله إلى المسيح عليه السلام وبلغه قومه ، وخرج من بين شفتيه — وهذا هو حقيقة الإنجيل الذى أمرنا الله ورسوله بالإيمان به — ولاهى من تأليفه عليه السلام حتى تعتبر حديثاً ، غير خطبة الجبل وبعض كلامه فى خلال سرد تاريخ حياته وسياقه .

وهلم إلى كتاب الله عز وجل ، فقد تكفل الله بحفظه وقال عنه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فكأنما نسمعه من الذات المقدسة كفاحا . وقال فيه أيضا : « واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم » .

وقال أيضاً : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

وانظر معنى أقوم : فليس مستقيما فحسب ؛ بل هو أعدل وأفضل .

ورسالة الرسل جميعاً جزء من رسالته ﷺ ، وأولى أن يندرج فى رسالته ما كان دون دعوة الرسل من المبادىء الصالحة التى يدعو إليها الحكماء والمصلحون .

وتكفل الله تعالى بحفظ كتابه يستلزم حفظ بيان الرسول ﷺ له ، فليس المراد تبليغ ألفاظ القرآن مجردة عن مقاصدها ، وقد قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » :

فإذا كان المقصود تبليغ القرآن وبيانه ، فقد حفظ الله عز وجل رسالته إلى الناس ، وحفظ بيان هذه الرسالة التى قام بها رسول الله ﷺ وقد أرسل رسول الله ﷺ رسله إلى الآفاق ، لدعوة الأمم إلى ما كلفه به سبحانه وتعالى ، فإنه أرسل إلى الأمم قاطبة إلى قيام الساعة . قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا » .

أمر الله بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله »[1] وقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول »[2] .

« ومن يطع الرسول فقد أطاع الله »[3] .

(١) سورة النساء آية ٦٤ (٢) سورة النساء آية ٥٨ (٣) سورة النساء آية ٨٠

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما »[1] .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »[2] .

« قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعونى يحببكم الله »[3].

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »[4] .

ومعنى قول الله تعالى فى هذه الآية الشريفة « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » أى ائتسوا برسول الله ﷺ ، واقتدوا به ، فهو المثل الأعلى للكمال الإنسانى .

فلا بد من معرفة بدايته ﷺ ، وسيرته ، ومكارمه ، وما أنعم الله به عليه فى حياته ، من حيث هو فرد ونبى ورب أسرة وأب وأخ ، وداع إلى الله ، وصراط مستقيم ، ونور وبرهان من ربه ، وقائد وحاكم فى حربه وسلمه ، وعباداته ومعاملاته ، من حيث هو قدوة ونبراس ومشرّع للعالمين ، فى كل زمان ومكان ، وخاتم النبيين .

ولم يحدد الحق تبارك وتعالى طاعة رسوله ﷺ بحد ، لأنه رسول الله ، قد ائتمنه على رسالته . ولم يقل ليطاع فى شىء دون شىء ، فإنه لا يأمر بما لا يرضى الله عز وجل ، فذلك مستحيل .

ومعنى : « إلا ليطاع بإذن الله » أى أطيعوه ، فهو أمر من الله بطاعته .

والطاعة هنا عامة : ولا يعقل أن يأمر الرسول ﷺ أمراً فنطالبه بنص من القرآن على هذا الأمر ، لأننا آمنا بأنه رسول الله ﷺ ، وأنه الصادق المصدوق ، وأنه لا يأمر إلا بما فيه رضاء الله تبارك وتعالى . والرسول ﷺ أعلم الخلق بكتاب الله ، وقد أنزل عليـــه وأمر ببيانه للناس .

والمؤمن لا يجوز له أن يفعل فعلا ، أو يقول قولا إلا إذا علم حكم الله فيه . فإن كان واجباً ، أتى به على سبيل الوجوب . وإن كان مندوباً أتى منه بما استطاع . وإن كان حراماً تركه . أو مكروهاً ابتعد عنه ما استطاع ، إلا إن كان هناك مصلحة تنتفى معها الكراهة . وإن كان مباحاً فهو مخيّر فى الفعل والترك ، على الأصول والقواعد المبينة فى شرع الله .

وإذا كان الحكم منصوصاً عليه فى كتاب الله عز وجل صريحاً ، فلا يحل لمؤمن أن يحيد عنه ، فإن لم يكن منصوصاً عليه فى كتاب الله ، فقد دلنا منزّل الكتاب سبحانه على ما بينه رسول الله ﷺ ، بقوله أو فعله أو إقراره ، لأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة ، فإن لم نجد نصاً عليه

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ — (٢) سورة الأحزاب آية ٣٦

(٣) سورة آل عمران آية ٣١ — (٤) سورة الأحزاب آية ٢١

فى كتاب الله ، ولا عن رسول الله ﷺ ، فقد دلنا منزل الكتاب سبحانه فى كتابه ، أن نرجع إلى أولى الأمر ، وهم الذين علموا كتاب الله ، وما جاء عن رسول الله ﷺ .

وقد بينهم الله عز وجل فى كتابه فقال عز شأنه : « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » (١) .

فأولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وجعل طاعتهم من طاعة الله ورسوله ، هم ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وعن على بن أبى طلحة عن ابن عباس « أولى الأمر منكم » يعنى : أهل الفقه والدين .

ومن أولى الأمر كذلك ، أمراء رسول الله ﷺ الذين أمرهم على السرايا فى البلاد ، وكذلك الأمراء الذين يأمرون بما أمر الله به ورسوله ، وما استنبطه أهل الفقه والدين علماء الأمة ورثة الأنبياء ، مما لم يرد فيه نص فى كتاب الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ ، ولكنه فرع عن أصل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (٢) .

فأوجب الله عز وجل على المؤمنين ، أن يحمل المتأهل منهم ، أصول الدين وفروعه عن الرسول المعصوم ﷺ ، ويبلغوا قومهم — إذا رجعوا إليهم — ما حفظوه عنه ﷺ ، وهم الطبقة الأولى الذين أخذوا عن رسول الله ﷺ مباشرة ؛ والذين أخذوا عنهم ولم يجتمعوا برسول الله ﷺ ، هم الطبقة الثانية بعد أصحاب رسول الله ﷺ ، وسماهم أهل العلم : التابعين ؛ لأنهم يندرجون فيمن تبع السابقين الأولين بإحسان ، ما عملوا بعملهم .

من لا يأخذ إلا بالقرآن

يجب عليه أن يأتى من القرآن بنص يأمرنا أن لا نأخذ بحديث رسول الله ﷺ

ومن يزعم أنه لا يأخذ بالسنة ، ويكتفى بالقرآن ، بأى مبرر استجاز ذلك لنفسه ؟ لا يستطيع أن يأتى بدليل من القرآن على تركه ما جاء عن رسول الله ﷺ ، وكان يجب عليه أن يأتى بنص صريح من القرآن ، أن لا نتبع الرسول ﷺ إلا فيما جاء صريحاً فى القرآن .

---

(١) سورة النساء آية ٨٢ (٢) سورة التوبة آية ١٢٢

وأن من يريد فهم القرآن لا يستطيع أن يفهمه كما ينبغي أن يفهم إلا إذا أحاط بأسباب النزول ، وفى الظروف والمناسبات التى نزل فيها ، فإن القرآن الكريم نزل بالتوالى مدة ثلاث وعشرين سنة ، فى أحوال خاصة ووقائع خاصة .

فكيف نستطيع أن نعرف معنى قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه »[1] ، إن لم نعرف سبب نزولها .

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ... »[2] .

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى »[3] .

وكيف نعرف قصر الصلاة ، وكيف نعرف معنى قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »[4] .

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ... الخ »[5] .

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكفّ أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون »[6] .

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : « سبح لله ما فى السماوات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار »[7] .

كيف نفهم هذه الآيات وغيرها إذا لم نعرف أسباب النزول ؟

لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى السنة

وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »[8] .

---

(١) سورة القيامة آية ١٦ — ١٧
(٢) سورة قد سمع آية ١ .
(٣) سورة النجم ١٣ — ١٤ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٣٦
(٥) سورة الأحزاب آية ٣٧ .
(٦) سورة المائدة آية ١١
(٧) سورة الحشر آية ١ — ٣
(٨) سورة النساء ٦٨ .

فهل حكّم أصحاب رسول الله ﷺ الرسول فيما شجر بينهم واختلفوا فيه ؟ وبماذا حكم رسول الله ﷺ ؟ وبماذا قضى ؟ بآبائنا هو وأمهاتنا . وقد أمر الله عز وجل أن لا يجد أصحابه ﷺ حرجاً مما قضى ويسلموا تسليما . فلا تردد فى ضمائرهم ، وإنما هو التسليم المطلق ، لأن معناه حق .

وهذه النابتة فى زماننا، ألا يجب عليهم أن يبحثوا عما قضى به رسول الله ﷺ بين أصحابه ، وأن لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضى ويسلموا تسليما ؟

أما المؤمنون فسيبحثون ، لأن قضاءه ﷺ نبراس وقضاء حق الأمة ، أولها وآخرها . ولا محيص من الرجوع إلى السنة فى ذلك ، فإن كان هؤلاء مؤمنين فليسيروا مع ركب الأمة ، وإلا فقد وسموا أنفسهم بالزيغ والخروج عن سبيل المؤمنين .

قال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »[1] .

من لم يأخذ بالسنة فقد كفر بالقرآن

قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »[2] .

والبيان هو التبليغ والإيضاح والشرح والإظهار ، فهل بين رسول الله ﷺ وأطاع ربه فى ذلك البيان ؟

فإن قالوا لم يبين فقد كفروا . وإذاً فقد بين بجميع وجوه البيان . فإن اعترفوا بذلك فالبيان هو السنة ، فلا يسعهم إلا الرجوع إليها كما رجع إليها المؤمنون .

روى الحاكم فى المستدرك عن الحسن قال : « بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا ﷺ ، إذ قال له رجل : يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن . فقال له عمران : أنت وأصحابك تقرأون القرآن ، أكنت محدثى عن الصلاة وما فيها وما حدودها ؟ أكنت محدثى عن الزكاة فى الذهب والإبل والبقر وأصناف المال ؟ ولكن قد شهدتُ وغبتَ أنت . ثم قال : فرض علينا رسول الله ﷺ فى الزكاة كذا وكذا ، فقال الرجل : أحييتنى أحياك الله . قال الحسن : فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين ، رواه الحاكم فى المستدرك[3] وصححه الحاكم وأقره الذهبى .

وقال رجل للتابعى الجليل مطرف بن عبدالله الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن . فقال له مطرف : والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، يريد رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة النساء آية ١١٥ (٢) سورة النحل آية ٤٤ (٣) كتاب العلم ج ١ ص ١٠٩

سنة رسول الله ﷺ صريحة في القرآن

قال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (١).

يتلو عليكم آياتنا : القرآن .

يزكيكم : يطهر نفوسكم من الجهل بالخالق المنعم ، وبكماله سبحانه ، وبما يجب له من التعظيم والطاعة ، ويطهر قلوبكم من مساوىء الأخلاق ، ويحليكم بمكارمها ، ويسمو بنفوسكم فتزداد علماً وتحلياً بالفضائل ، وقرباً من الحق سبحانه وتعالى قال تعالى لسيد الخلق : « واسجد واقترب » .

ويعلمكم الكتاب : القرآن .

والحكمة : قوله ﷺ حكمة ، وعمله ﷺ حكمة ، وتقريره ﷺ حكمة .

ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون : ويعلمكم بواسطته ﷺ ما لم تكونوا تعلمون إلا عن طريقه .

وروى الحاكم في المستدرك عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : ما أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه (٢) » . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي . وسند هذا الحديث رجاله رجال الصحيحين .

وقد رواه الحاكم أكثر من مرة بأسانيد أخر كلها يعضد بعضها بعضاً .

وأخرج في المستدرك أيضاً عن عبد الله بن صالح وابن مهدي كلاهما عن معاوية بن صالح ، حدثني الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معديكرب يقول : حرم النبي ﷺ أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الأهلي وغيره ، فقال رسول الله ﷺ : (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإنما حرم رسول الله كما حرم الله) (٣) . وسنده صحيح تؤيده الروايات السابقة . ومعاوية بن صالح بن حدير من رجال الصحيح ، والحسن بن جابر ذكره ابن حبان في الثقاة وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح من هذا الوجه .

---

(١) سورة البقرة آية ١٥١ .

(٢) المستدرك ج ١ ص ١٠٨ . (٣) ج ١ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

الصحابة والتابعون فى القرآن

قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم »(١) .

قوله تعالى : « ومن تبعهم بإحسان » تشمل من تبع السابقين الأولين من الصحابة وغيرهم ممن حمل علمهم وعمل بعلمهم .

وقد تبع أصحاب رسول الله ﷺ من أخذ عنهم عن رسول الله ﷺ ، وليس العهد ببعيد فما بينهم وبين رسول الله ﷺ إلا واسطة واحدة ، هم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ، لأنهم الذين عاشروا رسول الله ﷺ ورأوا هديه واهتدوا به ، ونظروا قضاءه وحكمه فيما اختلف الناس فيه .

وشهدوا أخلاقه وآدابه وأحواله ، وتصرفه فى السلم والحرب ، والمعاهدات وأمور الدنيا والآخرة . واستقى كل بقدر استمداده من ينبوع الفيض الربانى . وانعكس نوره ﷺ على أرواحهم وقلوبهم النقية الطاهرة ، فكانوا أبر خلق الله وأفضل الأمم . وهم أولى الأمة بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٢) .

وهؤلاء التابعون الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه ، وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه وأحكامه وسنن رسوله ﷺ وآثاره ، لحفظوا عن صحابة رسول الله ﷺ مانشروه وبثوه من الأحكام والسنن والآثار ، فأتقنوه وفقهوا فيه وعلّموه ، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه كما وصفهم الله عز وجل ونصبهم له :

« والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

محمد الحافظ التجانى

١٣١٥ — ١٣٩٨ هـ

١٨٩٨ — ١٩٧٨ م

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠ . (٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

الإمام الغـــزّالى

٤٥٠ – ٥٠٥ هـ

- هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسى : أبو حامد الغزّالى .
- حجة الإسلام ، ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام .
- جامع أشتات العلوم ، والمبرّز فى المنقول منها والمفهوم .

جرت الأئمة قبله بشأوٍ ، ولم تقع منه بالغاية ، ولم يقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحاب النهاية والبداية .

جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بجلاد مقاله ، ويحمى حوزة الدين ، ولا يلطخ بدم المعتدين حدّ نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العُرى ، وانكشفت غياهب الشبهات ، إذ ماكانت إلا حديثاً مفترى .

- هذا ، مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، وتجريد تَراه به وقد توّحد فى بحر التوحيد .
- ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله يعامله فى سره وجهره .
- وُلد بطوس سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة .
- كان أبوه فقيراً ، صالحاً ، لا يأكل إلا من كسب يده ، عمل فى غزل الصوف وبيعه فى دكانه بطوس ، وكان يطوف على المتفقهة ويجالسهم ، ويتوفر على خدمتهم ، ويجدّ فى الإحسان إليهم ، والنفقة بما يمكنه عليهم .

وكان إذا سمع كلامهم بكى ، وسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً ، ويجعله فقيها ، فاستجاب الله دعوتيه .

ولما حضرته الوفاة أوصى بمحمد وبأخيه أحمد إلى صديق له من أهل الخير ، وقال له : إن لى لتأسّفاً عظيما على تعلم العلم ، وأشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدَىَّ هذين ، فعلّمهما ، ولا عليك أن تنفد فى ذلك جميع ما أخلّفه لهما .

- فلما مات أقبل الصديق على تعليمهما ، إلى أن فنى المال القليل الذى خلّفه لهما أبوهما ، وتعذر عليه القيام بقوتهما ، فنصحهما بالالتحاق بمدرسةٍ من تلك المدارس التى تُقدِّمُ لطلاب العلم

الغذاء والكساء ، وكان الغزالى يحكى هذا ، ويقول :

طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله .

• وقد كان أبو حامد أفقه أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وفارس ميدانه ، كلمته شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيتها المعادى والمخالف .

• وأما أحمد فكان واعظاً تنفلق الصم الصخور عند استماع تحذيره ، وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره .

• قرأ فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكانى ، ثم سافر إلى جرجان ، — إلى الإمام أبى نصر الإسماعيلى — وعلّق عنه « التعليقة » ثم رجع إلى طوس .

• قال الإمام أسعد الميهنى : سمعته يقول :

قطعت علينا الطريق ، وأخذ العيارون جميع ما معى ، ومضوا فتبعتهم ، فالتفت إلىّ مقدمهم ، وقال : ارجع ويحك ، وإلا هلكت .

فقلت له : أسألك بالذى ترجو السلامة منه ، أن ترد علىّ تعليقتى فقط ، فما هى بشىء تنتفعون به .

فقال لى : وما هى تعليقتك ؟

فقلت : كتب فى تلك المخلاة ، هاجرت لسماعها ، وكتابتها ، ومعرفة علمها .

فضحك ، وقال : كيف تدّعى أنك عرفت علمها ، وقد أخذناها منك ، فتجردت من معرفتها ، وبقيت بلا علم ! ... ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلىّ المخلاة .

• قال الغزالى ، فقلت : هذا مستنطق ، أنطقه الله ليرشدنى به فى أمرى ، فلما وافيت طوس ، أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين ، حتى حفظت جميع ما علقته ، وصرت بحيث لو قطع علىّ الطريق لا أتجرد من علمى .

• قدم الغزالى نيسابور ، ولازم إمام الحرمين ، وجدّ واجتهد ، وكان رضى الله عنه شديد الذكاء شديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الإدراك ، قوى الحافظة ، غواصاً على المعانى الدقيقة ، جبل علم ، مناظراً محجاجاً ، برع فى المذهب ، والخلاف ، والجدل ، والأصلين ، والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم كل ذلك .

• وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها، وأجاد وضعها .

• لما مات إمام الحرمين خرج الغزالى إلى المعسكر ، قاصداً الوزير نظام الملك ، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم ، فناظر الأئمة العلماء فى مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، وولاه التدريس بمدرسته المسماة بالمدرسة النظامية ببغداد ، فقدم بغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ودرّس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه ، وكمال فضله ، وفصاحة لسانه ، ونكته الدقيقة ، وإشاراته اللطيفة ، فأحبوه .

• خرج إلى الحج سنة ثمان وثمانين فى ذى القعدة عازفا عن الدنيا ، رافضاً ما فيها من تقدم وجاه ، ودخل دمشق عام تسع وثمانين ، وزار بيت المقدس ، وجاور به مدة ، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، ثم رجع إلى طوس ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف من : ختم للقرآن ، والتدريس لطلبة العلم ، وإقامة الصلاة والصيام ، وسائر العبادات ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى بطوس يوم الاثنين رابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة .

• قال أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب « الثبات عند الممات » : قال أحمد أخو الإمام الغزالى : لما كان يوم الاثنين ، وقت الصبح ، توضأ أخى أبو حامد وصلى ، وقال : علىّ بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه ، وقال : سمعاً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه واستقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار ، رحمه الله [1] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ص ١٩١ ج ٦ بتصرف .

الحـــافظ العراقى

٧٢٥ – ٨٠٦ هـ

• هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن إبراهيم الكردى الرازيانى ، ثم المصرى الشافعى ، الإمام الأوحد ، العلاّمة الحجة الحبر الناقد عمدة الأنام ، حافظ الإسلام ، فريد دهره ووحيد عصره ، من فاق بالحفظ والإتقان فى زمانه ، وشهد له بالتفرد فى فنه أئمة عصره وأوانه : زين الدين أبو الفضل .

• قدم أبوه من بلدة رازيان من عمل إربل إلى القاهرة صغيراً فنشأ بها وخدم عدة من الفقراء منهم الشيخ تقى الدين القنائى ، فشاهد منه كرامات جمة ، ومكاشفات عدة .

• ولد عبد الرحيم فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، بمنشاة المهرانى - بين مصر والقاهرة - وأول ما سمع الحديث على سنجر الجاولى ، والتقى الأخنائى ، ثم سمع على ابن شاهد الجيش وابن عبد الهادى ، والتقى السبكى ، واشتغل بالعلوم ، وأحب الحديث فأكثر من السماع ، وتقدم فى فن الحديث بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة ، كالسبكى والعلائى ، والعز بن جماعة ، والعماد بن كثير وغيره ، ونقل عنه الشيخ جمال الدين الإسنوى فى المهمات ، ووصفه بحافظ العصر .

• وكذلك وصفه فى الطبقات (طبقات الحفاظ وذيولها) فى ترجمة ابن سيد الناس ، فقال: وشرح (يعنى ابن سيد الناس) قطعة من الترمذى نحو مجلدين ، وشرع فى إكماله حافظ الوقت زين الدين العراقى إكمالا مناسباً لأصله . انتهى . قال الشيخ الكوثرى : لم يكمله أيضاً العراقى .

• وله من المؤلفات فى الفن (الألفية) التى اشتهرت فى الآفاق ، وشرحها ، (ونكت ابن الصلاح) و (المراسيل) و (نظم الاقتراح) و (تخريج أحاديث الإحياء) فى خمس مجلدات ومختصره سماه (المغنى) فى مجلدة ، وبيض من (تكملة شرح الترمذى) كثيراً ، وكان أكمله فى المسودة أو كاد ، و (نظم منهاج البيضاوى) فى الأصول ، و (نظم غريب القرآن) و (نظم السيرة النبوية) فى ألف بيت ، وولى قضاء المدينة الشريفة .

• قال الحافظ ابن حجر : وشرع فى إملاء الحديث من سنة ست وتسعين ؛ فأحيا به سنة الإملاء بعد أن كانت دائرة ، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس .

• قال الحافظ : وكانت أماليه يمليها من حفظه ، متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية .

• قال : وكان الشيخ منوّر الشيبة جميل الصورة كثير الوقار ، نزر الكلام ، طارحاً للتكلف ،

لطيف المزاح ، سليم الصدر ، كثير الحياء ، قل أن يواجه أحداً بما يكرهه ولو آذاه ، متواضعاً ، حسن النادرة والفكاهة .

• وكان لا يترك قيام الليل ؛ بل صار له كالمألوف ، وكان كثير التلاوة إذا ركب ، وكان عيشه ضيقاً .

• قال رفيقه الشيخ نور الدين الهيثمي – صاحب مجمع الزوائد – : رأيت النبي ﷺ في النوم وعيسى عليه السلام عن يمينه ، والشيخ زين الدين العراقي عن يساره .

• مات ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة رحمه الله تعالى اه .

(انتهى بتصرف كلام الحافظ جلال الدين السيوطي من ذيله على طبقات الحفاظ للذهبي)

السيد محمد الزبيدى (الشهير بمرتضى)

١١٤٥ — ١٢٠٥ هـ

• قال عنه السيد عيدروس[1] : علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالأفهام ، الذى جاب فى اللغة والحديث كل فج ، وخاض فى العلم كل لُج ، ذو المعرفة والمعروف ، وهو العَلم الموصوف ، العمدة الفهامة ، والرحلة النسابة ، الفقيه المحدث ، اللغوى النحوى الأصولى ، الناظم الناثر : الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى ، الحنفى .

هكذا ذكر عن نفسه ونسبه .

• ولد سنة ١١٤٥ هـ خمس وأربعين ومائة وألف ، كما سمعته من لفظه ورأيته بخطه ، ونشأ ببلاده ، وارتحل فى طلب العلم ، وحج مراراً .

• واجتمع بالشيخ عبد الله السندى ، والسيد عمر بن أحمد بن عقيل ، وعبد الله السقاف ، والمسند محمد بن علاء الدين المزجاجى ، وسليمان بن يحيى ، وابن الطيب ، واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة ، وبالشيخ عبد الله ميرغنى الطائفى ، فقرأ على الشيخ عبد الله فى الفقه وكثيراً من مؤلفاته ، وأجازه ، وقرأ على السيد عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية ، وأجازه بمروياته ومسموعاته ، وقرأ عليه طرفاً من الإحياء ، ثم ورد إلى مصر فى تاسع من صفر سنة ١١٦٧ هـ سبع وستين ومائة وألف .

• وأول من عاشره وأخذ عنه السيد على المقدسى الحنفى ، وحضر دروس أشياخ الوقت ، كالشيخ أحمد الملوى ، والجوهرى ، والحفنى ، والبليدى ، والصعيدى ، والمدابغى ، وغيرهم ، وتلقى عنهم ، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه .

• ومن تصانيفه[2] :

١ — إتحاف السادة المتقين فى شرح إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى .

٢ — إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل آل بيته الطاهرين .

---

(١) انظر عقود اللآل فى أسانيد الرجال للسيد عيدروس بن عمر ص ٨٣ .

(٢) انظر هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (لإسماعيل باشا البغدادى) : المجلد الثانى (صفحة ٣٤٧ ، ٣٤٨ طبعة استنبول) .

٣ — إعلام الأعلام بمناسك بيت الله الحرام .

٤ — ألفية السَّنَد ومناقب أصحاب الحديث .

٥ — الانتصار لوالد النبي المختار .

٦ — بذل المجهود فى تخريج حديث « شيبتنى هود »

ومن أهم هذه الكتب وأكبرها :

٧ — « تاج العروس فى جواهر القاموس » فى عشر مجلدات . مطبوع بمصر .

٨ — الجواهر المنيفة فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة .

٩ — شرح الصدر فى شرح أسماء أهل بدر .

١٠ — رفع الشكوى لعالم السر والنجوى .

وله غير ذلك من المصنفات ما ينيف على الستين .

وتوفى رحمه الله فى يوم الأحد من شهر شعبان سنة ١٢٠٥ هـ

انتهى باختصار نقلا عن :

١ — عقود اللآل فى أسانيد الرجال للحافظ عيدروس بن عمر بن عيدروس الحسينى العلوى .

٢ — هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادى .

لجنة التصحيح

أحمد محمد الحافظ التيجانى — أمين محمود الشريف

عبد الرحمن حسن محمود — محمد أحمد سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولا حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين . وأصلى وأسلم على رسله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين . وأستخيره تعالى ثالثاً فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين ، وأنتدب لقطع تعجبك رابعاً العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف فى التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً فى نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب ، وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأساً من تمام التلافى والجبر وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه [١] « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه » ، ولعمرى إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير ، بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل ، فإن الأمر إدّ والخطب جد ، والآخرة مقبلة ، والدنيا مدبرة ، والأجل قريب ، والسفر بعيد ، والزاد طفيف ، والخطر عظيم ، والطريق سد ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد ، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغر منهم الزمان ، ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، واستغواهم الطغيان ، وأصبح

---

(١) حديث « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، أو لم ينفعه علمه » .
قال العراقى : رواه الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف .
وقال مرتضى : وقد ضعف هذا الحديث المنذرى وغيره وقال الخطيب فى كتاب اقتضاء العلم العمل :
وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى كبشة السلولى . قال : سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول :
إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالما لا ينتفع بعلمه ، وفيه أيضاً من طريق إبراهيم بن الأشعث حدثنا سفيان قال : كان يقال : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عمل فجاء غيره يوم القيامة بأفضل عملا منه ، ورجل كان له مال فلم يتصدق منه فورثه غيره فتصدق منه ، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلّم غيره فانتفع به ، وسيأتى للمصنف عن أبى الدرداء : ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات .

كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ، ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو جدل يتذرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام ، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام ، وشبكة للحطام ، فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً ، وصار نسياً منسياً ، ولما كان هذا ثلماً فى الدين ملماً وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً : إحياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاحاً لمناهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين ، وقد أسسته على أربعة أرباع ، وهى : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات ، وصدّرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله ﷺ الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله ﷺ [٢] ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾ ، وأميز فيه العلم النافع من الضار ، إذ قال ﷺ [٣] ﴿ نعوذ بالله من علم لا ينفع ﴾ وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

﴿ ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب ﴾

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات .

﴿ وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

---

(٢) حديث ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾ قال العراقى : رواه ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما .

(٣) إذ قال ﷺ فيما رواه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن . ﴿نعوذ بالله من علم لا ينفع﴾ وفى بعض النسخ : تعوّذوا ، قال العراقى : رواه ابن ماجه من طريق جابر بإسناد حسن .

﴿ وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

﴿ وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والإخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت. فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه، وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات. وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى عنها متدين. وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تتعرف ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص. كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار. وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين، وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل. ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتباً، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور: ﴿الأول﴾ حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه ﴿الثانى﴾ ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه ﴿الثالث﴾ إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه ﴿الرابع﴾ حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه ﴿الخامس﴾ تحقيق أمور غامضة إعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف، فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم. وإنما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران: ﴿أحدهما وهو الباعث الأصلى﴾ أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى لأن العلم الذى يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم

المكاشفة ، وأعنى بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعنى بعلم المعاملة مايطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لارخصة فى إيداعها الكتب ، وإن كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق إليه ، ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والإرشاد إليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ؛ والعلماء ورثة الأنبياء فمالهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء . ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح ، وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم ؛ فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين : ظاهر وباطن ، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ؛ فكان المجموع أربعة أقسام ، ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام . ﴿ الباعث الثانى ﴾ أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع . والمتزيى بزى المحبوب محبوب ؛ فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً فى الجداول والرقوم ، وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة . والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابه إلى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد ؛ فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد ؛ فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد ، فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب ﴾

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء ، والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

﴿ فضيلة العلم ﴾

شواهدها من القرآن قوله عز وجل : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط » فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلا وجلاء ونبلا ، وقال الله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام ، وقال عز وجل : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال تعالى : قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » وقال تعالى : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به » تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم ، وقال عز وجل : « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً » بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم ، وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ، وقال تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » رد حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله . وقيل فى قوله تعالى : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » يعنى العلم « وريشاً » يعنى اليقين « ولباس التقوى » يعنى الحياء ، وقال عز وجل : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم » وقال تعالى : « فلنقصن عليهم بعلم » ، وقال عز وجل : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » وقال تعالى : « خلق الإنسان علمه البيان » وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله ﷺ [٤] ﴿ من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده ﴾ ، وقال ﷺ [٥] : ﴿ العلماء ورثة الأنبياء ﴾ ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك

---

(٤) حديث ﴿ من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ﴾ متفق عليه من حديث معاوية ، قاله العراقى وقال مرتضى : وكذا أخرجه الإمام أحمد من طريقه والترمذى وأحمد أيضاً عن ابن عباس وابن ماجه عن أبى هريرة ، قال الحافظ بن حجر وقد أخرجه أبو يعلى من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد فى آخره « ومن لم يفقهه فى الدين لم يبال الله به » قال العراقى وأما قوله : ويلهمه رشده فعند الطبرانى فى الكبير اهـ وقال مرتضى ورواه مع هذه الزيادة أيضاً أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود وسنده حسن وفى الصحيحين ومسند أحمد بعد قوله فى الدين زيادة: إنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل .

(٥) حديث ﴿ العلماء ورثة الأنبياء ﴾ أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء قاله العراقى ، قال مرتضى : وقال السخاوى فى المقاصد رواه أحمد وأبو نعيم

الرتبة وقال ﷺ [٦] ﴿يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض﴾ وأىّ منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماء والأرض بالاستغفار له [فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له]

داود والترمذى وآخرون عن أبى الدرداء به مرفوعا بزيادة : إن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما ورثوا العلم وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكنانى وضعفه غيرهم بالاضطراب فى سنده لكن له شواهد يتقوى بها ، ولذا قال شيخنا : له طرق يعرف بها أن للحديث أصلا ا هـ ثم قال السخاوى ولفظ الترجمة عند الديلمى من حديث محمد بن مطرف عن شريك عن أبى إسحق عن البراء ابن عازب بزيادة « يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى البحر إذا ماتوا » ، وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة « وإنما العالم من عمل بعلمه » ا هـ ثم قال : وبمثل زيادة الديلمى عن البراء أورده ابن النجار فى تاريخه عن أنس وقال البدر الزركشى فى اللآلىء المنثورة هو بعض حديث أخرجه أصحاب السنن وأحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه وابن حبان فى صحيحه ا هـ . وفى كتاب الضعفاء للدارقطنى من حديث جابر بن عبد الله رفعه : أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء ، قال فيه الضحاك بن حمرة ولا يجوز الاحتجاج به ، وقد روى العلماء ورثة الأنبياء بأسانيد صحيحة ، رواه أبو عمر من حديث الوليد بن مسلم عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أيمن عن أبى الدرداء ا هـ . وأخرج الخطيب فى تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر رفعه : حملة العلم فى الدنيا خلف الأنبياء وفى الآخرة من الشهداء ، قال حديث منكر لم نكتبه إلا بهذا السند وهو غير ثابت وإنما سمى العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية ا هـ . قال الحافظ فى الفتح أورده البخارى فى صحيحه ولم يفصح بكونه حديثا فلهذا لا يعد فى تعاليقه لكن إيراده فى الترجمة يشعر بأن له أصلا وشاهده فى القرآن قوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب . الآية وله شواهد يتقوّى بها ومثله للعينى وزاد العلل التى ذكرناها يعنى ما نذكره فى أول حديث فضل التعليم وخالفهما الكرمانى فى شرحه فقال : أورده البخارى تعليقا لأنه ليس على شرطه . فتأمل .

(٦) حديث ﴿ يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض﴾ قال العراقى : هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدّم ، قال مرتضى : هذه الزيادة بمعناها أيضاً فى حديث البراء بن عازب كما عند الديلمى وأنس بن مالك كما عند ابن النجار وقد سبق قريبا وسيأتى له بمعناها من حديث الترمذى عن أبى أمامة فى الحديث الثانى عشر ، وأخرج ابن عبد البر فى العلم من طريق أنس : وإن طالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر . يعنى أن العالم لما كان سبباً فى حصول العلم الذى به نجاة النفوس من أنواع المهلكات ، وكان سعيه مقصوراً على هذا ، وكانت نجاة العباد على يديه جوزى من جنس عمله وجعل من فى السموات والأرض ساعياً فى نجاته من أسباب الهلاك .

وقال ﷺ : [٧] ﴿إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك﴾ وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال ﷺ : [٨] ﴿خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين﴾ ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذى ظننته ، وسيأتى معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء . وقال ﷺ : [٩] ﴿أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه﴾ .

---

(٧) حديث ﴿إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك﴾ قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى بيان العلم وعبد الغنى الأزدى فى أدب المحدث من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ .

قال مرتضى : أورده الجلال فى ذيله وعزاه فيه إلى أبى نعيم وفى الصغير إليه وإلى ابن عدى وكلاهما من طريق أنس بلفظ الحكمة تزيد الشريف شرفاً والباقى سواء قال المناوى هو من حديث عمر بن حمزة عن صالح عن الحسن عن أنس وقال أبو نعيم غريب تفرد به عن صالح ، وقال العسكرى : ليس هذا من المرفوع بل من كلام الحسن وأنس اهـ . وأخرج الدينورى فى المجالسة قال : حدثنا عبد الرحمن ابن فراس حدثنا محمد بن الحرث المروزى حدثنا العلاء بن عمرو الحنفى حدثنا ابن أبى زائدة عن أبى خلدة عن أبى العالية قال : كنت آتى ابن عباس وقريش حوله فيأخذ بيدى فيجلسنى معه على السرير فتغامزت فىّ قريش ففطن لهم ابن عباس فقال : هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرة اهـ . وهذا عطاء ابن أبى رباح أحد الموالى لما دخل على هشام بن عبد الملك كان عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة على حمار إكافه خشب فلما رآه قال : مرحباً مرحباً ، ههنا ههنا ، فرفعه حتى مست ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا وقال إبراهيم الحربى : كان عطاء عبداً أسود كان أنفه باقلات ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك إليه هو وابناه ، فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انفتل عليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لابنيه : قوما فقاما .

(٨) حديث ﴿خصلتان لا يكونان فى منافق : حسن سمت وفقه فى دين﴾ قال العراقى : أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب اهـ . قال مرتضى : قال الترمذى : حدثنا أبو كريب حدثنا خلف بن أيوب عن عوف عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فذكره ، ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عوف إلا من هذا الشيخ خلف بن أيوب العامرى ، ولم أر أحداً يروى عنه غير أبى كريب محمد بن العلاء ، ولا أدرى كيف هو اهـ . ولذلك قال غير واحد : إن إسناده ضعيف ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام مرسلا ، ولفظه « لا يكونان » ، كما فى سياق المصنف .

(٩) حديث ﴿أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه﴾ أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفاً على أبى الدرداء بإسناد ضعيف ولم أره مرفوعاً ، قاله العراقى =

• وقال صلى الله عليه وسلم : [١٠] ﴿ الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم ﴾ .
• وقال ﷺ : [١١] ﴿ أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ﴾ • وقال صلى الله عليه وآله وسلم : [١٢] ﴿ لموت قبيلة خير من موت عالم ﴾ أيسر

= وقال مرتضى : وفى القوت إنما العالم عندهم الغنى بعلمه لا بعلم غيره ، وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علم وقلبه لا يحدث سواه ، كما جاء فى الأثر : أى الناس أغنى ؟ قال : العالم الغنى بعلمه إن احتيج إليه نفع وإلا اكتفى عن الناس بعلمه .

(١٠) حديث ﴿ الإيمان عريان ولباسه التقوى ، وزينته الحياء ، وثمرته العلم ﴾ أخرجه الحاكم فى تاريخ نيسابور عن أبى الدرداء بإسناد ضعيف قاله العراقى ، قال مرتضى : هو فى كتاب القوت لأبى طالب عن وهب بن منبه قال : وقد أسنده حمزة الخراسانى عن الثورى ، فرفعه إلى عبيد الله عن النبى ﷺ قال : وقد رويناه أيضاً مسندا اهـ . وأورده الراغب فى الذريعة من غير إسناد ، وكذا عبد الرحمن بن عبد السلام الصفورى فى كتابه نزهة المجالس عن وهب هكذا إلا أنه ذكر بدل الجملة الثالثة ورأس ماله الفقه ، وقال مرتضى وحمزة الخراسانى الذى روى عن الثورى إن كان هو حمزة ابن بهرام فقد قال الذهبى فى ذيل الديوان إنه مجهول لا يعرف ، ثم رأيت الشهاب الأبوصيرى أورد فى كتابه «إتحاف المهرة» عن مسدد فى مسنده : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثنا عبد العزيز بن وبيع سمعت وهب بن منبه يقول : الإيمان عريان ولباسه التقوى .

(١١) حديث ﴿ أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ﴾ أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ، قاله العراقى وقال مرتضى : وأورده صاحب القوت فقال : وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رفعه فذكره ، ويروى : إن أقرب الناس ثم قال : ألا تراه كيف جعل العلم دالا على الله تعالى كالجهاد ، أخرجه ابن القيم هكذا لجعله من قول إسحق بن عبد الله بن أبى فروة .

(١٢) حديث ﴿ لموت قبيلة أيسر من موت عالم ﴾ أخرجه الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء ، وأصل الحديث عند أبى داود ، قاله العراقى . قال مرتضى الذى رواه الطبرانى عن أبى الدرداء ورفعه موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وموت قبيلة أيسر من موت عالم وهو نجم طمس أورده السخاوى فى المقاصد وله شواهد منها ما أورده الزبير بن بكار فى الوفقيات عن محمد بن سلام الجمحى عن على بن أبى طالب من قوله : إذا مات العالم أثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها شىء إلى يوم القيامة وهو معضل وأخرج أبو بكر بن لال فى فوائده من حديث جابر مرفوعاً موت العالم ثلمة فى الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار وأخرج الديلمى عن ابن عمر ماقبض الله عالماً إلا كان ثغرة فى الإسلام لا تسد والبيهقى من حديث معروف بن خربوذ عن أبى جعفر أنه قال موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً وأخرج

• وقال عليه الصلاة والسلام [١٣] ﴿ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ﴾ • وقال ﷺ • [١٤] ﴿ يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء ﴾ • وقال ﷺ : [١٥] ﴿ من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له

= الحاكم من حديث عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : « ننقصها من أطرافها » قال : بموت علمائها وفقهائها اهـ . وقال مرتضى : وأخرج أبو يعلى فى مسنده من طريق عثمان بن أعين عن أبى الدرداء بمثل ما قدمناه عن الطبرانى ، وفيه زيادة ، ولكن فى الإسناد رجل لم يسم .

(١٣) حديث ﴿ الناس معادن ؛ لخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ﴾ متفق عليه من حديث أبى هريرة ، قاله العراقى ، قال مرتضى : زاد مسلم : والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، وأخرجه العسكرى من حديث قيس بن الربيع عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، قال السخاوى فى المقاصد ولأبى هريرة فى المرفوع حديث آخر لفظه : الناس معادن فى الخير والشر ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا . أخرجه الطيالسى وابن منيع والحرث بن أبى أسامة وغيرهم كالبيهقى من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة وأصله فى الصحيح وللديلمى عن ابن عباس مرفوعاً : الناس معادن والعرق دساس اهـ . وأخرجه البيهقى أيضاً عن ابن عباس وفيه : وأدب السوء كعرق السوء وفقهوا بكسر القـــاف وبضمها يقال فقه كعلم زنة ومعنى وككرم صار فقيها ، وسيأتى الزيادة لبيانه فى أول الباب السادس .

(١٤) حديث ﴿ يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء ﴾ أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف قاله العراقى ، قال مرتضى وأخرجه الشيرازى فى الألقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء وأخرجه الذهبى فى فضل العلم عن عمران بن حصين وابن الجوزى فى العلل عن النعمان بن بشير والديلمى عن ابن عمر ، قال ابن الجوزى حديث لا يصح وهرون بن عنتر أحد رجاله ، قال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به يروى المناكير ويعقوب القمى ضعيف وفى الميزان متنه موضوع وهذا الحديث مما احتج به على فضل العالم على الشهيد ، وقال ابن الزملكانى والإنصاف أن ما ورد للشهيد من الخصائص وصح فيه من رفع العذاب وغفران النقائص لم يرد مثله للعالم لمجرد علمه ولا يمكن أحداً أن يقطع به فى حكمه وقد يكون لمن هو أعلى درجة ما هو أفضل من ذلك ، وينبغى أن يتعين حال العالم وثمرة علمه ، وما زاد عليه وحال الشهيد وثمرة شهادته وما أحدث عليه ، فيقع التفضيل بحسب الأعمال والفوائد فكم من شاهد أو عالم هوّن أهوالا وفرج شدائد وعلى هذا فيتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء والعالم الواحد أفضل من كثير من الشهداء كل بحسب حاله وما ترتب على علومه وأعماله وسيأتى الكلام على هذا الحديث قريباً .

(١٥) حديث ﴿ من حفظ على أمتى أربعين حديثاً حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيداً يوم القيامة ﴾ أخرجه ابن عبد البر فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه ، قاله العراقى ، قال مرتضى : وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن أبى سعيد الخدرى من حفظ على أمتى أربعين حديثا من سنتى أدخلته يوم =

شفيعاً وشهيداً يوم القيامة . وقال ﷺ [١٦] ﴿ من حمل من أمتى أربعين حديثاً أتى الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً .

= القيامة فى شفاعتى وهو شاهد قوى لحديث ابن عمر ، إلا أن إسناده ضعيف كذلك ، والمراد بالحفظ النقل إليهم بطريق التخريج والإسناد صحاحا كن أو حسانا قيل أو ضعافا يعمل بها فى فضائل الأعمال وخص الأربعين لأنها أقل عدد له ربع عشر صحيح وحفظ الحديث مطلقاً فرض كفاية ، نقله المناوى وأخرج ابن عدى فى الكامل عن ابن عباس : من حفظ على أمتى أربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وهو أيضاً شاهد لما فى الباب ، وسنده ضعيف كذلك .

(١٦) حديث ﴿ من حمل من أمتى أربعين حديثاً أتى الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ﴾ أخرجه ابن عبد البر من رواية بقية عن المعلى عن السدى عن أنس وضعفه ، قاله العراقى . قال مرتضى : وأخرجه ابن عدى فى الكامل من هذا الطريق أيضاً ، وقال السخاوى فى المقاصد أخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود وابن عباس من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعث يوم القيامة فقيهاً قال : وفى الباب عن أنس وعلى ومعاذ وأبى هريرة وآخرين ، أخرجها ابن الجوزى فى العلل المتناهية ، قال النووى : طرقه كلها ضعيفة ، وليس بثابت وكذا قال شيخنا : جمعت طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة ، قال البيهقى فى الشعب عقيب حديث أبى الدرداء منها ، هـذا متن مشهور بين الناس وليس له إسناد صحيح اهـ . وقرأت فى كتاب الأربعين البلدانية للحافظ أبى طاهر السلفى ما نصه : فإن نفرا من العلماء لما رأوا ورووا قول أطهر مفسل وأظهر مرسل : من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها من طرق وثقوا بها وعولوا عليها ، وعرفوا صحتها وركنوا إليها حتى خرج كل منهم لنفسه أربعين حديثا حتى قال إسمعيل بن عبد الغافر الفارسى : اجتمع عندى من الأربعينيات ما يذيف على السبعين ، وقد استفتيت شيخنا الإمام أبا الحسن على بن محمد بن على الطبرى المعروف بالكيا ببغداد سنة خمس وتسعين وأربعمائة أو قبلها أو بعدها بقليل لكلام جرى بين الفقهاء فى المدرسة النظامية التى هو مدرسها اقتضى الاستفتاء ، ويجد المستفتى فيه الشفاء : ما يقول الإمام وفقه الله تعالى فى رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل كتبة الحديث فى هذه الوصية أم لا ؟ فكتب بخطه تحت السؤال نعم كيف لا وقد قال النبى ﷺ : من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما .. الحديث فقد أخبرنا أبو عبد الله الثقفى ثم ساق سنده من طريق أبى بكر الآجرى ، حدثنا محمد بن مخلد العطار ، حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد الخندقى وكان له حفظ ، حدثنا محمد بن إبراهيم السائح حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه ، عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء ، ثم ساق حديثا آخر من طريق ابن أبى الدنيا ، حدثنا الفضل بن غانم ، حدثنا عبد الملك بن هرون بن عنترة عن أبيه عن جده عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فقيها ، =

. . . .

ﷺ وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً قال: هذا ما رواه معاذ وأبو الدرداء ، وقد رواه أبو هريرة بلفظ هو أرجى للراوى من هذا اللفظ والحصول على الأجر قبل الحفظ ثم ساقه من طريق أبي صالح حدثنا إسحق بن نجيح حدثنا عطاء عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : من روى عنى أربعين حديثاً جاء فى زمرة العلماء يوم القيامة ، قال : ومن أحسن ما يذكر هنا وأغربه ما كتب إلىّ أبو الفتيان الدهستانى الحافظ من خراسان ثم ساقه من طريق محمد بن أيوب الهنائى ، حدثنا حميد ابن أبي حميد عن عبد الرحمن بن دلهم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ من حفظ على أمتى حديثاً واحداً كان له أجر أحد وسبعين نبياً صديقاً ، قال أبو الفتيان كتب عندى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البغدادى الخطيب بصور وقد روى هذا الحديث غير الهنائى عن حميد فقال أجر اثنين وسبعين ثم ساقه من طريق محمد بن موسى ، حدثنا حميد ولفظه من حفظ على أمتى حديثاً واحداً من أمر دينهم أعطاه الله عز وجل أجر اثنين وسبعين صديقا ثم ساق من طريق الثورى عن ليث عن طاوس عن ابن عباس رفعه من أدى إلى أمتى حديثاً واحداً يقيم به سنة ويرد به بدعة فله الجنة انتهى كلام السلفى وهذا الحديث الأخير قد أخرجه أبو نعيم فى الحلية وفى سنده كذاب وقرأت فى آخر كتاب الأربعين المتباينة الإسناد للحافظ ابن حجر ، وقد ذكر كلام السلفى من أوله وساق الحديث من طريق أبى الدرداء الذى ذكرناه وقال: هذا حديث مشهور له طرق كثيرة وهو غريب من هذا الوجه تفرد به عبد الملك بن هرون أخرجه ابن حبان فى كتاب الضعفاء له من طريق عبدالملك هذا واتهمه به وقال لا يحل كتب حديثه إلا للاعتبار وضعفه غيره وباقى رجاله ثقات ولم يخرج هذا المتن أحد من الأئمة فى الأمهات المشهورة لا المخرجة على الأبواب ولا المرتبة على المسانيد إلا أن أبا يعلى رواه فى مسنده عن عمرو بن الحصين العقيلى عن محمد ابن عبد الله بن علاثة عن خصيف عن مجاهد عن أبي هريرة وخصيف وابن علاثة صدوقان ليس فيهما مقال والآفة فيه من عمرو بن الحصين فقـــد كذبه أحمد وابن معين وغيرهما ورواه الحسن بن سفيان فى أربعينه عن على بن حجر عن إسحق بن نجيح عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به ورجاله ثقات إلا إسحق فقد اتهمه بالوضع ابن معين وابن أبي شيبة والفلاس وغيرهم ولكن تابعه عليه عن ابن جريج جماعة منهم حميد بن مدرك وخالد بن يزيد العمرى وأبو البحترى وهب بن وهب القاضى وروى عن بقية بن الوليد ومعمر أيضاً فأما رواية حميد بن مدرك فأخرجها الحافظ أبو بكر بن الجوزى فى أربعينه وحميد مجهول وأما رواية خالد بن يزيد فرواها ابن عدى فى الكامل فى ترجمته وضعفه واتهمه جماعة وأما روايه أبى البحترى فرواها ابن عدى أيضا فى الكامل فى ترجمته بإبدال ابن عباس بأبى هريرة وأبو البحترى أجمعوا على تكذيبه وأما رواية بقية بن الوليد فرواها مظفر بن إلياس السعدى فى أربعينه من طريقه وبقية صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء فإن كان محفوظا عنه فكأنه سمعه من إنسان ضعيف عن ابن جريج فأسقط الضعيف ودلسه وأما رواية معمر فروينها فى الأربعين للإمام أبى المعالى إسماعيل بن الحسن الحسينى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الغزى المعروف بابن بشت عن =

. . . .

= عبد المؤمن بن خلف النسفي الحافظ عن إسحق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن جريج، وابن بشت تكلموا في صحة سماعه من عبد المؤمن بن خلف وذكر الحافظ أبو صالح المؤذن أنه سقط اسم شيخه الذي حدثه عن عبد المؤمن بن خلف على كاتب الطبقة قلت الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد وإلا فمعمر غير معروف بالرواية عن ابن جريج وعبد الرزاق معروف بالرواية عنهما جميعاً وللحديث طرق غير هذه منها ما أخرجه الجوزي من طريق زيد بن الحريش عن عبد الله بن خراش عن عمه العوّام بن حوشب عن إبراهيم التيمي عن أنس بن مالك به وعبد الله بن خراش وزيد بن الحريش ذكرهما ابن حبان في كتاب الثقات، وقال في كل منهما : ربما أخطأ قلت : أخطأ ابن حبان في توثيق عبد الله بن خراش فقد اتفق الأئمة على تضعيفه، واتهمه بعضهم ومنها مارواه أبو ذر الهروي في كتاب الجامع له عن شافع بن محمد بن أبي عوانة عن يعقوب بن إسحق العسقلاني عن حميد بن زنجويه عن يحي ابن عبيد الله بن بكير عن مالك عن نافع عن ابن عمر، قال ابن عبد البر : من روى هذا عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته إليه . قلت ليس في رواته من ينظر في حاله إلا يعقوب بن إسحق فقد ذكر مسلمة عن القاسم أنه اتهمه والناس يختلفون فيه فبعضهم يوثقه وبعضهم يضعفه والظاهر أنه دخل عليه حديث في حديث ومنها ما أخرجه الحافظ أبو بكر الآجري في كتاب الأربعين له عن محمد بن مخلد عن جعفر بن محمد الخندقي عن محمد بن إبراهيم السائح عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن معاذ بن جبل وليس في رواته من ينظر في حاله إلا السائح فإنه غير معروف وعندي أن هذه الطريق أجود طرق هذا المتن مع ضعفها . وروى أيضاً من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأبي أمامة الباهلي وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله وثوبرة ولا يصح منها شيء، قال أبو علي سعيد بن السكن الحافظ ليس يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ من طريق يثبت، وقال الدارقطني لا يثبت من طرقه شيء، وقال البيهقي : أسانيده كلها ضعيفة، وقال ابن عساكر أسانيده كلها فيها مقال ليس للصحيح فيها مجال، وقال عبد القادر الرهاوي طرقه كلها ضعاف إذ لا يخلو طريق منها أن يكون فيها مجهول التصرف أو معروف مضعف، وقال الحافظان رشيد الله بن العطار وزكي الدين المنذري نحو ذلك، فاتفاق هؤلاء الأئمة على تضعيفه أولى من إشارة السلفي إلى صحته، قال المنذري لعل السلفي كان يرى أن مطلق الأحاديث الضعيفة إذا انضم بعضها إلى بعض أجدى قوة، قلت لكن تلك القوة لا تخرج هذا الحديث من مرتبة الضعف فالضعف يتفاوت فإذا كثرت طرق حديث رجحت على حديث فرد فيكون الضعيف الذي ضعفه ناشىء عن سوء حفظ رواته إذا كثرت رواته ارتقى إلى مرتبة الحسن والذي ضعفه ناشىء عن تهمة أو جهالة إذا كثرت طرقه ارتقى عن مرتبة المردود والمنكر الذي لا يجوز العمل به بحال إلى رتبة الضعيف الذي يجوز العمل به في فضائل الأعمال، وعلى ذلك يحمل ماقاله الإمام النووي في خطبة كتاب الأربعين له : وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وقال بعد أن ذكر هذا الحديث =

• وقال صلى الله عليه وسلم : [١٧] ﴿ من تفقّه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب ﴾ .

= اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه اه . سياق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقوله قلت الذى عندى فى هذا أنه دخل عليه إسناد فى إسناد وإلا فمعمر غير معروف بالرواية الخ ، وهو كما قال فقد أخرجه على الصواب أبو إسمعيل الهروى الأنصارى من طريق على بن الحسين ، حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبى غالب عن أبى أمامة كما ستأتى الإشارة إليه ، وقوله إلا السائح فإنه غير معروف ، قلت فقد ذكره ابن قطلوبغا فى أمالى المسانيد فقال فيه قال ابن عدى عامة أحاديثه غير محفوظة ، وقال الدارقطنى كذاب ، وقال أبو نعيم روى موضوعات ، وقوله وروى أيضاً من طرق ضعيفة عن على بن أبى طالب الخ ، قلت : أما حديث على فقد أخرجه الإمام أبو سعد إسمعيل بن أبى صالح الحافظ والإمام أبو بكر البيهقى بسندهما إلى أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى حدثنا أبى حدثنا على بن موسى الرضا عن آبائه عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ من حفظ على أمتى أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ، قال البيهقى هذا الإسناد من على بن موسى الخ كالشمس غير أن هذا الطائى لم يثبت عند أهل العلم بالحديث فى عدالته ما يوجب قبول خبره وقد يكون ثقة على حسن الظن والله أعلم ، قلت وقد رأيت فى تاريخ ابن النجار فى ترجمة على بن موسى ذكر أحمد بن عامر ابن سليمان الطائى فى جملة الرواة عنه وساق من طريق ولده أبى القاسم عبد الله بن أحمد عن أبيه هذا قصة ، وقد روى عن أبى القاسم هرون الضبى وأما حديث أبى أمامة فقد أخرجه أبو إسماعيل الهروى من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبى غالب عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ من حفظ على أمتى أربعين حديثا فيما ينوبهم وينفعهم فى أمر دينهم حشره الله فى يوم القيامة فقيها .

(١٧) حديث ﴿ من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب ﴾

أخرجه الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدى بإسناد ضعيف قاله العراقى ، وقال الحافظ ابن حجر وفى مسند أبى حنيفة عن أبى حنيفة عن عبد الله بن جزء ولا يصح اه . قال مرتضى: أخرجه ابن خسرو فى مسنده من طرق : الأولى فيها مكرم بن أحمد عن محمد بن سماعة عن بشر بن الوليد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة والثانية فيها أحمد بن محمد بن الصلت عن محمد بن أبى شجاع عن أبى يوسف والثالثة فيها أحمد بن محمد الحمانى عن محمد بن سماعة وأخرجه ابن المقرى فى مسنده وابن عبد البر فى العلم من رواية أبى على عبيد الله بن جعفر الرازى عن أبيه عن محمد بن سماعة عن أبى يوسف وأخرجه الحاكم فى تاريخه من طريق إسماعيل بن محمد الضرير عن أحمد بن الصلت ثم اتفقوا على أبى يوسف قال سمعت أبا حنيفة يقول حججت مع أبى سنة ست وتسعين ولى ستة عشر سنة ، فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة فقلت لأبى حلقة من هذه؟ قال: حلقة عبدالله بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله ﷺ فتقدمت فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تفقه.. الحديث ، قال ابن قطلوبغا فى أماليه هكذا رأيت الطريق الأولى عند كل هؤلاء المصنفين وعندى هو أنه مكرم عن =

• وقال صلى الله عليه وسلم : [١٨] ﴿ أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم ﴾ • وقال ﷺ [١٩] ﴿ العالم أمين الله سبحانه فى الأرض ﴾

= أحمد بن محمد عن ابن سماعة وأحمد بن محمد هذا هو ابن الصلت ويعرف أيضاً بالحمانى وبابن المغلس كذاب ، وقال ابن عدى ما رأيت فى الكذابين أقل حياء منه ، وقال ابن حبان والدارقطنى كان يضع الحديث ثم قال : وأما المسند الذى ساقه ابن المقرى هكذا رأيته فى أصل شيخنا من مسنده وبين جعفر ومحمد ابن سماعة أحمد بن الصلت جاء مصرحا فى رواية الخطيب ثم نقل عن الذهبى فى الميزان هذا كذاب فابن جزء مات بمصر ولأبى حنيفة ست سنين ، وقال الحافظ بن حجر فى اللسان وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر ثم ساق سنده قال وهو باطل أيضاً وأورده ابن الجوزى فى الواهيات وابن النجار فى تاريخه والسيوطى فى موضوعاته ونقل الكلام فى ابن الصلت الذى قدمناه ، قال ابن قطلوبغا وفى مناقب أبى حنيفة للجعابى أن ابن جزء مات سنة ثمان وتسعين على خلاف ما ذكره ابن يونس قال : وأخرج أبو العباس المرهبى فى فضل العلم من حديث زياد الصدائى رفعه : من طلب العلم تكفل الله برزقه قلت رويناه فى الجزء الثانى من معجم أبى على الحداد من طريق يونس بن عطاء عن سفيان الثورى عن أبيه عن زياد الصدائى ، وقال ابن خسرو بعد ذكر الحديث المتقدم وأنشد أبو حنيفة من قوله :

من طلب العلم للمعاد • فاز بفضل من الرشاد • وبالخسران من أتاه • لنيل فضل من العباد

قلت : وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رفعه من جعل الهم هما واحدا هم آخرته كفاه الله عز وجل ما همه من أمر دنياه . وأخرجه الرافعى من طريق أبى يوسف عن أبى حنيفة نبه عليه السيوطى فى الجامع الكبير وهو عادل شاهد لحديث ابن جزء والله أعلم .

(١٨) حديث ﴿ أوحى الله إلى نبيه إبراهيم ، يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم ﴾ ذكره ابن عبد البر تعليقاً ولم أظفر له بإسناد قاله العراقى ، قال مرتضى العالم والعليم فى وصفه تعالى هو الذى لا يخفى عليه شىء إلا أن فى العليم مبالغة وبه فسر قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم إذ فسر بعضهم أن المراد بالعليم هنا هو الله تعالى وإن كان لفظه منكرا إذ الموصوف بالعليم فى الحقيقة هو الله تعالى وهناك فى الآية وجه آخر ذكره الراغب والسمين .

(١٩) حديث ﴿ العالم أمين الله سبحانه فى الأرض ﴾ أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف قاله العراقى ، قال مرتضى رواه من رواية عيسى بن إبراهيم الهاشمى حدثنا الحكيم بن عبد الله حدثنا عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن علم عن معاذ مرفوعا وعيسى بن إبراهيم منكر الحديث قاله البخارى والنسائى وأورده الجلال فى جامعه هكذا والفارقى فى شرح عين العلم أيضاً ومن شواهده ما أخرجه القضاعى وابن عساكر عن أنس: العلماء أمناء الله على خلقه وأخرج الحسن بن سفيان والعقيلى عن أنس أيضاً العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن عثمان بن عفان العلماء أمناء أمتى وأخرج العسكرى عن على الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم . والأمين فى اللغة هو الثقة المرضى عند الله والناس .

* وقال ﷺ : [٢٠] ﴿ صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس : الأمراء والفقهاء ﴾ * وقال عليه السلام [٢١] ﴿ إذا أتى علىّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم ﴾ * وقال ﷺ فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة [٢٢] ﴿ فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى ﴾ . فانظر كيف جعل

---

(٢٠) حديث ﴿ صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس : الأمراء والفقهاء ﴾ أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، قاله العراقى ، قال مرتضى ورواه من رواية محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس ، ولفظ أبى نعيم فى الحلية صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء وأخرجه الديلمى أيضاً فى الفردوس عن ابن عباس بهذا اللفظ ، ومحمد بن زياد هذا كذبه الإمام أحمد والفلاس وفى هذا المعنى قال ابن المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الملوك * وأحبار سـوء ورهبانها

(٢١) حديث ﴿ إذا أتى علىّ يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى ذلك اليوم ﴾ أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من رواية الحكم ابن عبد الله عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عائشة بسـند ضعيف ، قاله العراقى ، قال مرتضى وأخرجه أيضاً ابن عدى فى الكامل من هذا الوجه ولكن لفظهم كلهم ، فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم، كذا نص الجلال فى جامعه، وقال العراقى الحكم بن عبد الله الديلى متروك كذاب وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وحكى عن الصورى قال : هذا حديث منكر لا أصل له عن الزهرى ولا يصح عن رسول الله ﷺ ولا أعلم أحداً حدث به غير الحكم ا هـ . قال المناوى وهو معلول من طرقه كلها بل فيه موضوع قال وقوله علما أى طائفة من العلم والتنكير للتفخيم ، وقوله فلا بورك ... إلخ دعاء أو خبر وذلك لأنه كان دائم الترقى فى كل لحة فالعلم كالعدالة ومقصوده تبعيد نفسه من ذلك وبيان أن عدم الازدياد ما وقع قط ولا يقع أبدا لما ذكر ، قال بعض العارفين وأراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الأحكام فإن الأحكام زيادة تكاليف على الأمة ، وقد بعث ﷺ رحمة للعالمين وقال بعضهم أراد بذلك أن العارف دائم التطلع إلى مواهب الحق فلا يقنع بما هو فيه وقد يكون دائم الطلب قارعا باب النفحات راجياً حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها وهى متعلقة بكلماته التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد الرمال دون أعدادها اهـ . قلت : ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه الديلمى فى الفردوس عن على مرفوعا بسند ضعيف من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو فى النقصان .

(٢٢) حديث ﴿ فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى ﴾ أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة ، وقال حسن صحيح قاله العراقى قال مرتضى : الذى عزاه الجلال فى جامعه للترمذى لفظه كفضلى على أدناكم ومثله للدارمى ، لكن عزاه كالترمذى أيضاً لأبى الدرداء وعند الجلال فى رواية الترمذى فى الأول زيادة ، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة فى جحرها =

العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة . وقال ﷺ : [٢٣] ﴿ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴾ . وقال ﷺ : [٢٤] ﴿ يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ﴾ فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة

= وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ومن شواهده ما أخرجه الحرث بن أبي أسامة عن أبي سعيد الخدري : فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي وهكذا أخرجه ابن عبد البر أيضاً ، وفيه زيد العمى مختلف فيه ، ورواه أبو طاهر السلفي من رواية مسلمة بن رجاء حدثنا جميل الدمشقي عن القاسم عن أبي هريرة ولفظه كفضلي عليكم ، والمعروف رواية سلمة عن رجاء عن الوليد عن جميل عن القاسم عن أبي أمامة كما عند الترمذي ، وأخرج الخطيب في تاريخه عن أنس فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته وأخرج البزار في مسنده والطبراني في الأوسط عن حذيفة بن اليمان بإسناد حسن والحاكم عن سعد بن أبي وقاص فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع ، رواه الترمذي في العلل عن حذيفة ثم ذكر أنه سأل عنه البخاري فلم يجده محفوظاً ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال : لا يصح ، قال المناوي في تفسير الحديث الذي صدره الشيخ ما نصه أي نسبة شرف العالم إلى نسبة شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى أدنى شرف الصحابة ، فإن المخاطبين بقوله أدناكم الصحب وقد شبهوا بالنجوم في حديث آخر ، وهذا التشبيه ينبه على أنه لا بد للعالم من العبادة وللعابد من العلم لأن تشبيهها بالمصطفى وبالعلم يستدعي المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل كيف لا والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة عليه . ذكره الطيبي .

(٢٣) حديث ﴿ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴾ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم قاله العراقي وقال السخاوي في المقاصد : روي عن أبي الدرداء مرفوعا عند أصحاب السنن الأربعة وعن عبد الله بن عمرو في الترغيب للأصبهاني بهذا اللفظ ، وعن عبد الرحمن بن عوف نحوه أخرجه أبو يعلى اهـ . قال مرتضى : وفي مسند أبي يعلى أيضاً من رواية عثمان بن أعين عن أبي الدرداء ولفظه : للعالم من الفضل على العابد وفيه : على أصغر كوكب في السماء ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن معاذ كذا في الجامع للجلال ، وهو من رواية عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن معاذ وكذا أحمد في مسنده والدارمي وفيه زيادة وإن العلماء ورثة الأنبياء .

(٢٤) حديث ﴿ يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ﴾ أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف قاله العراقي ، قال مرتضى : أخرجه من طريق عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن علاق بن أبي مسلم عن أبان عن عثمان وقد رمز لحسنه وهو عليه رد فقد أعله ابن عدي والعقيلي بعنبسة ونقلا عن البخاري أنهم تركوه ومن ثم جزم العراقي بضعف الخبر ، قاله المناوي وعقب عليه مرتضى : عنبسة هذا هو ابن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي الأموي روى عنه إسحق =

• وقال رسول الله ﷺ : [٢٥] « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه »

= ابن أبي إسرائيل وعبد الواحد بن غياث وجمع وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه ، قال الذهبي في الديوان متروك متهم وعلاق ضعفه الأزدي ولم يرو عنه غير عنبسة وبه تعلم أن قول العزيزي شارح الجامع إنه حسن محل تأمل ، وأورده صاحب القوت من غير عزو وليس فيه لفظ ثلاثة ثم قال بعد ذلك فقدم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه اهـ . قال القرطبي : فأعظم منزلة هي بين النبوة والشهادة بشهادة المصطفى ﷺ ، ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله .

(٢٥) حديث « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه » أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم ، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ، وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، قاله العراقي . قال مرتضى : كل جملة من الثلاثة حديث مستقل ، أما الأولى منها فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان من رواية عيسى بن زياد الدورقي ، حدثنا مسلمة بن ثقب عن نافع عن ابن عمر رفعه ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ، وقال : تفرد به عيسى بن زياد بهذا الإسناد قال : وروي من وجه آخر ضعيف والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري ، وفي بعض رواياته ما عبد الله بأفضل ، وأما قول الزهري فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن يوسف حدثنا معمر عن الزهري قال : ما عبد الله بشيء أفضل من العلم ، وأما الثانية فقد أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس كما قاله العراقي ولفظ ابن ماجه فقيه واحد من غير لام ولفظ الترمذي فقيه أشد من غير ذكر واحد ، أما الترمذي فأخرجه في كتاب العلم وابن ماجه في كتاب السنة من سننهما ، وقال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه أي من رواية الوليد بن مسلم عن روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس وأورده ابن الجوزي في العلل ، وقال لا يصح والمتهم به روح بن جناح قال أبو حاتم يروي عن الثقات مالم يسمعه من ليس متبحراً في صناعة الحديث شهد له بالوضع اهـ . وأورد الحديثين معا جماعة وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقي آنفاً والبيهقي في الشعب والدارقطني في السنن والقضاعي في مسند الشهاب وأحمد بن منيع في مسنده كلهم من حديث يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً ويزيد بن عياض قال فيه النسائي متروك ، وقال ابن معين لا يكتب حديثه ، وقال الشيخان منكر الحديث وقال مالك : هو أكذب من ابن سمعان ، وقال العدني في مسنده حدثنا يوسف بن خالد البصري عن مسلم بن قعنب عن نافع عن ابن عمر رفعه ما عبد الله بشيء أفضل من تفقه في دين وفي المقاصد قال الطبراني لم يروه عن صفوان إلا يزيد وسنده ضعيف ، وللعسكري من حديث الوليد بن مسلم حدثنا راشد بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس رفعه الفقيه الواحد أشد على إبليس من ألف عابد ورواه الترمذي ، وقال غريب =

* وقال ﷺ [٢٦] ﴿ خير دينكم أيسره ، وخير العبادة الفقه ﴾ .

= وابن ماجه والبيهقي ثلاثتهم من جهة الوليد بن مسلم ، فقال عن روح بن جناح بدل راشد ولفظه : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وسنده ضعيف ، لكن يتأكد أحدهما بالآخر وفي الفردوس للديلمي بلا سند عن ابن مسعود رفعه لعالم واحد أشد على إبليس من عشرين عابداً . وفي الباب عن ابن عمر وعند الحكيم الترمذي في التاسع عشر عن أبي هريرة رفعه لكل شيء دعامة ودعامة الإنسان الفقه في الدين ، والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد رواه البيهقي ، وقال تفرد به أبو الربيع السمان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه به مرفوعا اه . وروى الخطيب في تاريخه من طريق الأعرج عن أبي هريرة ولفظه إن لكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه وأخرج أحمد بن منيع في مسنده من طريق زياد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رفعه لكل شيء عماد وعماد الدين الفقه وأخرج ابعيم في الحلية من هذه الطريق ولفظه ماعبد الله بشيء أفضل من فقه في دين قال وقال أبو هريرة : لأن أتفقه ساعة أحب إلىّ من أن أحيي ليلة حتى أصبح أصليها ، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقه .

(٢٦) حديث ﴿ خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ﴾ أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع بإسناد جيد والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف قاله العراقي قال مرتضى أما حديث محجن فقد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده فقال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن رجاء عن محجن قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى انتهينا إلى سدة المسجد فإذا رجل يركع ويسجد ويركع ويسجد فقال لي : من هذا ؟ فقلت هذا فلان وجعلت أطريه وأقول له هذا هذا قال رسول الله ﷺ لا تسمعه فتهلكه ، ثم انطلق بي حتى بلغ باب حجرة إحدى نسائه ثم أرسل يده من بين يدي قال فقال رسول الله ﷺ خير دينكم أيسره قالها ثلاثاً وأخرجه مسدد في مسنده ، فقال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن زياد بن مخراق عن رجل من أسلم ، قال : كان منا ثلاثة صحبوا النبي ﷺ بريدة ومحجن ومسكبة فقال محجن لبريدة ألا تصلي كما يصلي مسكبة ، قال لا لقد رأيتني أقبلت مع رسول الله ﷺ من أحد نتماشى يدي في يده فرأى رجلا يصلي فقال أتراه جداً أتراه صادقاً فذهبت أثني عليه ، قال : فلما دنونا نزع يده من يدي وقال : ويحك أسكت لا تسمعه فتهلكه إن خير دينكم أيسره ، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده فقال : حدثنا شبابة بن سوار حدثنا شعبة عن جعفر بن إياس عن عبد الله بن شقيق عن رجاء بن أبي رجاء قال دخل بريدة المسجد ومحجن على باب المسجد فقال بريدة ، وكان فيه مزاح يا محجن : ألا تصلي كما يصلي مسكبة ؟ فقال نزل النبي ﷺ من أحد وهو آخذ بيدي فدخل المسجد فإذا رجل يصلي فقال لي من هذا فأثنيت عليه خيراً قال : اسكت لا تسمعه فتهلكه ثم أتى على باب حجرة امرأة من نسائه فقبض يده من يدي ، ثم قال إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره مرتين ، وقد علم مما سقناه أن الحديث يروى من طريق بريدة أيضاً وقد أخرجه أيضاً من طريق محجن البخاري في الأدب والطبراني في الكبير ، ويروى من طريق عمران بن الحصين أخرجه =

• وقال ﷺ [٢٧] (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة) .

= الطبراني في الكبير ، وقال انفرد به اسمعيل بن يزيد ومن طريق أنس بن مالك أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل والضياء المقدسي في المختارة فاقتصار العراق على محجن ومن مخرجيه على أحمد قصور ظاهر ، وقول العراق بإسناد جيد صحيح فإن رجاله من الطرق التي سقناها ثقات ليس فيهم متهم أو متروك غير أن في سياق سند مسدد رجلا من أسلم لم يسم ومن شواهده ما أخرجه أحمد بن منيع في مسنده من طريق غاضرة بن عروة الفقيمي عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس إن دين الله في يسر يا أيها الناس إن دين الله في يسر ، وقد رواه الإمام أحمد أيضاً من هذا الطريق وغاضرة بن عروة ويقال ابن عمرو الفقيمي ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن المديني مجهول ، وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ أي الأديان أحب عند الله قال الحنيفية السمحة وقد أخرجه أحمد بن حنبل وعبد بن حميد في مسنديهما بهذا الطريق والسند فيه مقال وقول العراق أخرجه ابن عبد البر عن أنس فقد وافقه على إخراجه ذلك أبو الشيخ في الثواب والديلمي في الفردوس كلهم من رواية عبد الرحيم بن مطرف حدثنا أبو عبد الله العذري عن يونس عن الزهري عن أنس ، ولفظهم وخير بدل وأفضل وأبو عبد الله العنزي لا يدري من هو وأما الشطر الثاني فقد أخرجه الطبراني في الصغير بزيادة وأفضل الدين الورع وله شاهد جيد من حديث سعد ابن أبي وقاص أخرجه الحاكم في التاريخ ومن حديث حذيفة أخرجه الطبراني في الأوسط فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وقد تقدم هذا والكلام عليه وأخرج الطبراني في الكبير والصغير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الشعبي عن ابن عمر رفعه أفضل العبادة الفقه وأخرج الطبراني أيضاً من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف رفعه يسير الفقه خير من كثير العبادة وأفضل أعمالكم الفقه وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف جداً .

(٢٧) حديث (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) قال العراق : أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف اهـ . قال مرتضى وأخرجه ابن عبد البر من حديث ابن عباس بسند ضعيف أخرجه من رواية يحيى بن بكير حدثنا يحيى بن صالح الأيلي عن إسماعيل بن أمية عن عبد بن عمير عن ابن عباس رفعه بلفظ المصنف وزيادة لفظ المؤمن إشارة إلى أن الكلام في عالم كامل الإيمان عامل بعلمه وفي عابد كامل الإيمان عارف بالفروض العينية وإلا فهو غير عابد وقول العراق أخرجه ابن عدي قد أشار إليه السخاوي في المقاصد وأغفله الجلال . أخرجه في الكامل ثم البيهقي من طريقه وابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين كلهم من رواية عمرو بن الحصين حدثنا ابن علاثة حدثنا خصيف عن مجاهد عن أبي هريرة وفي آخره الله أعلم ما بين كل درجتين وأما قوله ولأبي يعلى نحوه أي في المعنى فقط دون اللفظ كما هو مقتضى قولهم نحوه وحديثه هذا أي الذي أخرجه أبو يعلى في مسنده ، قال حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثني محمد ابن عمرو بن عبد الله سمعت الخليل بن مرة يحدث عن ميسرة عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن =

• وقال ﷺ [٢٨] ﴿ إنكم أصبحتم فى زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه ، قليل سائلوه ، كثير معطوه ، العمل فيه خير من العلم ، وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه ، كثير خطباؤه قليل معطوه ، كثير سائلوه ، العلم فيه خير من العمل ﴾ .

= ابن عوف عن أبيه عن النبى ﷺ فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال الهيتمى فى سياق حديث أبى يعلى الخليل بن مرة : قال البخارى منكر الحديث وقال ابن عدى هو ممن يكتب حديثه وليس بمتروك قلت هو من رجال الترمذى روى عنه الليث بن سعد جاء تضعيفه عن ابن معين وفى الكاشف الخليل بن مرة الضبعى نزيل الرقة عن أبى صالح وعكرمة وعنه ابن وهب ووكيع قال أبو حاتم : ليس بقوى كان أحد الصالحين توفى سنة ١١٦ وأخرج أبو القاسم الأصبهانى فى كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عبدالرحمن أظنه ابن رافع عن عبد الله بن عمرو قال النبى ﷺ فذكره وفى آخره زيادة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاما ، وسيأتى ذكره قريباً .

(٢٨) حديث ﴿ إنكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم، وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه ، والعلم فيه خير من العمل ﴾ قال العراق : أخرجه الطبرانى من حديث حرام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف اهـ . قال مرتضى ورواه كذلك ابن عبد البر فى كتاب العلم وأبو نعيم فى كتاب رياضة المتعلمين كلهم من رواية صدقة بن عبد الله عن زيد بن واقد عن حرام بن حكيم عن عمه عن رسول الله ﷺ فذكره ابن عبدالبر بلفظ المصنف، وفى رواية الآخرين تقديم وتأخير وصدقة بن عبدالله السمين ضعيف وحرام بفتح الحاء والراء مختلف فيه وعمه عبد الله بن سعد هكذا ورد مسمى منسوبا فى رواية أبى نعيم وفى كتاب العلم لابن خيثمة حدثنا جرير عن عبد الله بن يزيد عن شميل بن زياد عن عبد الله بن مسعود قال إنكم فى زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وإن بعدكم زمان كثير خطباؤه العلماء فيه قليل قال القارى فى شرح عين العلم المعنى إظهار العمل خير من إظهار العلم لتقتدى الناس فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقا اهـ . وفى مسند الإمام أحمد من رواية حجاج بن الأسود : سمعت أبا الصديق يحدث ثابتا عن رجل عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال إنكم فى زمان علماؤه كثير خطباؤه قليل من ترك فيه عشر ما يعلم هوى أو قال هلك وسيأتى على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا وللحديث المذكور شواهد منها عند الترمذى من حديث أبى هريرة إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم عشر ما أمر به نجا وعند الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى التاريخ عن أبى هريرة أيضاً سيأتى زمان تكثر فيه القراء وتقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج ثم يأتى بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتى لا يجاوز تراقيهم ثم يأتى بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن فى مثل ما يقول وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى سننه من طريق علقمة عن عبد الله قال كيف =

• وقال ﷺ [٢٩] « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة » .

= أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير إذا ترك فيها شيء قيل ترك السنة ، قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال ذلك إذا ذهب علماؤكم وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم .

(٢٩) حديث « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة » كذا وقع فى الروايات سبعين والتقدير مقدار سبعين وفى نسخة العراقى سبعون بالواو قال العراقى أخرجه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث عبدالله بن عمرو غير أنه قال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة اهـ . قال مرتضى : رواه أبو القاسم الأصبهانى فى كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ فذكره ولفظه فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاماً وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيتبصر بها العالم فينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه إليها ولا يعرفها ، وخارجة ضعيف ، وقال السخاوى فى المقاصد ولأبى يعلى وابن عدى من رواية عبد الله بن محرز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ ، قال وقد ذكر ابن عبد البر فى العلم أن ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبى هريرة فينظر من خرجه اهـ . ولفظ العراقى: ذكره ابن عبد البر فى العلم من غير أن يوصله بالإسناد ، وقال ومن حديث ابن عون عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال درجة موضع سنة ، ثم قال ومن دون ابن عون لا يحتج به اهـ . وتقدم حديث عبد الرحمن بن عوف الذى أخرجه أبو يعلى الموصلى ولفظه فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقول العراقى رواه صاحب مسند الفردوس يعنى به الديلمى وإسناده ضعيف أشار إلى أنه رواه من طريق بقية عن عبد الله بن محرز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه وسياقه كسياق حديث عبد الله بن عمرو المتقدم وعبد الله بن محرز قاضى الرقة ضعيف جداً وقد عنعن الحديث بقية وهو مدلس ، والظاهر أنه لم يسمعه من عبد الله وإنما سمعه من غياث ابن إبراهيم أحد الوضاعين فقد روى عنه بقية وقد روى أبو نعيم هذا الحديث مقتصراً على أوله من رواية غياث بن إبراهيم عن عبد الله بن محرز وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية سليمان الشاذكونى حدثنا ابن يمان عن محمد بن عجلان عن الزهرى ، قال : فضل العالم على المجتهد مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة سنة حضر الفرس الجواد المضمر . وبهذا وبما تقدم يسقط قول ملا على فى شرح عين العلم وأما ما فى الإحياء مائة درجة لا أصل له والحضر بالضم وسكون الضاد نوع من أنواع سير الفرس وهو فوق الهملجة والمضمر هو الجواد المهيأ للحضر والركض .

• [٣٠] وقيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل فقال ﴿العلم بالله عز وجل﴾ فقيل أى العلم تريد ؟ قال ﷺ ﴿ العلم بالله سبحانه ﴾ فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ﷺ ﴿إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله﴾ • وقال ﷺ [٣١] ﴿يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم﴾ [نسأل الله حسن الخاتمة] .

---

(٣٠) حديث لما قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل فقال : ﴿العلم بالله عز وجل﴾ فقيل الأعمال تريد فقال ﴿ العلم بالله ﴾ فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ﴿ إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل﴾ قال العراقى أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف اه . قال مرتضى هو من رواية الحسين بن حميد حدثنا محمد بن روح بن عمران القشيرى حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن عن عباد بن عبد الصمد عن أنس بتكرار أى الأعمال أفضل مرتين وفيه أسألك بدل نسألك وتخبرنى بدل تجيب والباقى سواء وعباد منكر الحديث ومؤمل ضعيف ومحمد بن روح منكر الحديث والحسين بن حميد المصرى تكلم فيه أيضاً وأخرجه الحاكم والترمذى فى الأصل السادس والستين بعد المائتين من نوادر الأصول فقال حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أى الأعمال أفضل قال العلم بالله ، ثم أتاه فسأله فقال مثل ذلك فقال يا رسول الله أنا أسألك عن العمل قال إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وإن الجهل لا ينفعك معه قليله ولا كثيره وقوله إن قليل العمل ينفع مع العلم أى فإنه يصححه وكثير العمل لا ينفع مع الجهل لأن المتعبد من غير علم كالحمار فى الطاحون وقد أخرجه الديلمى فى الفردوس عن أنس أيضاً ، ومن شواهده ما أخرجه أبو الشيخ عن عبادة العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل ، وأخرج ابن عبد البر عن أبى هريرة العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع وأخرج ابن أبى شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم .

(٣١) حديث ﴿ يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع علمى بينكم إلا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم ﴾ أخرجه الطبرانى من حديث أبى موسى بسند ضعيف قاله العراقى قال مرتضى وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان فى تاريخه قاله الحافظ بن حجر ولفظ الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء إنى لم أضع فيكم علمى إلا وأنا أريد أن لا أعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم قلت : أخرجه الطبرانى فى الكبير والصغير من رواية عمرو بن أبى سلمة التنيسى وأبو الشيخ فى الثواب وابن عبد البر فى العلم من رواية منبه بن عثمان كلاهما عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى موسى رفعه وصدقة وطلحة وموسى ضعفاء وأضعفهم طلحة وفى ترجمته أخرج ابن عدى هذا الحديث ويروى أيضاً من حديث أبى أمامة أو واثلة هكذا بالشك =

﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق . وقال علي أيضاً رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه ، وقال رضي الله تعالى عنه نظماً :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس؟ فقال العلماء قيل فمن الملوك؟ قال الزهاد قيل فمن السفلة؟ قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ، ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز الناس بها عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الثور أوسع بطناً منه ، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظم الله تعالى . وقال فتح الموصلي رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ، ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح

= رواه ابن عدي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن مكحول عنه مرفوعاً بلفظ إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال إني لم أستودع علمي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم أدخلوا الجنة وروى أيضاً من حديث ثعلبة بن الحكم أخرجه الطبراني من رواية سماك بن حرب عنه رفعه يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي ، ومن شواهده ما أخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي بسند ضعيف عن جابر رفعه يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة ، ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت من أدبهم وذكر أبو الطيب في البحر الزاخر ، حكى أن إسمعيل بن أبي رجاء قال رأيت محمد بن الحسن الشيباني في المنام فقلت له : ما فعل الله بك فقال : غفر لي ثم قال لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم في جوفك وإنما ختم المصنف بهذا الحديث تفاؤلا بقوله فقد غفرت لكم إشارة إلى أن مآل العالم بالله العامل لله الغفران ، وهذا ختام حسن نسأل الله حسن الخاتمة .

لعله حديث أو قول مأثور

فى الحال ، وإن كان واقعاً فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً عظيما ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء . وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فو الذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحداً لم يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم ه وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلىّ من إحيائها ، وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن فى قوله تعالى « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة وفى الآخرة هى الجنة ه وقيل لبعض الحكماء أى الأشياء تقتنى ؟ قال الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعنى العلم . وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت ، وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً ، ومن عرف الحكمة لاحظته العيون بالوقار ه وقال الشافعى رحمة الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو فى شىء حقير فرح ومن رفع عنه حزن ه وقال عمر رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه من طلب باباً من العلم رداه الله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنباً استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت ه وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أرباباً وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره ه وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت بأى شىء أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له ه وقال الزبير بن أبى بكر كتب إلى أبى بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا ه وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره ه وقال الزهرى رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

﴿ فضيلة التعلم ﴾

أما الآيات فقوله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » وقوله : عز وجل : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وأما الأخبار فقوله ﷺ [٣٢] ﴿ من سلك طريقاً

---

(٣٢) حديث ﴿ من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ﴾ قال العراقى : ورد من حديث أبى الدرداء وأبى هريرة ، أما حديث أبى الدرداء فرواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه فى أثناء حديث وقد تقدم فى الحديث الثانى من هذا الباب ، وهذا لفظ الترمذى إلا أنه قال : يبتغى به بدل يطلب فيه وتقدم لفظ أبى داود ، وقال ابن ماجه يلتمس بدل يطلب وقال :=

يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة »

= سهل الله له،وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم وابن ماجه من رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه بلفظه إلا أن مسلما قال سهل الله له وقال ابن ماجه به وقال أيضاً يلتمس بدل يطلب اهقال مرتضى : وعزا الجلال في ذيله على الجامع إلى الإمام أحمد والأربعة وابن حبان كلهم عن أبي الدرداء بلفظ يطلب فيها علما سهل الله له طريقا من طرق الجنة ونص الترمذي في جامعه ، حدثنا محمود بن خداش عن محمد بن يزيد الواسطي عن عاصم بن رجاء أبي حيوة عن قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من سلك طريقاً يطلب فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، ثم ساق جملا مضى ذكر بعضها في أحاديث فضل العلم ويأتي بعضها ، ثم قال : كذا حدثنا محمود وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء وهذا أصح من حديث محمود ولا يعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم ، وفي العلل للدارقطني رواه الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم ، عن كثير بن قيس قال وعاصم بن رجاء ، ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء ، وقال البزار داود بن جميل وكثير بن قيس لا يعلمان في غير هذا الحديث ، ولا نعلم روى عن كثير غير داود والوليد بن مرة ولا نعلم روى عن داود غير عاصم قال ابن القطان : اضطرب فيه عاصم فعنه في ذلك ثلاثة أقوال أحدها قول عبد الله بن داود: عن عاصم عن واقد عن كثير بن قيس ، والثاني قول أبي نعيم عن عاصم عمن حدثه عن كثير ، والثالث قول محمد بن يزيد الواسطي عن عاصم عن كثير ولم يذكر بينهما أحداً والمتحصل من علة هذا الخبر هو الجهل بحال راويين من رواته والاضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته اهـ وقد مر عند الترمذي في رواية محمود بن خداش عن محمد بن يزيد فسماه قيس بن كثير فصار اضطرابا رابعا والخامس قال في التهذيب داود بن جميل ، وقال بعضهم الوليد بن جميل وفي جامع العلم لابن عبد البر من رواية ابن عياش عن عاصم بن جميل بن قيس ثم قال قال حمزة بن محمد كذا قال ابن عياش في هذا الخبر جميل بن قيس ، وقال محمد بن يزيد وغيره عن عاصم عن كثير بن قيس قال : والقلب إلى ما قاله محمد بن يزيد أميل وهذا اضطراب سادس وسابع وثامن ذكره ابن قانع في المعجم وزعم أن كثير بن قيس صحابي وأنه هو الراوي عن النبي ﷺ وتبعه ابن الأثير على هذا ، وقول ابن القطان لا يعرف كثير في غير هذا الحديث، يرده قول ابن عبد البر ، روى عن أبي الدرداء وعبد الله بن عمر ومع ذلك فقد قال ابن عبد البر قال حمزة وهو حديث حسن غريب والتزم الحاكم صحته ، وكذا ابن حبان رواه عن محمد بن إسحق الثقفي ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا عبد الله بن داود فذكره بطوله وقال الترمذي بعد إخراجه للجملة الأولى من الحديث عن أبي هريرة حسن قال القسطلاني وإنما لم يقل صحيح لتدليس الأعمش لكن في رواية مسلم عن الأعمش حدثنا أبو صالح فانتفت تهمة تدليسه اهـ ، وقال الحاكم في المستدرك فهو صحيح على شرطهما ، رواه عن الأعمش جماعة منهم زائدة وأبو معاوية

• وقال ﷺ [٢٣] ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ﴾ .

ﷺ وابن نهى إ هـ . وأورده البخارى فى أول صحيحه ولفظه سهل الله له طريقاً إلى الجنة والباقى مثل سياق مسلم والحديث محفوظ وله أصل وقد تظاهر الشرع والعقل على أن الجزاء من جنس العمل فكما سلك طريقاً يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقاً يحصل له ذلك وروى ابن عدى من حديث ابن عبدالملك الأنصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة مرفوعاً أوحى إلىّ أنه من سلك مسلكا يطلب العلم سهلت له طريقاً إلى الجنة ، قال العينى وابن حجر وإنما لم يفصح البخارى بكونها تعليقاً للعلل التى ذكرت ، وقال المناوى فى شرح الحديث طريقاً أى حسية أو معنوية ، وعلما نكره ليعم كل علم شرعى وآلته ومعنى تسهيل الطريق فى الدنيا أن يوفقه للعمل الصالح ، وفى الآخرة بأن يسلك به طريقاً لا صعوبة فيها ولا هول إلى أن يدخله الجنة سالماً .

• (٢٣) حديث ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ﴾ قال العراقى أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وهذا اللفظ لأحمد ، وفى رواية له ما من خارج يخرج من بيته إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع وهو لفظ ابن ماجه وقال الحاكم يصنع وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبى الدرداء وقالوا رضا لطالب العلم ، ليس فيه بما يصنع وأخرجه الذهبى فى كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله قال مرتضى : أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر والطيالسى والبزار والديلمى ولفظهم طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يطلب اه وأما حديث أبى الدرداء فقد أخرجه الإمام أحمد أيضاً وابن ماجة وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسى أيضاً ولفظه بما يطلب كما للمصنف ، وقرأت فى إصلاح المستدرك للحافظ العراقى بخطه ، وقد ساق هذا الحديث من طريق الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش أتيت صفوان بن عسال المرادى ، فقال ما جاء بك؟ قال فقلت جئت لأطلب العلم قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من خارج يخرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع ثم قال وأخرجه الطبرانى عن إسحق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مثله وهو حديث صحيح أخرجه ابن ماجه عن محمد بن يحيى عن عبد الرزاق مقتصراً على المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه ورواه ابن حبان فى صحيحه فى ثلاثة أنواع عن ابن خزيمة عن محمد بن يحيى ومحمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال فى نوع منها وأخبرنا محمد بن إسحق بن خزيمة بخبر غريب ورواه الحاكم عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن زر عن صفوان قوله غير مرفوع وزاد فى آخره حتى يرجع ، وقال هذا إسناد صحيح فإن عبد الوهاب بن بخت من ثقات المصريين وأثباتهم ، وقد احتجا به ولم يخرجا هذا الحديث قال : ومدار هذا الحديث على عاصم عن زر ، وله عن زر شهود ثقات غير عاصم منهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه ثم رواه من رواية عارم عن الصعق بن حزن عن على بن الحكم عن المنهال بن عمرو عن زر بلفظ

• وقال ﷺ [٣٤] لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ﴾ .

= ابن حبيش قال جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ فذكره مرفوعاً لكنه مرسل كما سيذكره بعد ثم قال الحاكم ، وقد خالفه شيبان بن فروخ ، فقال حدثنا الصعق بن حزن حدثنا علي بن الحكم البناني عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال حديث صفوان بن عسال المرادي قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في قبة من أدم أحمر فقلت يا رسول الله إني جئت أطلب العلم فقال مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب قال هذا حديث رجاله يحتج بهم في الصحيح إلا أنه ذكره ابن مسعود فيه نوع من المزيد في متصل الأسانيد ، وقال وقد صرح زر بسماعه له من صفوان ويحتمل أنه سمعه من ابن مسعود عن صفوان ثم سمعه من صفوان ثم قال الحاكم وقد أوقف هذا الحديث جماعة منهم أبو الجواب الكلبي عن طلحة بن مصرف عن زر ثم رواه من رواية الحسن بن صالح عن أبي الجواب موقوفاً على صفوان والذي أسنده أحفظ والزيادة منهم مقبولة ، وهذا حديث صحيح ، وقد أورد العراقي على الحاكم في هذا السياق ثمان مؤاخذات تركتها خوف الإطالة ، والله أعلم .

(٣٤) حديث ﴿ لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ﴾ وفي بعض النسخ مائتا ركعة ، قال العراقي رواه ابن عبد البر من رواية علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ فذكره وابن جدعان ضعيف والحديث عند ابن ماجه من هذا الوجه إلا أنه قال ألف ركعة وزاد فيه عمل به أو لم يعمل به وزاد في أوله لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وإسناد ابن ماجه منقطع فإنه عنده من رواية عبد الله بن غالب العباداني عن عبد الله ابن زياد البحراني هكذا معنعناً ، وفي رواية ابن عبد البر : عبدالله بن غالب العباداني ، قال حدثنا خلف ابن أعين عن عبد الله بن زياد فزاد فيه رجلا . اه . قال مرتضى قال ابن القيم أخرجه ابن عبد البر عن معاذ مرفوعاً ولا يثبت رفعه هكذا قاله عن معاذ ولعله سهو من قلم الناسخ ، وأما حديث ابن ماجه الطويل فأخرجه الحاكم أيضاً في تاريخه ويأتي بطوله إن شاء الله تعالى ، وروى الطبراني في الأوسط من رواية ابن جدعان عن ابن المسيب عن أبي ذر مرفوعاً باب من العلم يتعلمه أحدكم خير له من مائة ركعة يصليها تطوعاً وروى المخلص في فوائده عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل حدثنا حجاج ابن نصير حدثنا هلال بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي هريرة وأبي ذر أنهما قالا : باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً ، وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً ، وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً ، ورواه ابن أبي داود عن شاذان عن حجاج به . وروى الخطيب عن أبي هريرة قال : لأن أعلم باباً من العلم في أمر أو نهي أحب إلي من سبعين غزوة في سبيل الله .

• وقال ﷺ [٣٥] ﴿ باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ﴾ .

• وقال ﷺ [٣٦] ﴿ اطلبوا العلم ولو بالصين ﴾ .

• وقال ﷺ [٣٧] ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ .

---

(٣٥) حديث ﴿ باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ﴾ قال العراق : لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا ، وهو معروف هكذا من قول الحسن البصري رويناه فى أمالى أبى عبد الله بن منده ورواه ابن عبد البر فى العلم وابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا عن الحسن اهـ . ويروى عن الحسن لأن أتعلم بابا من العلم فأعلمه مسلما أحب إلى من أن يكون لى الدنيا كلها فى سبيل الله .

(٣٦) حديث ﴿ اطلبوا العلم ولو بالصين ﴾ قال العراق : أخرجه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب والمدخل من حديث أنس وقال البيهقى متنه مشهور وأسانيده ضعيفة ، وابن عبد البر فى العلم من رواية أبو عاتكة وأخرجه ابن عبد البر أيضاً من رواية الزهرى عن أنس ، وفى إسناده يعقوب بن إسحق العسقلانى فقد كذبه البيهقى قال مرتضى رواه من طريق عبيد بن محمد عن ابن عيينة عن الزهرى قاله السخاوى اهـ . وأخرجه ابن عدى أيضاً من رواية الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه ثم قال هذا من وضع الجويبارى لابن كرام ، باطل بهذا الإسناد اهـ . قلت وحديث أنس أيضاً أخرجه الخطيب فى الرحلة والديلمى فى مسند الفردوس وزادا كالبيهقى وابن عبد البر بآخره فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال الحافظ فى اللسان وقد روى أيضاً من طريق النخعى سمعت أنساً وهو باطل أيضاً فإن النخعى لم يسمع من أنس اهـ . وقد روى هذا الحديث عن أبى عاتكة ستة محمد بن غالب التمتام وجعفر بن هاشم والحسن بن على بن عباد وأبو بكر الأعين والعباس بن طالب والحسن بن عطية ، وقد خرج الخطيب هذا الحديث فى رحلته من طرق هؤلاء وكذا البيهقى والديلمى وابن عدى والعقيلى وتمام وقد ألفت فى تخريجه والحديث الذى قبله جزءاً لطيفاً أوردت فيه ما تيسر لى من الأسانيد .

(٣٧) حديث ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ لم يخرجه العراق . قال مرتضى أخرجه ابن عدى والبيهقى عن أنس والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود ، وفى الأوسط عن ابن عباس وفيه أيضاً ، وكذا البيهقى عن أبى سعيد وتمام فى فوائده عن ابن عمر والخطيب فى تاريخه عن على قال مرتضى أما حديث أنس فأخرجه الخطيب فى رحلته من رواية طريف بن سليمان وأبو على الحداد فى معجم شيوخه من رواية هشام بن الصلت عن مسلم وابن خسرو فى مسنده من رواية أحمد بن الصلت عن بشر بن الوليد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة وابن عدى فى الكامل من رواية معاذ بن رفاعة عن عبد الوهاب بن بخت وابن ماجه فى سننه من رواية محمد بن سيرين خمستهم عن أنس ورويناه فى الكامل من رواية أحمد بن عبد الملك عن نافع عن ابن عمر .

= وعن محمد بن المنكدر عن جابر وفى مشيخة أبى على بن شاذان من طريق حماد عن أبى وائل عن ابن مسعود وفى معجم شيوخ الحداد من رواية الشعبى عن ابن عباس قال البيهقى فى الشعب متنه مشهور وإسناده ضعيف ، وقد روى من أوجه كلها ضعيفة وقال النووى فى فتاويه هو حديث ضعيف وإن كان معناه صحيحاً ، وقال البزار أسانيده واهية ، وقال ابن القطان لم يصح فيه شىء وأحسن ما فيه ضعيف وسكت عنه مغلطاى وقال البدر الزركشى روى عن عدة من الصحابة وفى كل طرقه مقال وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس وطريق مجاهد عن ابن عمر وقد أخرجه ابن ماجه فى سننه عن كثير بن شنظير عن ابن سيرين عن أنس وفيه زيادة وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب وكثير بن شنظير مختلف فيه ، فالحديث حسن ، قال ابن عبد البر روى من وجوه كلها معلولة ثم حكى عن إسحق بن راهويه ما معناه أن فى أسانيده مقالا ولكن معناه صحيح عندهم ، وقال البزار أحسن طرقه ما رواه إبراهيم بن سلام عن حماد عن إبراهيم عن أنس قال ولا نعلم إسناد إبراهيم عن أنس سواه وإبراهيم بن سلام لا نعلم روى عنه إلا أبو عاصم وأخرج ابن الجوزى فى منهاج العابدين من رواية أبى بكر بن أبى داود ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيى بن حسان عن سليمان بن قدم عن ثابت عن أنس فذكره ثم قال ابن أبى داود سمعت أبى يقول ليس فى طرقه أصح من هذا وقال السخاوى فى المقاصد أخرجه ابن ماجه وابن عبد البر فى بيان العلم له من حديث حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن محمد ابن سيرين عن أنس مرفوعا بتلك الزيادة وحفص ضعيف جداً بل اتهمه بعضهم بالكذب والوضع وقيل عن أحمد إنه صالح ولكن له شاهد عند ابن شاهين فى الأفراد ورويناه فى ثانى الشمعونيات من حديث موسى بن داود حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس به وقال ابن شاهين إنه غريب قلت ورجاله ثقات بل يروى عن نحو عشرين تابعيا عن أنس كإبراهيم النخعى وثابت وإسحق بن عبد الله بن أبى طلحة وثابت وله عنه طرق وحميد والزبير بن الخريت وزياد بن ميمون بن عمار أو ابن عمار وسلام الطويل وطريف بن سليمان بن عاتكة وقتادة والمثنى بن دينار ومحمد بن الزهرى ومسلم الأعور كلهم عن أنس ولفظ حميد طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم ولزياد والله يحب إغاثة اللهفان ولأبى عاتكة فى أوله اطلبوا العلم ولو بالصين وفى كل منهما مقال ولذا قال ابن عبد البر فساق ما أوردناه آنفا ثم نقل عن البزار ما قدمنا ذكره ثم قال وهو عند البيهقى فى الشعب وابن عبد البر فى العلم وتمام فى فوائده من طريق عبد القدوس بن حبيب الوحاظى عن حماد ثم ساق طريق ابن أبى داود الذى قدمناه قال وكذا رواه ابن عبد البر من جهة جعفر بل وفى الباب عن أبى وجابر وحذيفة والحسين بن على وسلمان وسمرة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلى ومعاوية بن حيدة ونبيط بن شريط وأبى سعيد وأبى هريرة وعائشة بنت قدامة وأم هانىء وآخرين ، وقال أبو على الحافظ إنه لم يصح عن النبى ﷺ ثم ساق كلام ابن الجوزى فى العلل ونقل عن الإمام أحمد أنه قال لا يثبت عندنا فى هذا الباب شىء ، ثم نقل كلام =

• وقال عليه الصلاة والسلام [٣٨] ﴿ العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر أربعة : السائل والعالم والمستمع والمحب لهم ﴾ . • وقال ﷺ [٣٩] ﴿ لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ﴾ .

= ابن راهويه وكلام القطان وكلام البيهقى ، ثم قال : ومثل به ابن الصلاح للمشهور الذى ليس بصحيح وتبع فى ذلك أيضاً الحاكم ولكن قال العراقى قد صحح بعض الأئمة طرقه اهـ . كلام السخاوى وقال المزنى هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن وقال السيوطى فى التعليقة المنيفة وعندى أنه يبلغ رتبة الصحيح لأنى رأيت له نحو خمسين طريقاً وقد جمعتها فى جزء ونقل المنازى عنه قال جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره ولم أصحح حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواه اهـ . قلت إن أراد السيوطى بأنه لكثرة طرقه ارتقى من الضعف إلى الصحة ، فهذا منظور فيه لأن كثرة الطرق لا ترقى الحديث إذا كان فيها لعقالسكما صرح به الحافظ وغيره وتقدم ذلك فى حديث من حفظ على أمتى وإن كان اعتمد على طريق قتادة وثابت فالأمر سهل ، قال السخاوى وقد ألحق بعض المصنفين فى آخره ومسلمة وليس لها ذكر فى شىء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى والله أعلم .

(٣٨) حديث ﴿ العلم خزائن مفاتحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم ﴾ والمراد بالسؤال سؤال تفهم لا تعنيت فذلك منهى عنه ، قال العراقى أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية داود بن سليمان الغازى عن على بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله ﷺ فذكره ورواه الخطيب فى كتاب الفقيه والمتفقه من طريق الطبرانى عن عبد الله بن أحمد ابن عامر عن أبيه عن على بن موسى قال فى الميزان ما ينفك عن وضعه أو وضع أبيه وأيضاً فداود الغازى كذبه ابن معين وله نسخة موضوعة على أهل البيت وهذا الحديث معروف من قول الزهرى رواه عبد الغنى ابن سعيد فى كتاب آداب الحديث والمحدث اهـ . قال مرتضى وأخرجه العسكرى فى الأمثال بمثل رواية الحلية وأورده صاحب القوت فقال وفى الخبر الذى رويناه من طريق أهل البيت وساقه وزاد فى الميزان أن تلك النسخة الموضوعة رواها عن داود الغازى على بن محمد بن مهرويه القزوينى العدوى فيها هذا الحديث اهـ . وأما عبد الله بن محمد بن عامر الطائى فقد ذكره ابن النجار فى تاريخه فى ترجمة على الرضا وذكر له جملة أحاديث رواها عنه بواسطة أبيه ، وأما قوله وهذا الحديث معروف من قول الزهرى فقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال العلم خزائن وتفتحها المسائل ، وأخرج أيضاً من رواية قتيبة بن سلمة حدثنا رشدين بن سعد عن ابن شهاب قال مثله وأخرج من رواية محمد بن إسحق عن الزهرى قال كان يصطاد العلم بالمسألة كما يصطاد الوحش .

(٣٩) حديث ﴿ لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ﴾ هكذا أورده صاحب القوت فقال وكذلك روينا عن رسول الله ﷺ لا ينبغى للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغى للعالم أن يسكت عن علمه ، وقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال العراقى رواه =

* [٤٠] وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه ﴿ حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال ﷺ وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ﴾ .

= ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين وأبو بكر بن مردويه فى تفسيره وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من رواية محمد بن أبى حميد عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ فذكره وقدم ذكر العالم وفى آخره فإن الله قال « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ومحمد بن أبى حميد منكر الحديث قاله البخارى وغيره اهـ. قال مرتضى هو حماد بن أبى حميد إبراهيم الزرق الأنصاوى أبو إبراهيم المدنى من رجال الترمذى وابن ماجه ضعيف وقد أخرجه الطبرانى فى الأوسط من هذه الطريق وسياقه كسياق الجماعة .

(٤٠) حديث ﴿ حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة . فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال وهل ينفع القرآن إلا بالعلم ﴾ قال العراقى ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ، ولم أجده من طريق أبى ذر قال مرتضى : قال ابن الجوزى روى محمد بن على بن عمر المذكر قال حدثنا إسحق بن الجعد حدثنا أحمد بن عبد الله الهروى حدثنا إسحق ابن نجيح حدثنا هشام بن حسان حدثنا محمد بن سيرين حدثنا عبيدة السلمانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وأنا شاهد فقال يا رسول الله إذا حضرت جنازة وحضر مجلس عالم أيهما أحب إليك أن أشهده ؟ فقال : إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإن حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيعها ومن حضور ألف مريض تعوده ومن قيام ألف ليلة للصلاة ومن ألف يوم تصومه ، ومن ألف درهم تتصدق بها ، ومن ألف حجة سوى الفرض . ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها فى سبيل الله بنفسك . ومالك الحديث وفيه فقال رجل : قراءة القرآن ؟ فقال ويحك وما قراءة القرآن بغير علم ، وما الحج بغير علم ، وما الجمعة بغير علم ، أما علمت أن السنة تقضى على القرآن والقرآن لا يقضى على السنة ، قال ابن الجوزى هذا حديث موضوع . أما المذكر فقال أبو بكر الخطيب هو متروك ، وأما الهروى فهو الجويبارى وهو الذى وضعه ، وإسحق بن نجيح قال أحمد أكذب الناس اهـ . قال مرتضى ونص ابن الجوزى بعد قوله بنفسك ومالك ، وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم ، أما علمت أن الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة فى العلم وشر الدنيا والآخرة فى الجهل ، فقال رجل الخ ، وقد أقره على كونه موضوعاً الحافظ بن حجر فى اللسان ، وقال هذا من طامات الجويبارى وتبعه الحافظ السيوطى فى اللآلىء المصنوعة ، وقد وجدت لحديث أبى ذر طريقاً أخرى أخرجه ابن ماجه كما فى الذيل للسيوطى والحاكم فى تاريخه كما فى الجامع الكبير له فى مسند أبى ذر ولفظه يا أبا ذر لأن تغدو فى أن تتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ولأن تغدو فتتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى ألف ركعة تطوعاً فيحتمل أن الشيخ أشار إلى هذا والله أعلم =

• وقال عليه الصلاة والسلام [٤١] ﴿ من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة ﴾ .

= وأخرج الخطيب وابن النجار فى تاريخهما عن ابن عباس مرفوعاً من تعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به ، كان أفضل من صلاة ألف ركعة فإن هو عمل به أو علمه كان له ثوابه وثواب من يعمل به إلى يوم القيامة .

(٤١) حديث ﴿ من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة ﴾ قال العراقى رواه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف والهروى فى ذم الكلام من رواية عمرو بن أبى كثير عن أبى العلاء عن الحسين بن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من جاءه الموت فذكره وزاد فيه فمات على ذلك وفى رواية الهروى عمرو بن كثير وهكذا رواه الدارمى فى مسنده إلا أنه قال عن الحسن ولم ينسبه ، وأطلقه ابن السنى فى رياضة المتعلمين وابن عبد البر فى العلم ، وقال بعد ذلك إنه من مراسيل الحسن لجعله ، للحسن البصرى وهذا هو الظاهر فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا فى أتباع التابعين من الثقات ، وقال إنه يروى عن الحسن وإنه روى عنه ابن عيينة وقد اختلف فيه على عمرو بن أبى كثير فقصره بعضهم على الحسن وزاد بعضهم بعد الحسن ابن عباس وهو حديث مضطرب اهـ . ورواه يونس بن عبد الأعلى عن ابن أبى فديك قال حدثنى عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن مرسلا هكذا قال عمرو بن كثير وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلا وأخرجه ابن النجار عن الحسن عن أنس إلا أنهما قالا يحيى به الإسلام لم تكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة فى الجنة قال العراقى ويروى أيضاً عن ابن عباس رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين من رواية عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن عن ابن عباس ، قال قال رسول الله ﷺ من جاء أجله وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم تفضله النبيون إلا بدرجة واحدة وعمرو بن كثير لا أدرى من هو وقد اختلف عليه فيه كما تقدم ورواه الأزدى فى الضعفاء وأبو نعيم فى كتاب فضل العالم العفيف وابن عبد البر فى العلم من رواية محمد ابن الجعد عن الزهرى وعلى بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس ومحمد بن الجعد ضعفه الأزدى اهـ . وعقب مرتضى ومحمد بن كثير ذكره الذهبى فى ذيل الديوان ، وقال يروى عن أبى الزناد مجهول وأخرج ابن الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقى الله لم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة وأخرجه الخطيب من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عباس من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يفضله إلا النبيون ، وقال العراقى ، ويروى من حديث أبى الدرداء رواه أبو نعيم فى كتاب فضل العالم العفيف من رواية عبد الله بن زياد عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من طلب باباً من العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة فى الجنة وابن جدعان مشهور بالضعف وعبد الله بن زياد البحرانى قال فيه الذهبى لا أدرى من هو اهـ . قال مرتضى ، وقد أخرجه كذلك ابن النجار فى تاريخه وقال العراقى =

* ﴿ وأما الآثار ﴾ ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالباً فعززت مطلوباً ، وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهاً وإذا تكلم فأعرب الناس لساناً . وإذا أفتى فأكثر الناس علماً ، وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة * وقال بعض الحكماء إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلىّ من قيام ليلة ، وقال أيضاً العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم ، وقال أيضاً : كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك * وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو ، وقال عمر رضى الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه ، وقال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة ، وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى ، فقال يا هذا ما الذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية ، وقال أبو الدرداء رضى الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله .

﴿ فضيلة التعليم ﴾

أما الآيات فقوله عز وجل : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » والمراد هو التعليم والإرشاد ، وقوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه » ، وهو إيجاب للتعليم ، وقوله تعالى : « وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة : « ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » ، وقال صلى الله عليه وسلم [٤٢] ﴿ ما آتى الله عالماً علماً إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه

= ويروى من حديث أنس رواه سليم الرازى فى الترغيب والترهيب ولفظه : من طلب يعنى العلم حتى يأتيه الموت لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة وإسناده ضعيف اه . قال مرتضى تقدم أن ابن النجار أخرجه من رواية الحسين عن أنس ، وقال ابن عبد البر ومنهم من رواه عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وعن أبى ذر ومنهم من يرسله عن سعيد وذكر أبو نعيم أنه يروى من حديث معاوية بن حيدة أيضاً ولم يوصل إسناده ، والحديث مضطرب الإسناد جداً اه .

(٤٢) حديث ﴿ ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه ﴾ قال العراقى يروى عن أبى هريرة وابن مسعود أما حديث أبى هريرة فرويناه فى جزء ابن نظيف وفى فوائد الخلعى من طريقه من رواية موسى بن محمد عن زيد بن مسور عن ابن المسيب عن =

للناس ولا يكتمونه ﴾ وقال تعالى : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً » وقال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وقال تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

ه. وأما الأخبار فقوله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن [٤٣] ﴿ لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيها ﴾ . را الصحيح ٤٢٠/٧ على كذا حديث البخاري

= أبي هريرة رفعه ، وفيه أن لا يكتم وموسى بن محمد البلقاوى كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ورواه ابن الجوزى في العلل المتناهية من طريقه وأعله به وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عبد الملك بن عطية عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة وعبد الملك بن عطية قال فيه الأزدى ليس حديثه بالقائم ، وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من رواية عبد الله بن صالح عن محمد بن عبد الله الموصلي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليس من عالم إلا وقد أخذ الله عليه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين وعبد الله بن صالح مختلف في الاحتجاج به اهـ . قال مرتضى : أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه العراقى في جزء له ألفــه في الذب عن مسند الإمام أحمد وساق سنده إلى محمد ابن الفضل بن نظيف أخبرنا أحمد بن الحسين الرازى أخبرنا بكر بن سهل الدمياطى ، حدثنا موسى ابن محمد فذكره ثم قال موسى بن محمد هو البلقاوى متهم ، لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه في كتاب فضل العالم العفيف لأبي نعيم ، وقال تلميذه الحافظ ابن حجر في القول المسدد بعد أن نقل كلام شيخه هذا احتجاجه بهذا الحديث واعترافه بأن موسى البلقاوى متهم ، أى أن الحفاظ اتهموه بالكذب لا يصح لأنه لذلك لا يحتج بحديثه ، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة وفيه من لا يعرف وهو من رواية محمد بن عبدة القاضى ، وكان يدعى سماع ما لم يسمع وهو مشهور اهـ . كلام الحافظ . وقد أورد الديلمي في الفردوس هذا الحديث عن أبي هريرة وساقه ثم قال وفي الباب عن ابن عباس وعلى بن أبي طالب ، ولفظ الأخير ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلمه .

(٤٣) حديث ﴿ ... من الدنيا وما فيها ﴾ وفي نسخة خير لك من حمر النعم قال العراقى : رواه أحمد في مسنده قال حدثنا حيوة بن شريح حدثنى بقية حدثنى ضبارة بن عبد الله عن دريد بن نافع عن معاذ ابن نافع عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له يامعاذ لأن يهدى الله على يديك رجلا من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حمر النعم ، وإسناده منقطع لأن دريد بن نافع لم يسمع من أحد الصحابة إنما أرسل عنهم اهـ . وقال العراقى : وفي الباب عن سهل بن سعد رواه البخارى ومسلم والنسائى من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد في قصة بعث النبي ﷺ على بن أبي طالب إلى خيبر وفي آخره فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم اهـ . قال مرتضى ولفظ البخارى في الصحيح : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم أخبرني سهل بن سعد أن =

مختلف فيه الحديث

• وقال ﷺ [٤٤] ﴿ من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقاً ﴾ • وقال عيسى ﷺ من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات .

• وقال رسول ﷺ [٤٥] ﴿ إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض

= رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، فذكر الحديث في طلبه علياً وإعطائه الراية وفيه ، فقال علي : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال اقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدى بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم وأخرج الطبراني والترمذي الحكيم عن أبي رافع قال : بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن فعقد له لواء فلما مضى قال : يا أبا رافع ألحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه ، فأتاه فأوصاه بما شاء وقال لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ، قال البيهقي : فيه يزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس ذكره المزي في الرواية عن أبي رافع وابن حبان في الثقات وأخرج أبو داود عن سهل ابن سعيد بلفظ والله لأن يهدى بهداك رجل خير لك من حمر النعم .

(٤٤) حديث ﴿ من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقاً ﴾ قال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الله الحاكم ، قال : حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا جعفر بن سهل المذكور ، حدثنا محمد بن مروان الاميدى ، حدثنا الجارود بن يزيد ، حدثنا محمد بن علاثة القاضي ، حدثنا عبدة بن أبي أمامة عن الأسود بن يزيد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا كذا قال نبياً وهو منكر وجعفر بن سهل والجارود بن سهل كذابان ومحمد بن عبد الله بن علاثة القاضي مختلف في الاحتجاج به اهـ قال مرتضى : وفي الفردوس للديلمي عن أنس من تعلم باباً من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدمين الأخيار الأبرار الأتقياء وله في الجنة سبعون قهرماناً قال العراقي : وللطبراني في المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال : حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي عن مكحول عن أبي أمامة رفعه : أيما ناشيء نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقاً ، ويوسف بن عطية الصفار منكر الحديث ، ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية أبي سنان الشامي عن مكحول مقتصراً على ذكر العبادة ، وقال : أجر تسعة وتسعين صديقاً وأبو سنان هو القسملي ، مختلف فيه .

(٤٥) حديث ﴿ إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين : ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا ، فيقول الله تعالى : أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ﴾ قال العراقي : رواه المرهبي في العلم عن رواية محمد بن الشائب عن

• وقال ﷺ [٤٧] ﴿ من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ﴾ . صحيح

= لم يترك عالما اتخذ الناس رءوساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغـير علم فضلوا وأضلوا لفظ مسلم ، وقال البخارى من العباد بدل من الناس وقال حتى إذا لم يبق ، وفى رواية له إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون ، وفى لفظ لمسلم إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلماء فينتزع العلم معهم ويبقى فى الناس رؤساء جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون ، وفى رواية لعبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم ، فيضلوا ويضلوا. رواه النسائى ا هـ . قلت ورواه الإمام أحمد فى مسنده وسياقه كسياق البخارى وزاد الترمذى حسن صحيح وأخرجه الخلعى فى فوائده وزاد فى آخره عن سواء السبيل وأخرجه ابن عساكر برواية يحيى بن يحيى ابن عبد الرحمن عن عباد بن عباد ومن طريق هشام بن عمار عن عبد الله بن الحرث الجمحى كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه ، وقال الحافظ ابن حجر : قد اشتهر هـذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفسا عنه ا هـ . قال مرتضى منها ما أخرجه البخارى فى العلم عن أبى أويس عن مالك عن هشام ورواه مسلم فى القدر عن قتيبة عن جرير وعن أبى الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد وعن يحيى بن يحيى عن عباد بن عباد وأبى معاوية وعن أبى بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب كلاهما عن وكيع وعن أبى كريب عن أبى عبد الله بن إدريس وأبى أسامة وعبد الله بن نمير وعبدة بن سليمان وعن ابن أبى عمر عن سفيان بن عيينة ، وعن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد وعن أبى بكر بن نافع عن عمر ابن على المدينى وعن عبد بن حميد عن يزيد بن هرون عن شعبة الثلاثة عشر كلهم عن هشام ، ويروى أيضاً من حديث عائشة وأبى هريرة وأبى سعيد لحديث عائشة عند البزار من رواية يونس عن الزهرى عن عروة عنها وقال : تفرد به يونس ، وأما حديث أبى هريرة فعند الطبرانى فى الأوسط من رواية العلاء ابن سليمان الرقى عن الزهرى عن أبى سلمة عنه ، وقال تفرد به العـلاء ، وأما حديث أبى سعيد فرواه الطبرانى فيه أيضـاً من رواية عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عنه ، وقال تفرد به الحجاج ابن رشدين عن أبيه عن عمرو بن الحرث ، وقد جمع فى طرق هـذا الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب جزءاً حافلا .

(٤٧) حديث ﴿ من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ﴾ روى هذا عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وأبى سعيد وأنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وطلق بن على وجابر ولا يصح منها إلا حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس ، ولم أره بلفظ المصنف إلا فى تاريخ ابن النجار عن ابن عمرو إلا ان فيه ثم كتمه ، أما حديث أبى هريرة قال العراق رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من رواية على بن الحكم عن عطاء بن أبى رباح عنه رفعه =

صحيح

ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ﴾ وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى .

* وقال ﷺ [٤٦] ﴿ إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ، ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويُضلون ﴾ . صحيح متفق عليه

أبى صالح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج ، فيقول للمرابطين والغزاة وأصناف الخير ادخلوا الجنة فيصيح العلماء صيحة واحدة فيقولون : يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلوا وزكوا وحجوا ، فيقول الله عز وجل : لستم عندى فى عداد أولئك ، أنتم عندى فى عداد الملائكة ، قفوا حتى تشفعوا لمن أحببتم ثم تدخلوا الجنة ، ومحمد بن السائب الكلبى ضعيف جداً ، ورواه ابن السنى مختصراً فى رياضة المتعلمين من رواية حبيب بن أبى حبيب ، حدثنا شبل بن عباد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رفعه : يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم اثبت تشفع للناس كما أحسنت أدبهم ، وحبيب بن أبى حبيب هو كاتب مالك ، كذبه ابن معين وغيره ، وقد رواه ابن عبد البر فى العلم ، فقال فيه حبيب بن إبراهيم قال : حدثنا شبل بن العلاء عن محمد بن المنكدر والصواب ما تقدم من أنه شبل بن عباد وهو القارىء المكى وقد أخرج له البخارى وحبيب بن إبراهيم هو كاتب مالك واسم أبيه ابراهيم على أحد الأقوال ، وقيل مرزوق وقيل زريق اهـ ، قلت وحديث جابر هذا قد أخرجه أيضاً ابن عدى فى الكامل والبيهقى وضعفه ، قال العراقى وروى الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من طريق ابن أبى عاصم ، حدثنا الحلوانى ، حدثنا حازم بن خزيمة عن عثمان ابن عمر القرشى عن مكحول عن أبى أمامة رفعه يجاء بالعالم والعابد ، فيقال للعابد أدخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس وحازم بن خزيمة هو أبو خزيمة البخارى ، قال السليمانى فيه نظر قال مرتضى ورواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بلفظ إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للفقيه اشفع تشفع ، ويروى أيضاً إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك ، ويقال للعالم اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس انتهى .

(٤٦) حديث ﴿ إن الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء ، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن يسألوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون ﴾ قال العراقى : أخرجه الستة خلا أبا داود من رواية عروة عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رفعه ولفظهم إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا =

. . . .

— ولفظه : من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة لفظ أبي داود ، وقال الترمذي من سئل عن علم علمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، وقال حديث حسن ، وقال ابن ماجه ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ، وقال ابن حبان من كتم علماً يلجم بلجام من نار يوم القيامة ، ورواه الحاكم في المستدرك من رواية القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن محمد بن ثور عن ابن جريج ، قال جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له تحدث هذا وهو عراقي ، فقال : لأني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال من سئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ، وقال هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال العراقي لا يصح من هذا الطريق لضعف القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي ، قال الدارقطني : حدثنا عنه وهو ضعيف ، فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه ، قال الدارقطني : في الجزء السابع من الأفراد : وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة ، ثم قال الحاكم ذاكرت شيخنا أبا علي بهذا الباب ثم سألته هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء فقال : لا ، قلت لم ؟ قال : لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة ثم رواه أبو علي عن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي عن أزهر بن مروان عن عبد الوارث بن سعيد عن علي بن الحكم عن عطاء عن رجل عن أبي هريرة قال الحاكم فقلت له قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبدع منهما الوهم ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن إبراهيم عن عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطاء عن أبي هريرة قال : فاستحسنه أبو علي واعترف لي به ، قال الحاكم : ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة اه .

وقال العراقي في إصلاح المستدرك ، وقد رواه أبو داود الطيالسي ؛ فقال : حدثنا عمارة بن زاذان حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رفعه ، من حفظ علماً فسئل عنه فكتمه جيء به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ، وقال هذا حديث حسن أخرجه الترمذي عن أحمد بن بديل اليامي عن عبد الله بن نمير وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أسود بن عامر كلاهما عن عمارة بن زاذان . وقد تابع عمارة عليه حماد بن سلمة أخرجه أبو داود عن موسى بن إسمعيل عنه وأخرجه ابن حبان في النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحق بن إبراهيم عن النضر بن شميل عنه وتابع علي بن الحكم على روايته سليمان التيمي وابن جريج ، قال العراقي : قد أعله أبو الحسن القطان في كتاب بيان الوهم والإيهام برواية عبد الوارث وإدخاله رجلا بين علي بن الحكم وعطاء قال : وقد قيل إنه حجاج بن أرطاة قلت : قد صح عن علي بن الحكم أنه قال في هذا الحديث حدثنا عطاء وهي رواية ابن ماجه فاتصل إسناده ثم وجدته عن جماعة صرحوا بالاتصال في الموضعين رويناه في الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمي وسعيد بن راشد ، قالوا حدثنا عطاء قال سمعت أبا هريرة قال ابن القطان واعلم أن له إسناداً صحيحاً ، —

. . . .

= ثم ذكره من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة قال ابن القطان هؤلاء كلهم ثقات ، قال العراقي وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أورده ابن ماجه ، وقال الحافظ ابن حجر في القول المسدد والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة لكنه صالح للحجة ، وهو على كل حال أولى من حديث البلقاوي يعني الذي تقدم ذكره وأما حديث ابن عمرو فقال العراقي : رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك ، فابن حبان من طريق أبي الطاهر بن السرح والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب عن عبد الله ابن عياش عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو رفعه ولفظه من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، قال الحاكم هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة ، قال العراقي في إصلاح المستدرك : أما على شرط الشيخين فلا ، وقد أعله ابن الجوزي في العلل المتناهية بأن فيه عبد الله بن وهب النسوب ، قال ابن حبان : دجال يضع الحديث ، قال العراقي : وهذا تخليط من ابن الجوزي ، وإنما هو عبد الله ابن وهب الإمام صاحب الإمام مالك والاسناد مصريون فلا التفات إلى كلام ابن الجوزي ولو أعله بعبد الله بن عياش لكان له وجه فقد ضعفه أبو داود والنسائي ، وهو قريب من ابن لهيعة وأخرج له مسلم حديثا واحداً ووثقه ابن حبان قلت وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبراني أيضاً في الكبير وأما حديث أبي سعيد الخدري ، فقال العراقي : رواه ابن ماجه من رواية محمد بن داب عن صفوان ابن سليم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه رفعه ولفظه من كتم علما مما ينفع الله به من أمر الناس في الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ومحمد بن داب كذبه أبو زرعة اهـ . قال مرتضى : وفي بعض نسخ السنن مما ينفع الله به الناس من أمر الدين وأما حديث أنس قال العراقي : رواه ابن ماجه أيضاً من رواية يوسف بن إبراهيم قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول من سئل عن علم فكتمه ... الحديث ويوسف هذا ضعفه أبو حاتم والبخاري اهـ . قلت : وأخرج ابن عدي عن أنس من كتم علماً عنده وأخذ عليه أجرة لقي الله يوم القيامة ملجما بلجام من نار وأما حديث ابن مسعود فرواه الطبراني بإسنادين ضعيفين ، قاله العراقي ، قلت ولفظه من كتم علما عن أهله ألجم يوم القيامة لجاما من نار هذا لفظ أبي داود وعند ابن عدي في الكامل والسجزي في الإبانة والخطيب في التاريخ من كتم علما ينتفع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني أيضاً بإسناد لا بأس به وأبو يعلى بإسناد جيد ، قاله العراقي ، قلت : ولفظه من كتم علما ينتفع به يعلمه الحديث وفي آخره زيادة ذكرناها في أول الفصل عند ذكر الآيات وأخرج ابن عساكر والخطيب والطبراني أيضاً بلفظ من سئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ، وأما حديث ابن عمر فقال العراقي رواه ابن عدي في الكامل من رواية حسان بن سياه عن الحسن =

ضعيف

• وقال ﷺ [٤٨] ﴿ نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها . إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها ، تعدل عبادة سنة ﴾ • وقال ﷺ [٤٩] ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه ، أو معلماً أو متعلماً ﴾ . حديث حسن

= ابن ذكوان عن نافع عن ابن عمر، وقال هذا الحديث عن نافع لا أعلم يروى إلا من هذا الوجه وحسان ابن سياه له أحاديث عامتها لا يتابعه غيره عليها والضعف بيّن على رواياته وحديثه اهـ . قال مرتضى : وأخرجه كذلك الطبراني فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد بلفظ حديث أبى هريرة ، وأما حديث طلق بن على فقال العراقى : رواه ابن عدى أيضاً والطبرانى من رواية أيوب بن عتبة عن قيس بن طلق عن أبيه ، قال ابن عدى وهذا الحديث بهذا الإسناد غريب جداً ، وأيوب ضعيف ، قاله ابن معين والبخارى اهـ . قال مرتضى : وأخرجه الخطيب أيضاً من هذا الطريق ، وأما حديث جابر فأخرجه السجزى فى الإبانة والخطيب فى التاريخ بلفظ من كتم علماً نافعاً عنده الخ . وهذا قد أغفله العراقى كما أغفل فى مخرجى حديث أبى هريرة الإمام أحمد والبيهقى .

(٤٨) حديث ﴿ نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمه إياها تعدل عبادة سنة ﴾ قال العراقى : رواه ابن عدى فى العلم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ ولم يذكر إسناده ، وقد أسنده الطبرانى فقال : حدثنا حجاج بن عمران السدوسى كاتب بكار القاضى حدثنا عمرو بن الحصين العقيلى حدثنا إبراهيم بن عبد الملك السلمى عن قتادة عن عروة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك فتعلمها إياه وعمرو بن الحصين تركه أبو حاتم وغيره .

(٤٩) حديث ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ... ﴾ قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه من رواية عطاء بن قرة قال : سمعت عبد الله بن حمزة قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الدنيا ... فذكره وقال وعالم أو متعلم لفظ الترمذى ، وقال حديث حسن غريب ، وقال ابن ماجه للدنيا وقال أو عالماً أو متعلماً اهـ . قال مرتضى وأخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من طريق وهيب عن عطاء بن قرة السلولى عن عبد الله بن حمزة ومن طريق إبراهيم الأسلمى عن رجل عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة ولم يذكر قتيبة يعنى شيخه فى الإسناد الأول عن أبى هريرة وسياقه كسياق المصنف إلا أنه ليس فيه وما والاه ، قال المناوى وعالماً ومتعلماً بنصبهما عطف على ذكر الله ووقع للترمذى وعالم ومتعلم لا لكونهما مرفوعين لأن الاستثناء من موجب بل إن طريقة كثير من المحدثين إسقاط الألف اهـ . وفيه تأمل قال العراقى وفى الباب عن ابن مسعود ذكره الدارقطنى فى العلل فقال : رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عبدة بن أبى أمامة عن شقيق عن عبد الله رفعه الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم أو متعلم وذكر الله وقال : هذا إسناد مقلوب ، وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء عن ابن ضمرة عن أبى هريرة ، وهو الصحيح .

• وقال ﷺ [٥٠] ﴿ إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير ﴾ • وقال ﷺ [٥١] ﴿ ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلّغه ﴾ • وقال ﷺ [٥٢] ﴿ كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة ﴾ .

---

(٥٠) حديث ﴿ إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير ﴾ قال العراقى : أخرجه الترمذى من رواية القاسم عن أبى أمامة رفعه فذكره ولم يقل فى البحر ، وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، وقد تقدم وقد فصله الطبرانى منه لجعلهما حديثين ، وقال فيه : وحتى الحوت فى البحر كما ذكره المصنف ، إلا أنه لم يقل وأهل السموات والأرض ، ويروى عن أبى هريرة أيضاً ، وقال مرتضى : وحديث أبى هريرة أخرجه الطبرانى فى الكبير أيضاً والضياء فى المختارة وسياقه كسياق حديث أبى أمامة .

(٥١) حديث ﴿ ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه ﴾ قال العراقى : رواه ابن عبد البر مع اختلاف مرسلا من حديث محمد بن المنكدر عن النبى ﷺ قال : من أفضل الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه ، وهو مرسل حسن الإسناد ، قال : ابن عيينة لم يدرك أحداً أجدر من أن يقبل الناس منه إذا قال قال رسول الله ﷺ من ابن المنكدر ، وروى أبو نعيم من رواية إسمعيل بن عياش عن عمارة عن غزية عن عبيد الله بن أبى جعفر عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى ، ورويناه من طريق أبى يعلى الموصلى من هذا الوجه وهو منقطع ، فإن عبيد الله بن أبى جعفر المصرى لم يسمع من عبد الله بن عمرو شيئا إنما روى عن التابعين اهـ ، قال مرتضى وأخرجه البيهقى فى الشعب وتعقبه بأن فى إسناده إرسالا بين عبيد الله وعبد الله ، وأورده الديلمى فى الفردوس بهذا اللفظ والضياء فى المختارة ولفظه ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية ، وفيه يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى ، وقال الذهبى فى الديوان عبيد الله بن أبى جعفر قال أحمد : ليس بالقوى ، قال المناوى وفى إسناده أيضاً إسمعيل بن عياش قالوا : ليس بالقوى وعمارة بن غزية ضعفه ابن حزم لكنه خولف وفى معنى الحديث قيل كلمة لك من أخيك خير لك من مال لأن الحكمة تنجيك والمال يطغيك .

(٥٢) حديث ﴿ كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ﴾ وفى بعض النسخ كلمة من الحكمة ، وسقطت الجملة الأخيرة من أكثر النسخ قال العراقى : رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد بن على بن الأشعث حدثنا شريح ابن عبد الكريم التميمى ، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ،

• [٥٣] وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال : ﴿ أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً ، ثم عدل إليهم وجلس معهم ﴾ .

= حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله فيعمل بها ويعلمها ، وابن الأشعث هذا من الشيعة رماه ابن عدي والدارقطني بالوضع ، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسلا فقال : أخبرنا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ . وعبد الرحمن بن زيد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم اهـ ، قال مرتضى ورواه الديلمي أيضاً عن أبي هريرة كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة .

(٥٣) حديث وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس ، فقال : ﴿ أما هؤلاء فيسألون الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس ، وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم ﴾ هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد إلا أن فيه والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما ، وقال العراقي : رواه ابن ماجه من رواية داود بن الزبرقان عن بكر بن خنيس عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين أحدهما كذا يقرؤن القرآن ويذكرون الله والآخر كذا يتعلمون ويعلمون ، فقال النبي ﷺ : كل على خير هؤلاء يقرؤن القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلما وجلس معهم ومداره على عبد الرحمن بن زياد وقد وثقه يحيى بن سعيد وقال البخاري مقارب الحديث وضعفه جماعة وابن الزبرقان وبكر بن خنيس ضعيفان ، وقد تابع بكر بن خنيس عليه زهير بن معاوية وعبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك إلا أنهم قالوا عنه عن عبد الرحمن بن رافع بدل عبد الله بن يزيد وقولهم أولى بالصواب من رواية بكر ابن خنيس ؛ فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني ولفظه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون فقال رسول الله ﷺ كلا المجلسين على خير أحدهما أفضل من الآخر ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً وهؤلاء أفضل فأتاهم حتى جلس إليهم وأما رواية عبد الله بن وهب فرواها ابن السني في رياضة المتعلمين وابن عبد البر في العلم بنحو لفظ الطبراني ، وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم في رياضة المتعلمين نحوه وعبد الرحمن بن رافع هذا قال البخاري في حديثه مناكير وذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم عنه اهـ . وقال صاحب القوت بعد ما أورد الحديث ويحكى عن بعض السلف =

• وقال ﷺ [٥٤] ﴿ مثل ما بعثنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ﴾ اهـ . فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما .

• وقال ﷺ [٥٥] ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به...﴾ الحديث .

= قال دخلت المسجد ذات يوم فإذا بحلقتين إحداهما يقصون ويدعون والأخرى يتكلمون فى العلم وفقه الأعمال ، قال : فلت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم فحملتنى عيناى فنمت فهتف بى هاتف جلست إلى هؤلاء وتركت مجلس العلم أما لو جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم .

(٥٤) حديث ﴿ مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا ، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ﴾ هكذا فى النسخ وفى نسخة بعد قوله فانبتت الكلأ والعشب وتصيب أرضاً أخرى ، إنما هى أجاذب أمسكت الماء ولم تنبت الكلأ ، فحمل الناس عنها الماء إلى غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ونسخة العراقى بعد قوله والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ﴿فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه بما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به ﴾ قال العراقى : رواه البخارى ومسلم من رواية بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ واللفظ للبخارى إلا أنه قال من الهدى والعلم ، وقال فى الرواية المشهورة نقية بدل بقعة ولم يقل فى الثانية بقعة، وقال وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان وذكر بقية الحديث اهـ . قال مرتضى : البخارى فى أول صحيحه ومسلم فى فضائله ﷺ والنسائى فى العلم والرامهرمزى والعسكرى فى الأمثال ، كلهم من رواية أبى أسامة حماد بن أسامة عن بريد ولفظ البخارى مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة أخرى منها إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به .

(٥٥) حديث ﴿ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له ﴾ قال العراقى : رواه مسلم وأبو داود والترمذى ، وقال حسن صحيح والنسائى من رواية

. . . .

= العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه إذا مات الإنسان وفيه تقديم صدقة جارية والباقى سواء اهـ ، قلت خرجه مسلم فى الوصايا والبخارى فى الأدب المفرد ورواه الدارمى عن موسى بن إسمعيل حدثنا إسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظه انقطع من عمله وباقى سياقه كسياق المصنف إلا أنه قال تجرى له بدل جارية ، قال العراق : وفى الباب عن جابر وأبى قتادة وأبى أمامة وأنس ، لحديث أنس رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية القاسم بن عبد الله عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه ثلاثة يذكرون الميت رجل علم سنة هدى وعمل بها الحديث ، وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجة من رواية زيد بن أبى أنيسة عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه رفعه خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجرى يبلغه أجرها فعمل يعمل به من بعده ، وإسناده جيد وزاد ابن الزبيدين فى رواية فليح بن سليمان اهـ ، قلت وأخرجه أيضاً هكذا ابن خزيمة فى صحيحه ، وابن حبان والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة ، ولفظهم خير ما يخلف الإنسان بعده ، قال العراق : وحديث أبى أمامة رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن خالد ابن أبى عمران عمن حدثه عن أبى أمامة رفعه أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت مرابط فى سبيل الله ومن علم علما فأجره يجرى عليه ما عمل به الحديث ، قلت تمامه ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى ما وجدت ، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له ، وقد أخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبزار فى مسنده ، وأعله الهيثمى وغيره بابن لهيعة ورجل لم يسم ، ولكن صححه المنذرى ، قال العراق : وحديث أنس رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية محمد بن عبيد الله المزرمى عن قتادة عن أنس رفعه سبع يجرى أجره للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو كرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجداً أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته ، قال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم راوية عن المزرمى والمزرمى ضعيف اهـ ، قال مرتضى : وكذلك رواه البزار فى مسنده وسمويه فى فوائده والديلمى فى الفردوس والبيهقى وقال كالمنذرى إسناده ضعيف ، وتبعهما الذهبى فى كتاب الموت والهيثمى ، وقد خالفهم السيوطى فرمز لصحته وفيه نظر ولا تعارض بين الحديث الذى ساقه المصنف وبين حديث أبى أمامة أربعة الخ ، لأن أعمال الثلاث متجددة وعمل المرابط ينمو له وفرق بين إيجاد المعدوم وتكثير الموجود ، وكذا لا مخالفة بينه وبين حديث أنس هذا فقد قال فيه إلا من صدقة جارية وهى تجمع ما ذكر من الزيادة أشار له البيهقى ، وروى الإمام أبو حنيفة عن حماد بن إبراهيم قال : ثلاثة يؤجر فيهن الميت بعد موته ولد له يدعو له بعد موته ، فهو مؤجر بدعائه ، ورجل علم علما يعمل به ويعلمه الناس ، فهو يؤجر على ما عمل وعلم ، ورجل ترك أرضا صدقة ، هكذا أورده محمد بن الحسن فى الآثار ، قال ابن قطلوبغا فى أماليه ، وهذا فى حكم المرفوع اهـ ، قلت : والمراد بالولد الفرع المسلم هبه ذكراً كان أو أنثى أو ولد ولد كذلك وإن سفل =

• وقال ﷺ [٥٦] ﴿الدال على الخير كفاعله﴾ .

= وجاء تقييده فى الحديث الأول بالصالح وقوله : يدعو له أى بالرحمة والمغفرة ، فإن دعاءه أرجى للإجابة وأسرع قبولا من دعاء الأجنبى وقال الحافظ صلاح الدين العلائى فى مقدمة الاربعين له : لا تعارض بين هذا الحديث وبين ما روى : من استن خيراً فاستن به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير ان ينقص من أجورهم شيأ الحديث بطوله .

(٥٦) حديث ﴿الدال على الخير كفاعله﴾ قال العراقى أخرجه الترمذى من رواية شبيب بن بشر عن أنس بلفظ إن الدال ، وقال حديث غريب قال العراقى ورجاله ثقات ا ﻫ . قال مرتضى وفى الحديث قصة قال أنس جاء النبى ﷺ رجل يستحمله فلم يجد ما يحمله فدله على آخر فحمله فأتى النبى ﷺ فأخبره فذكر قال العراقى ورواه أحمد فى مسنده من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ حديث أنس بإسناد ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة سليمان الشاذكونى ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح من رواية ابن عمرو الشيبانى واسمه سعدبن إياس عن أبى مسعود البدرى رفعه ولفظه من دل على خير فله مثل أجر فاعله ، وفى الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود ا ﻫ . قلت وقد أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان وفيه القصة التى تقدمت ، وقال السخاوى فى المقاصد أخرجه العسكرى وابن جميع ومن طريقه المنذرى من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رفعه كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان ومثله بل بطوله الدارقطنى فى المستجاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به مرفوعاً وللعسكرى من حديث إسحق الأزرق عن أبى حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً لفظ الترجمة وكذا هو عند البزار عن أنس ولابن عبدالبر عن أبى الدرداء فى قوله الدال على الخير وفاعله شريكان ا ﻫ . ثم قال مرتضى أخرجه أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل فى مسند أبى حنيفة من طريق صالح بن أحمد بن حنبل وأخرجه ابن خسرو فى مسنده من طريق عبد الله بن أحمد قالا حدثنا أبى حدثنا إسحق بن يوسف أنبأنا أبو فلان كذا قال أى لم يسمه على عمد وسماه غيره ، فقال يعنى أبا حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة ، وفى بعض رواياته قال له اذهب فإن الدال الخ . وأخرجه القضاعى أيضاً من طريق إسحق بن يوسف الأزرق عن أبى حنيفة به وأخرج ابن خسرو فى مسنده من رواية أبى حنيفة عن أنس بزيادة والله يحب إغاثة اللهفان من طريق تدور على أحمد بن محمد بن الصلت ورواه العينى فى شرحه على معانى الآثار للطحاوى بسنده وللحديث شاهد آخر مما أخرجه ابن عطاف فى معجمه وابن النجار عن على مرفوعاً دليل الخير كفاعله قال الراغب والدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشىء وقال الزمخشرى دللته على الطريق أهديته إليه ومن المجاز الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم ا ﻫ . ويدخل فى ذلك دخولا أوّلياً أولوياً من يعلم الناس العلم الشرعى ويتحملون عنه .

• وقال ﷺ [٥٧] ﴿ لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الخير ﴾ .

---

(٥٧) حديث ﴿ لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالاً وسلطه الله على هلكته فى الحق فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار ﴾ قال العراقى : رواه البخارى ومسلم والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية قيس بن أبى حازم قال : سمعت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : قال رسول صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها ، وفى رواية البخارى الحكمة اهـ . قال مرتضى أخرجاه من طريق الزهرى سمعت قيس ابن أبى حازم ومن هذا الطريق أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان وأخرجه البخارى فى الاعتصام فقال : إلا فى اثنين بغير تاء ، وفى رواية ابن ماجه رجل بالنصب على لغة ربيعة فإنهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك ، وقال العراقى فى الباب عن ابن عمر وأبى هريرة وأبى سعيد ويزيد ابن الأخنس قلت بقى أن البخارى رواه فى صحيحه فى مواضع فى التوحيد وفى الاغتباط بالحكمة وفى الزكاة وفى الأحكام وفى الاعتصام وفى فضائل القرآن ،فى التوحيد عن على بن عبد الله عن سفيان عن الزهرى عن سالم عن أبيه مختصراً وساقه مسلم تاما عن زهير بن حرب عن سفيان وأخرجه البخارى فى فضائل القرآن تاما من طريق الزهرى عن سالم وكذا الترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه ولفظهم لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار لفظ مسلم ، وفى رواية له إلا على اثنين ، وهكذا قال البخارى : وقد آتاه الله الكتاب ، وقال مسلم : هذا الكتاب والباقى سواء ، ومن طريق شعبة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ومن طريق الأعمش سمعت ذكوان عن أبى هريرة ، وفى الزكاة عن محمد ابن المثنى عن يحيى القطان ، وفى الأحكام وفى الاعتصام عن شهاب بن عباد عن إبراهيم بن حميد الرودسى وأخرجه مسلم فى الصلاة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه ومحمد بن بشر ، وأخرجه النسائى فى العلم عن إسحق بن إبراهيم بن جرير ووكيع عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك خمستهم عن إسمعيل بن أبى خالد عنه به ، وأخرجه ابن ماجه فى الزهد عن محمد بن عبد الله بن نمير به ، وأما حديث أبى سعيد الخدرى ، فقد أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الأعمش عن أبى صالح عنه ولفظه لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار فسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى به فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق ، فقال رجل : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل ، وأخرجه كذلك أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة ، وأخرج أبو نصر فى الصلاة عن عبد الله بن عمرو رفعه لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤه فى الليل والنهار ، =

• وقال ﷺ [٥٨] ﴿ على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك ؟ قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله ﴾ وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه من حدّث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل • وقال ابن عباس رضى الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر • وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل • وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان ؛ فقال اكروا لى لأخرج

= ورجل أعطاه الله مالا فأنفقه فى سبيل الله ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة بلفظ لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فصرفه فى سبيل الخير ، ورجل آتاه الله علماً فعلمه وعمل به • شرح الحديث: لا لنفى الجنس وحسد اسمه مبنى معه على الفتح وخبره محذوف أى لا حسد جائز أو صالح أو نحو ذلك والحسد تمنى الرجل أن تتحول إليه نعمة الآخر أو فضيلته وإسلابهما وهو مذموم ، والغبطة أن يتمنى مثل ماله من غير أن يفتقر وهو مباح إن كان من أمر الدنيا ومحمود إن كان من أمور الطاعات والأول محرم إجماعا ، قاله النووى وأراد بالحسد هنا الغبطة مجازاً من إطلاق اسم المسبب على السبب ، وقوله إلا فى اثنين أى فى شيئين أو خصلتين وفيه قول بأنه تخصيص لإباحة نوع من الحسد وإخراج له من جملة ما حظر منه فالمعنى لا حسد محمود إلا فى هذا أو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله رجل بالرفع أى خصلة رجل ، فلما حذف المضاف اكتسى المضاف إليه إعرابه والنصب على إضمار أعنى وهى رواية ابن ماجه وفيه وجه آخر تقدم بيانه وبالجر على أنه بدل من اثنين . وأما على رواية اثنتين بالتاء فهو بدل أيضا على تقدير حذف المضاف أى خصلة رجل ، وقوله رجل لا مفهوم له وإلا فالأنثى تشترك معه قوله فسلط بالبناء للمفعول هى رواية أبى ذر وعند الباقين فسلطه وعبر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح ، وفى هذه الجملة مبالغتان ، إحداهما التسليط لأنه يدل على قهر النفس والأخرى لفظ الهلكة ، والهلكة محركة الهلاك فإنه يدل على أنه لا يبقى من المال شيأ ، ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا يعنى ذكر قوله فى الحق دفعاً لما يتوهم من ذلك والحكمة المراد منها القرآن وفيه إشارة إلى الكمال العلمى ، وقوله يقضى بها إشارة إلى الكمال العملى وبها التكميل، والله أعلم .

(٥٨) حديث ﴿على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك، قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله﴾ قال العراقى : رواه ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من روايه عمرو بن أبى كثير وقال الهروى عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن زاد الهروى ابن على قال : قال رسول الله ﷺ : رحمة الله على خلفائى مرتين ولم يكررها الهروى لجعله الهروى متصلا ، وقال ابن عبد البر إنه من مرسلات الحسن لجعله البصرى وهو الصواب وعمرو لا أدرى من هو ، وقد تقدم الكلام عليه ، وفى الباب عن على بن أبى طالب رواه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين ، وأبو نعيم أيضاً فى فضل العالم العفيف والرامهرمزى فى المحدث =

من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به ، وقال عطاء رضي الله عنه : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت مايبكيك ؟ قال ليس أحد يسألني عن شيء * وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه ، يستضيء به أهل عصره * وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء اصار الناس مثل البهائم ، أى إنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية * وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمناً ، قيل وما هو ؟ قال : أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه * وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل وكيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة * وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره * وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت * وقال معاذ ابن جبل فى التعليم والتعلم ، ورأيته أيضاً مرفوعاً :

= الفاصل والهروى فى ذم الكلام من رواية ابن عباس قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : خرج علينا رسول ﷺ ، فقال اللهم ارحم خلفائى ، قلنا يا رسول الله : من خلفاؤك ؟ قال الذى يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى ويعلمونها الناس ، وفى إسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، وهو كذاب كما قاله الدارقطنى ، وقد رواه ابن عساكر فى أماليه من طريق آخر وفيه عبد السلام بن عبيد نسبه ابن حبان إلى سرقة الحديث ، واحتج به أبو عوانة فى صحيحه ولا يغتر برواية أبى المظفر هناد بن إبراهيم النسفى لهذا الحديث من طريق ابن داسة عن أبى داود عن عبيد بن هشام الحلبى فإن هذا لم يروه أبو داود هنا ، والنسفى كان راوية للموضوعات كما قال صاحب الميزان انتهى . قال مرتضى : أما حديث على فقد أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث والضياء المقدسى فى مناقب أصحاب الحديث كلاهما من رواية أحمد بن عيسى العلوى حدثنا ابن أبى فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس، قال سمعت علياً يقول: خرج النبى ﷺ فساقه وأخرجه الضياء من رواية أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى حدثنى أبى حدثنى أبو الحسن على بن موسى الرضى عن آبائه عن على بلفظ اللهم ارحم خلفائى ثلاثا والباقى سواء وأخرج الخطيب والضياء أيضاً من رواية سعيد بن عباس بن الخليل حدثنا عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن أبى فديك فذكره ، وفى بعض طرق العلوى عن الخطيب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس ، قال الخطيب : والأول أشبه بالصواب ، وقال الطبرانى فى الأوسط بعد ما أخرجه تفرد به أحمد بن عيسى العلوى وفى الميزان هذا الحديث باطل وأحمد كذاب واستدل بهذا الحديث على جواز إطلاق لفظ الخلفاء على أصحاب الحديث .

• [٥٩] ﴿ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ﴾ لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه ويوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء ، نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

﴿ فى الشواهد العقلية ﴾

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها • والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فإذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار

---

(٥٩) حديث ﴿ تعلموا العلم فإن تعلمه لله ﴾ كذا رواه أبو نعيم فى المعجم ولا يثبت وحسبه أن يصل إلى معاذ ورواه ابن عبد البر فى العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشى حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن الحسن بن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فذكره . هذا سند المرفوع وأما سند الموقوف ، فقال أبو طالب المكى فى الفصل الحادى والثلاثين من القوت ، وروينا فى فضل العلم بالله تعالى من رواية رجاء بن حيوة عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال : فذكره وأورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة معاذ فلم يذكر بين رجاء ومعاذ عبد الرحمن ، فقال حدثنا أبى حدثنا محمد ابن إبراهيم بن يحيى حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا محمد بن موسى المروزى أبو عبد الله قال قرأت هذا الحديث على هشام بن خلد وكان ثقة ، فقال سمعته من ابن عصمة عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه .

اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الـكمال فى شىء ، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هـذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الاوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة فى الفرس ، وليست فضيلة على الإطلاق والعـلم فضيلة فى ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائـكة والأنبياء بل الـكيس من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشىء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً فما يطلب لذاته اشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لـكانا والحصباء بمثابة واحدة ، والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذى يطلب لذاته ولغيره فـكسلامة البدن فإن سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث أنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشى بها والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً فى نفسه فيـكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية وأفضل الأشياء هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ؛ فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشىء أيضاً بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائـكة ومقارنة الملإ الأعلى ، هذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحـكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم ، فظاهرة مما ذكرناه فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل فـكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة للآخرة ، وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ، ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام : أحدها : أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة : الزراعة وهى

للمطعم ، والحياكة وهى للملبس ، والبناء وهو للمسكن ، والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها ● الثانى ما هى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها ● الثالث ما هى متممة للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة ، وكالقصارة والخياطة للحياكة ، وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته فإنها ثلاثة أضرب أيضاً ، إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين ، وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ، ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هـــذه الصناعة سائر الصناع ● والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهى العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً فى ظاهرهم وباطنهم ● والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ، ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم ● والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ، ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالإلزام والمنع والشرع ● والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط ، فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس النـاس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة ، وهو المراد بالتعليم ، وإنمـا قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة ، وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة ، إنمـا تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتى بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه ، وأما عموم النفع فلا يستراب فيه ، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة ، وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس ، وأشرف جزء

من جواهر الإنسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجهٍ عبادة لله تعالى ، ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجلّ خلافة الله ، فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثانى

﴿ العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو ، وتفضيل علم الآخرة ﴾

بيان العلم الذى هو فرض عين * قال رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضاً ﷺ اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته ، وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها ، وقال المتصوفة المراد به هذا العلم ؛ فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل ، وقال بعضهم هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان ، وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه * وقال أبو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الإسلام وهو قوله ﷺ [٦٠] ﴿ بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ... ﴾ إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب * والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن

---

(٦٠) حديث ﴿ بنى الإسلام على خمس ﴾ هكذا فى النسخ وهى الرواية المشهورة ، وفى نسخة « على خمسة » ، وهى رواية لمسلم والتقدير خمسة أشياء أو أركان أو أصول ، وفى رواية عبد الرزاق « على خمس دعائم » ولنذكر أولا تخريج هذا الحديث ثم نلم ببقية كلام الإمام أبى طالب ، قال العراقى : رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عكرمة بن خالد عن ابن عمر رفعه بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان ، قال الترمذى —

العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة ، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ [٦١] ﴿ اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل ﴾ فإذا فعل ذلك فقد أدى

= حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم أيضاً من رواية عاصم بن زيد بن محمد بن عمر عن أبيه عن ابن عمر ورواه الترمذى من رواية حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر ، وقال حسن صحيح اهـ . قال مرتضى : رواه البخارى فى أول صحيحه ، فقال حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حنظلة بن أبى سفيان عن عكرمة بن أبى خالد عن ابن عمر ورواه فى التفسير ، وقال فيه وزاد عثمان بن وهب أخبرنى فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر وعن بكير بن عبد الله الأشج عن نافع عن ابن عمر وأخرجه مسلم فى الإيمان عن محمد ابن عبدالله ابن نمير عن أبيه عن حنظلة وعن ابن معاذ عن أبيه عن عاصم بن محمد عن أبيه عن جده وعن ابن نمير عن أبى خالد الأحمر عن سعد بن طارق عن سعد بن عبيد عن ابن عمر وعن سهل بن عثمان عن يحيى ابن زكريا بن أبى زائدة عن سعد بن طارق به فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسياً وللبخارى رباعياً وزاد مسلم فى روايته عن حنظلة قال : سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاوساً أن رجلا قال لعبد الله بن عمر ألا تنفروا ، فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وقال البيهقى اسم الرجل السائل حكيم ، كذا فى شرح العينى على البخارى قلت وفى الخلصيات من رواية يزيد بن بشر السكسكى عن سنى والد عبادة : كنت عند ابن عمر فسأله رجل من أهل العراق فذكره ، ويزيد بن بشير مجهول ، ورواه كذلك الإمام أحمد فى مسنده وممن روى عن حبيب بن أبى ثابت سعيد بن الجس ومسعر بن كدام وهو فى الخلصيات من رواية محمد بن ميمون الحناط عن سفيان بن عيينة عنهما وأخرجه المدنى فى مسنده عن سفيان عن سعيد وحده عنه وهو فى الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحانى عن حبيب ابن أبى ثابت وأخرجه أبو نعيم من رواية حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى عن محمد بن حجادة عن طلحة ابن مصرف عن ابن عمر وفيه زيادة وليس لطلحة عن ابن عمر شىء فى الكتب الستة ، قال العراقى ويروى عن جرير أيضاً ، رواه أحمد وأبو يعلى فى مسندهما والطبرانى فى الكبير من رواية عامر عن جرير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بنى الإسلام على خمس فذكرها ولم يقل أن محمداً رسول الله اهـ .

(٦١) حديث ﴿ اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب ﴾ وجفاتهم الذين لم يتزيوا بزى الحضر فى رفقهم ولين أخلاقهم ﴿ بالتصديق والإقرار ﴾ فقط ﴿ من غير تعليم دليل ﴾ قال العراقى : هو =

وأجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضرورياً فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها، وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل وإما فى الترك وإما فى الاعتقاد * أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة ، فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين ، فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل ، وكذلك فى سائر الأصناف فإذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ،

= مشهور فى كتب السير وفى الصحيح فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه فى قصة ضمام بن ثعلبة ، وفيه لجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم انك تزعم أن الله أرسلك ، قال صدق الحديث وفى آخره ، فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد ابن بكر وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى أيوب أن اعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال : يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار وفيه فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيأ الحديث . زاد مسلم فقال إن تمسك بما أمر به دخل الجنة وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ قال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً الحديث وفيه فقال من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا والأحاديث فى هذا كثيرة مشهورة اهـ . وقال صاحب القوت فإذا بطلت هذه الوجوه يعنى التى ذكرها فى حديث اطلبوا العلم الخ صح أن المراد به علم ما بنى الإسلام عليه فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله ﷺ للأعرابى حين سأله ما افترض الله علىّ وفى لفظ آخر أخبرنا بالذى أرسلك الله إلينا فأخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت ، فقال : هل علىّ غيرها فقال لا ، إلا أن تتطوع ، فقال والله لا أزيد عليه شيئاً ولا أنقص

ولكن ينبغى لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله ، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين ٭ وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير أو جالساً فى الغصب أو ناظراً إلى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه ٭ وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعاً ، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فإن كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً ، وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم

= منه شيأ فقال أفلح ودخل الجنة إن صدق فكان علم هذه الخمس الفريضة من حيث هى كمال معلوم وفريضة إذ لا عمل إلا بعلم اهـ . قال مرتضى: وحديث ضمام فى أول كتاب البخارى رواه عن عبد الله بن يوسف التنيسى ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه جميعاً عن عيسى بن حماد بن عتبة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله بن نمير عن أنس وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل الترمذى عن على بن عبد الحميد والنسائى عن محمد بن محمد عن ابن عامر العقدى وعبد بن حميد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأبو عوانة فى صحيحه من رواية موسى بن إسماعيل خمستهم عن سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس ، وفى رواياتهم اختلاف فى اللفظ وأكمل الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس ، وهو بطوله فى الخلعيات من رواية محمد بن إسحق وحدثنى محمد بن الوليد عن =

الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين ، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضاً ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه . وقد قال رسول الله ﷺ : [٦٢] ﴿ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ﴾ ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها ، فان من لا يعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ، وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى * ومما ينبغى أن يبادر فى إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق ، وهو من تتمة كلمتى الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى أن يفهم الرسالة التى هو مبلغها ، وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار ، فإذا انتهيت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لا يخلو من وقائع فى عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ، ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام فى قوله ﷺ : ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير ، فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه ، والله أعلم .

= كريب عنه وفى آخره يقول عبد الله بن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة وقد وقع فى هذه الطرق كلها ذكر الحج ما عدا رواية البخارى وقدوم ضمام كان فى سنة تسع وبه جزم ابن إسحق وأبو عبيد ووقع فى معجم الطبرانى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس التصريح بأن قدوم ضمام كان بمكة والله أعلم .

(٦٢) حديث ﴿ فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه الحديث ﴾ أى إلخ إشارة إلى أن الحديث له بقية وهو الذى أوردناه والمراد بالشح المطاع هو البخل الذى يطيعه الناس فلا يؤدون الحقوق قال الراغب خص المطاع لينبه أن الشح فى النفس ليس مما يستحق به ذم إذ ليس هو من فعله وإنما يذم بالانقياد له ، وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضاً أبو الشيخ فى التوبيخ وقد روى مقتصراً على =

﴿ بيان العلم الذى هو فرض كفاية ﴾

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم ، والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذى نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعنى بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم ، وإلى ما هو مباح ، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية ، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة * أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما ، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ، إن الطب والحساب من فروض الكفايات ؛ فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة ؛ فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك ؛ فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله * وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه * وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات * وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة * أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول وهى أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع

= ذكر المهلكات كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة عن الفضل بن بكر عن قتادة عن أنس وهكذا رواه البيهقى فى شعب الإيمان وكلا الإسنادين ضعيف ورواه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من رواية حميد بن الحكم عن الحسن عن أنس ويروى أيضاً عن ابن عمر ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عنه وأخرج ابن حبان فى الضعفاء من رواية محمد بن عون الخراسانى عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه : المهلكات ثلاث إعجاب المرء بنفسه وشح مطاع وهوى متبع ورواه ابن عدى من هذا الوجه ، ومن رواية عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب عن ابن عباس ، وفى الباب عن أبى هريرة وابن أبى أوفى وأبى ثعلبة .

الأمة وآثار الصحابة ، والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة ، فهو أصل فى الدرجة الثالثة ، وكذا الأثر فإنه يدل على السنة لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه ، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم ، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ، ولا يليق بيانه بهذا الفن . الضرب الثانى الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول ، فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره . كما فهم من قوله عليه السلام [٦٣] ﴿لا يقضى القاضى وهو غضبان﴾ ، أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعاً أو متألماً بمرض ، وهذا على ضربين . أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه ، والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة ، وما هو مرضى عند الله تعالى ، وما هو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب ، أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات . وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ، ومن الآلات علم كتابة الخط ، إلا أن ذلك ليس ضروريا [٦٤] ﴿إذ كان رسول الله ﷺ أمياً﴾ ، ولو تصور

---

(٦٣) حديث ﴿لا يقضى القاضى وهو غضبان﴾ قال العراقى : رواه الستة من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكرة عن أبيه وهذا لفظ النسائى وابن ماجه وزاد بين اثنين وقال البخارى لا يقضين حكم وقال مسلم : لا يحكم أحد ، وقال أبو داود : لا يقضى الحكم ، وقال الترمذى لا يحكم الحاكم ، وقال فهذا حديث حسن صحيح اه . قال مرتضى وبمثل سياق ابن ماجه رواه الإمام أحمد أيضاً ، وكذا أبو داود ، وبمثل سياق مسلم رواه الترمذى والنسائى أيضاً ، وبمثل سياق البخارى رواه أيضاً الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وأخرج ابن ماجه وضعفه والدار قطنى فى سننه والخطيب وسمويه فى فوائده عن أبى سعيد رفعه لا يقضى القاضى بين اثنين إلا وهو شبعان ريان ، وأخرج النسائى والطبرانى فى الكبير عن أبى بكرة لا يقضين أحد فى قضاء بقضاءين ولا يقضى أحد بين خصمين وهو غضبان .

(٦٤) حديث ﴿كان رسول الله ﷺ أمياً﴾ أى لا يحسن الكتابة قيل نسبة إلى الأم ، لأن الكتابة مكتسبة ، فهو على ما ولدته من الجهل بالكتابة ، وقيل نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين كذا

استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا . الضرب الرابع المتممات : وذلك فى علم القرآن ، فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف ، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير ، فإن اعتماده أيضاً على النقل ، إذ اللغة بمجردها لا تستقل به ، وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والنص والظاهر ، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ، وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً ، وأما المتممات فى الآثار والأخبار ، فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند ، وكذلك ما يتعلق به ، فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل وكلها من فروض الكفايات . فإن قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا . فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق ، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ، ثم إلى العرض ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم

= فى المصباح وروى إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى وقيل له ﷺ الأمى لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تحسب ، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، كانت هذه الحلة إحدى آياته المعجزة لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، ففى ذلك أنزل الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ، قال ابن مردويه فى تفسيره حدثنا أحمد بن كامل حدثنا محمد بن سعد حدثنا أبى حدثنا عمر حدثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان نبى الله ﷺ أمياً لا يقرأ شيأ ، ولا يكتب وروى أيضاً من رواية ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع فقال أنا محمد النبى الأمى أنا محمد النبى الأمى الحديث وهكذا أخرجه أحمد أيضاً ، وروى البخارى من حديث البراء فى قصة صلح أهل مكة فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب الحديث ، وروى ابن حبان والدارقطنى والحاكم فى المستدرك والبيهقى من رواية محمد بن عبد الله بن زيد عن أبى مسعود البدرى عن النبى ﷺ فى حديث قال إذا أنتم صليتم علىّ فقولوا اللهم صل على محمد النبى الأمى — الحديث قال الدارقطنى إسناده حسن وقال الحاكم هو حديث صحيح ، وقال البيهقى فى المعرفة هذا إسناد صحيح ، وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أبى سعيد الانصارى مثله وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى إن مما حرم عليه ﷺ الخط والشعر وإنما يتجه التحريم إن قلنا إنه كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه وتمام البحث فى شرحنا على القاموس .

وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود ، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ولعمرى إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان ، فالدين أصل والسلطان حارس ، وما لا أصل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه ، وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به ، فكذلك معرفة طريق السياسة ، فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق ، ولكن الحج شىء وسلوك الطريق إلى الحج شىء ثان ، والقيام بالحراسة التى لا يتم الحج إلا بها شىء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شىء رابع ، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسنداً [٦٥] ﴿ لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف ﴾ فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما ، وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة ، وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة ، وفى بعض الروايات بدل المتكلف « المرائى » فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة ، فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فإن قلت هذا إن استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام ، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال

---

(٦٥) حديث ﴿ لا يفتى الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور أو متكلف ﴾ هكذا فى سائر نسخ الكتاب ومثله فى قوت القلوب لأبى طالب والذى فى الأحاديث على ماسيأتى بيانها «لايقص» بدل لايفتى ولكن المصنف تبع صاحب القوت أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عوف بن مالك الأشجعى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف ، وفى المجلس الخامس عشر من أمالى عبد الله بن منده من رواية خالد بن عبد الرحمن حدثنا عمرو بن زر عن مجاهد عن أبى هريرة رفعه لا يقص فى مسجدى هذا إلا أمير أو مأمور أو متكلف وأخرج الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت رفعه لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف .

التى هى أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام ، والصلاة والزكاة ، والحلال والحرام ، فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة ، وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر . أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد ، وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان ، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال [٦٦] ﴿ هلا شققت عن قلبه ﴾ للذى قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ، ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ، ولكنه مشير على صاحب السيف ، فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله ، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال، وذلك فى الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : [٦٧] ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم ﴾

---

(٦٦) حديث ﴿ هلا شققت عن قلبه ﴾ أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبة فى المصنف من حديث جندب بن عبد الله البجلى رفعه وهكذا هو فى الجزء الرابع من فوائد أبى أحمد الحاكم بلفظ فهلا شققت على قلبه وفى إسناده شهر بن حوشب وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما، قال العراقى : والحديث عند مسلم وليس فيه قوله «هلا شققت على قلبه» ، قال ويروى عن أسامة بن زيد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى ، وكذا مالك فى الموطأ والإمام أحمد وابن أبى شيبة والعدنى فى مسانيدهم وأبو عوانة فى صحيحه وابن حبان والحاكم والطحاوى والبيهقى كلهم من رواية أبى ظبيان واسمه حصين بن جندب عن أسامة بن زيد،قال بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال لا إله إلا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ قال لا إله إلا الله وقتلته قال يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ، قال العراقى : والحديث عند البخارى أيضاً ولكن ليس فيه قوله أفلا شققت عن قلبه .

(٦٧) حديث ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ﴾ قال المناوى : قال الرافعى وبين الشافعى أن الحديث مخرجه عام ويراد به الخاص والقصد به أهل الأوثان وهو أصل من أصول الإسلام ، وفى بعض رواياته حتى يشهدوا أى يقرّوا ويبينوا ، وهذا الحديث رواه ستة عشر من الصحابة كما قاله العراقى وهم : أبو هريرة وعمر وابن عمر وجابر وأنس ومعاذ وأوس بن أبى أوس وأبو بكر الصديق وسعد ابن أبى وقاص وجرير بن عبد الله وسهل بن سعد وابن عباس وأبو بكرة وأبو مالك الأشجعى عن أبيه =

. . . .

= وسمرة بن جندب والنعمان بن بشير أما حديث أبي هريرة فأخرجه الأئمة الستة، وهذا لفظ الترمذي وابن ماجه في الفتن إلا أنهما لم يقولا فقد، وكذا قال أبو داود إلا أنه قال: منعوا بدل عصموا، وقال الشيخان: فمن قال لا إله إلا الله قال مسلم عصم، وقال البخاري فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله. قال مرتضى: وأخرجه أبو بكر بن مردويه من رواية الحسن بن عمرو عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية عن أبي هريرة رفعه كسياق المصنف وفي آخره قيل له طفت على أبيك قال: إني لم أفعل إن الناس انطلقوا إلى أبي فبايعوه طائعين غير مكرهين فنكث ناكث فقتله، وبغى باغ فقتله، ومرق مارق فقتله. وابن الحنفية هذا لم يخرج له عن أبي هريرة في شيء من الكتب الستة وأخرجه الخلعي في فوائده من رواية مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ثم قال: وأما حديث عمر فرواه الستة خلا ابن ماجه من رواية أبي هريرة عن عمر عن النبي ﷺ نحوه قلت أخرجه أحمد والبخاري قال أحمد حدثنا عاصم بن خالد وأبو اليمان وقال البخاري حدثنا أبو اليمان قال حدثنا شعيب ابن أبي حمزة عن الزهري حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس الحديث بطوله ورواه البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث ورواه عمرو بن عاصم الكلابي عن عمران القطان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر مرفوعا أمرت أن أقاتل الناس الحديث. قال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: هذا خطأ إنما هو الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر القصة، قلت لأبي زرعة الوهم ممن؟ قال من عمران ثم قال العراقي: وأما حديث ابن عمر فأخرجه الشيخان وقالا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، قال البخاري: فإذا فعلوا ذلك وقال مسلم: فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم الحديث، وأما حديث جابر فرواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ولفظ الترمذي كلفظ المصنف إلا أنه لم يقل فقد وقال مسلم وابن ماجه: فإذا قالوا لا إله إلا الله، وأما حديث أنس فرواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي زاد البخاري فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الحديث. وقال أبو داود والترمذي حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت الحديث، قال مرتضى: وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير قال وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه ولفظه حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وفي إسناده شهر بن حوشب، وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي وابن ماجه ورجاله رجال الصحيح، قال مرتضى وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير من طريق شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت أوس بن أبي أوس =

جعل أثر ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها ، وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب ، وكان خارجاً عن فنه * وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن القول باللسان فى الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير ؛ فأما الخشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه * وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته * وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً للزكاة ، فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه ، وصدق ؛ فإن ذلك من فقه الدنيا ، ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ، ومثل هذا هو العلم الضار * وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ، ولكن الورع له أربع مراتب : الأولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة ، وهو الذى يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات .

= وقال سماك بن حرب عن النعمان بن سالم عن أوس وقال حاتم عن النعمان عن عمر بن أوس عن أبيه عن النبى ﷺ قال أوحى إلىّ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث قال أبو حاتم : وشعبة أحفظ القوم ، قال وأما حديث أبى بكر الصديق فرواه البزار فى مسنده من رواية عمران القطان عن معمر عن الزهرى عن أنس عن أبى بكر قال البزار أحسب أن عمران أخطأ فى إسناده ولذا قال الترمذى فى الجامع إن حديث عمران خطأ وكذا قال الدارقطنى فى العلل إنه وهم فيه على معمر وإن الصواب رواية الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبى هريرة قال : قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما قلت قد تقدم أن الذى رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابى وتقدم أيضاً سؤال ابن أبى حاتم لأبى زرعة وجوابه له وأن الوهم فيه من عمران القطان قال وأما حديث سعد فرواه الترمذى بقوله : وفى الباب قال : وأما حديث جرير وسهل وأبى مالك الأشجعى عن أبيه فرواهما الطبرانى فى المعجم الكبير وأما حديث سمرة فرواه الطبرانى فى الأوسط وحديث ابن عباس وأبى بكرة رواهما فى الكبير والأوسط وحديث النعمان بن بشير رواه البزار وقال أخطأ فيه أسود بن عامر اهـ . قلت ويروى هذا الحديث أيضاً من رواية عياض الأنصارى وهو صحابى أخرجه البزار فى مسنده فتم العدد سبعة عشر وهو متواتر صرح به غير واحد من المحدثين .

* قال ﷺ [٦٨] ﴿ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ﴾ .

(٦٨) حديث ﴿دع ما يريبك إلى مالا يريبك﴾ قال العراقى رواه الترمذى والنسائى من رواية أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ فذكره ، زاد الترمذى فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن حبان فى صحيحه اﻫ . قال مرتضى أخرجه من رواية شعبة أخبرنى يزيد بن أبى مريم سمعت أبا الجوزاء السعدى يقول : قلت للحسن بن علىّ ما تذكر عن رسول الله ﷺ؟ قال : كان يقول فذكره وأخرجه كذلك أحمد والدارمى وأبو يعلى والطيالسى بتلك الزيادة وعند الطبرانى فى الكبير والبيهقى والحاكم وإن الشر لريبة بدل وإن الكذب، وعند ابن قانع بلفظ فإن الصدق ينجى وقال الذهبى فى حديث الحسن هذا سنده قوى وأخرجه الحاكم فى التاريخ بهذا اللفظ عن أبى الدرداء ووقفه عليه ثم قال العراقى ورواه أيضاً أبو يعلى الموصلى فى مسنده من رواية عبيد بن القاسم عن العلاء بن ثعلبة عن أبى المليح الهذلى عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ فى أثناء حديث ، وعبيد ابن القاسم ضعيف جداً منسوب إلى الكذب والوضع ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية بقية بن الوليد حدثنى إسماعيل بن عبد الله الكندى عن طاوس عن وثيلة قال : قلت يا نبى الله فذكر الحديث وفيه فإن الخير طمأنينة والشك ريبة . وإسماعيل مجهول اﻫ . قلت وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى أماليه ثم قال العراقى ورواه الطبرانى فى الصغير من رواية عبد الله بن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ ولا أصل له من حديث مالك، وابن أبى رومان ضعيف اﻫ . وقال مرتضى كذلك. وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية أبى بكر بن راشد عن عبد الله بن أبى رومان وقال إنه غريب من حديث مالك تفرد به ابن أبى رومان عن ابن وهب وأخرجه الخطيب فى التاريخ فى ترجمة الباغندى من حديث قتيبة عن مالك بزيادة فإنك لن تجد فقد شىء تركته لله ثم قال هذا باطل بهذا الوجه وإنما اشتهر به ابن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك وهو ضعيف والصحيح عن مالك من قوله وقد سرقه ابن أبى رومان وقال الجلال فى جامعه الكبير نقلا عن الخليل : الصواب وقفه على ابن عمر قال العراقى ورواه أبو الشيخ فى كتاب الطبقات من رواية صالح بن موسى عن المغيرة عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ فذكره وصالح بن موسى القرشى منكر الحديث قاله البخارى ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية طلحة بن زيد عن راشد بن أبى راشد قال: سمعت وابصة بن معبد يقول سألت رسول الله ﷺ عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الأظفار فقال دع ما يريبك إلى مالا يريبك وطلحة ضعيف ورواه أحمد فى مسنده من رواية أبى عبد الله الأسدى بسكون السين عن أنس رفعه فذكره وأبو عبد الله الأسدى قال أبو حاتم مجهول تفرد عنه يحيى بن أيوب المصرى وهو معروف وسماه بعضهم عيسى بن عبد الرحمن قلت وقال الهيثمى وهو رفيق العراقى فى الشيوخ: أبو عبد الله الأسدى لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح ثم إن المصنف أورده فى المرتبة الثانية من الورع إشارة إلى أن المعنى به هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة كأن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير وتنبو عن الشر فإن الشىء يتحبب إلى ما يلائمه وينفر عما يخالفه فيكون بما يلهمه الصواب =

• وقال ﷺ [٦٩] ﴿الإثم حزاز القلوب﴾ . الثالثة : ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه إلى الحرام .

• قال ﷺ [٧٠] ﴿ لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مما به بأس﴾ . وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة ، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات . الرابعة : ورع الصدّيقين ، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل ، وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام ، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى، وهو ورع الشهود والقضاة ومايقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الإثم فى الآخرة .

=غالباً على أنه يمكن حمل هذا الحديث على سائر مراتب الورع لأن عمومه يقتضى وقوع الريبة فى العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام الظاهرة والباطنة وإن ترك الريبة فى كل ذلك ورع قالوا وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وأصل فى الورع الذى عليه مدار اليقين وقال العسكرى لو تأمل الحذاق هـــذا الحديث لتيقنوا أنه استوعب كل ما يتجنب فى الشبهات ، والله أعلم .

(٦٩) حديث ﴿ الإثم حزاز القلوب ﴾ قال العراقى : رواه البيهقى فى الشعب من طريق سعيد ابن منصور : حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : قال عبد الله قال رسول الله ﷺ الإثم حواز القلوب قال المعروف أنه من قول ابن مسعود قال الإثم حـــواز القلوب وما كان من نظيره فإن للشيطان فيهـا مطمعاً . وإسناده صحيح رويناه فى مسند المدنى حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود وكذا رواه الطبرانى فى الكبير موقوفا اهـ . قال مرتضى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية كذلك موقوفا على عبد الله رواه من رواية جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : قال عبد الله إياكم وحزائز القـلوب وما حز فى قلبك من شىء فدعه . قال العراقى : وقد ورد معناه مرفوعا فى عدة أحاديث منها حديث النواس بن سمعان : الإثم ماحاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ومنها حديث وابصة بن معبد والإثم ماحاك فى نفسك وتردد فى الصدر . ومنها حديث واثلة والإثم ما حاك فى الصدر .

(٧٠) حديث ﴿ لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس فيه حذراً مما به بأس ﴾ وفى رواية مخافة مـا به بأس قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه من رواية عبد الله بن يزيد قال حدثنى ربيعة ابن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدى وكان من أصحاب النبى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين فذكره وقال لمـا به بأس قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه الحاكم فى المستدرك وقال حديث صحيح الإسناد اهـ . قال مرتضى وأخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبيهقى بهذا اللفظ .

* قال رسول الله ﷺ لوابصة [٧١] ﴿استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك﴾ والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة ؛ فإن تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر ، وكان سفيان الثورى وهو إمام فى علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة ، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به ، فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون ، وإنما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات والشرف هو تلك الأعمال ، فإن قلت لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه * أحدها أنه علم شرعى إذ هو مستفاد من النبوّة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع * والثانى أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة البتة : لا الصحيح ولا المريض ، وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون * والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والأخلاط ، وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة * فإن قلت فصّل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى

---

(٧١) حديث ﴿ استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك ﴾ هكذا بالتكرار ثلاث مرات فى سائر النسخ قال العراقى رواه أحمد فى مسنده فقال حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير ابن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصة قال أتيت رسول الله ﷺ وفيه : يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك وقال فى رواية له عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال حدثنى جلساؤه وقد رأيته عن وابصة وقال استفت نفسك واستفت نفسك ثلاث مرات الحديث اﻫ قال مرتضى: وهكذا أخرجه أيضاً الدارمى وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية من رواية أيوب وسياق سند الدارمى حسن نبه عليه النووى فى رياضه وفى سياق سند الطبرانى العلاء بن ثعلبة وهو مجهول وأخرجه أيضاً البخارى فى التاريخ وله أشار الجلال فى جامعه الصغير مقتصراً عليه وهو قصور ، ولفظه استفت =

تراجمه ، وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن ، وذلك غاية العلوم : فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم : بدعة أو كبر . وقيل من كان محباً للدنيا أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئاً ، وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته . فذاك ذنب عقـــابه فيه

وهو علم الصدّيقين والمقرّبين، أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، ومعنى الوحى ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحى إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب ، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار ، وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ، ومعنى قوله تعالى : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » ومعنى قوله تعـالى : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة

= نفسك وإن أفتاك المفتون ولم أر فى طرق المخرجين لهذا الحديث تكرار قوله وإن أفتوك ثلاث مرات إلا أن صاحب القوت بعد ماذكر الحديث بالسياق المشهور قال وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك والمصنف تبعه فى سياقه فتأمل وسيأتى للمصنف التعرض لهذا الحديث فيما بعد والمعنى استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نوراً يفرق بين الحق والباطل وعلى الرواية الثانية عوّل على مافى قلبك والتزم العمل بمـا أرشدك إليه وإن أفتاك الناس بخلافه لأنهم إنمـا يطلعون على الظواهر والكلام فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فأفتاه غيره بمجرد حدس وتخمين من غير دليل شرعى وإلا لزمه اتباعه وإن لم ينشرح له صدره وهذا إذا كان الخطاب عاماً ، قال العراقى : وفى الباب عن واثلة ولفظه بأبى أنت وأمى يا رسول الله انبئنا عن أمرنا فآخذه من بعدك قال لتفتك نفسك قال فقلت وكيف لى بذلك؟ قال : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون الحديث وقال السخاوى وفى الباب عن النواس بن سمعان وغيره .

الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده لعباده الصالحين « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة ، وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعى أموراً عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل وما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام ، وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم ، فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحاً يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه ، وهذا ممكن فى جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا ، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها، وبالعلم والتعليم ، وهذه هى العلوم التى لاتسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار ، وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله :

* [٧٢] ﴿ إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علماً منه ، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه ﴾ * وأما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب ، أما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الأحوال والإحسان وحسن الظنّ وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق

---

(٧٢) حديث ﴿ إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار به فلا تحقروا (بكسر القاف مخففاً من حد ضرب) عالماً آتاه الله علماً ، فإن الله لم يحقره إذ آتاه العلم ﴾ قال العراقى : رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى فى الأربعين التى جمعها فى التصوف من رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا العلماء بالله عز وجل، فإذا =

والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة ، وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة ، وطول الأمل ، والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين ، والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة ، وقلة الحياء ، وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة * وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات ، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة ؛ فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا ، فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ، ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها ، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت

= نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل ومن طريق السلمي رواه الديلمي في مسند الفردوس وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي ضعيف جداً ا هـ . قال مرتضى وأورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة ، فقال أخرجه الطيبي في ترغيبه فقال أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن أبو علي حامد ابن محمد الرفاء أخبرنا نصر بن أحمد حدثنا عبد السلام بن صالح فساقه وزاد بعد قوله إلا أهل الاغترار بالله إن الله جامع العلماء يوم القيامة في صعيد واحد فيقول : إني لم أودعكم علمي وأنا أريد أعذبكم وأورده كذلك في كتابه « تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية » من هذه الطريق إلا أن فيها إلا أهل الغرة بالله عز وجل كما عند السلمي ا هـ . ثم قال وهذا إسناد ضعيف ، وعبد السلام بن صالح كان رجلا =

به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه ، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدّم عليه كثيراً من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه ، لا سيما الخلافيات والجدليات، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة ، وإهمال مالا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة ، والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء ، هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان ، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب * كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله : كيف يفعل فى كذا وكذا ؟ فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى ؟ فيقول : إن هذا وفق لما أغفلناه * وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ، ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما ، وكانا يسألانه . وكيف وقد قال رسول الله ﷺ :

= صالحاً إلا أنه شيعى وهو من رجال ابن ماجه وقد اختلف فيه فقال أبو حاتم لم يكن عندى بصدوق وقال العقيلى رافضى خبيث وقال النسائى ليس بثقة وقال الدارقطنى رافضى متهم وقال عباس الدهرى سمعت يحيى يوثق أبا الصلت وقال ابن محرز عن يحيى ليس ممن يكذب وأثنى عليه أحمد بن يسار فى تاريخ مرو وقال السيوطى : فالحاصل أن حديثه فى مرتبة الضعيف الذى ليس بموضوع قال وقد أورد القطب القسطلانى هذا الحديث فى كتاب له فى التصوف وقال : إن له شاهداً من مرسل سعيد بن المسيب ا هـ . قال العراقى : وأما آخر الحديث فرواه أبو عبد الله الحسين بن فنجويه الدينورى فى كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس فذكر حديثاً طويلا فيه: ثم قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يقول : لا تحقروا عبداً أعطيته علماً فإنى لم أحقره حين وضعت ذلك العلم فى قلبه وكثير بن سليم ضعيف ا هـ . ثم قال مرتضى : وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبى موسى الأشعرى رفعه : إن الله تبارك وتعالى يقول لا تحقروا عبداً آتيته علماً فإنى لم أحقره حين علمته ، وطلحة بن زيد متروك قال السيوطى وقد أخرجه الطبرانى من طريق صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد به ، قلت : ووجدت فى كتاب تأليف الشيخ صفى الدين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى المنصور ظافر بن الحسين الأزدى نازل القرافة فى ترجمة شيخه عتيق الدمشقى أنه كان مع شيخه أبى النجاء بالموصل وذكر اجتماعه بقضيب البان فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب فكان يقول قضيب البان عند ذكر =

* [٧٣] ﴿ولما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة ؟ فقال ﷺ : سلوا الصالحين ، واجعلوه شورى بينهم﴾ ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت * وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوماً : إذا قمت من عندى فمن تجالس ؟ قلت المحاسبى ، فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث ، أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه * فإن قلت فلم لم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان ؟ * فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه ، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ، ولم يكن شىء منه مألوفاً فى العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه، بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب

= رجل منهم هذا وزنه كذا حتى ذكر شيخاً مشهوراً ببلاد المشرق فقال له عند ذكره : من الرجال من يرفع صيته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة ثم قال قضيب البان يا أبا النجاء إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة ، تمم هذا الحديث ، قال له الشيخ ما أعرف له تماما قال قضيب البان : تمامه فلا تحقرن عبداً آتاه الله علماً فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم، وودع الشيخ ومضى وسافر اهـ . قلت وهذا الذى ذكره قضيب البان لقد جاء فى الخبر كما فى القوت : إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة .

(٧٣) حديث ﴿ لما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله ولا السنة ﴾ وفى نسخة فى كتاب ولا سنة فقال فى الجواب ﴿ سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ﴾ الشورى بالضم فعلى من الشورة قال العراقى فيه : عن على بن أبى طالب وابن عباس ، أما حديث على فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية الوليد بن صالح عن محمد بن الحنفية عن على قال : قلت يا رسول الله إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهى فما تأمرنا ؟ قال تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأى خاصة . رجاله رجال الصحيح ورواه ابن عبدالبر فى العلم من رواية إبراهيم بن أبى الفياض عن سليمان بن بزيع عن مالك =

الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هى أربعة أجزاء : أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع فيصان الضعيف عنهما ، لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطىء النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر ، وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه ، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحدّ وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام . والثالث الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ، وهو داخل فى الكلام أيضاً ، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم ، بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة ، وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ؛ فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات ، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء ، إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح ، وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ، ولكن للطب فضل عليه ، وهو أنه محتاج إليه ، وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة إليها ، فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ؛ فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة

ـــــــــــــــ

= عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ، قلت يارسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة ؟ قال اجمعوا له العالمين أو قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد ، وفى رواية له اجمعوا له العابدين من غير شك قال ابن عبد البر هذا حديث لا يعرف من حديث مالك إلا بهذا الإسناد ولا أصل له فى حديث مالك عندهم ولا فى حديث غيره وإبراهيم وسليمان ليسا بالقويين والله أعلم ا ه . وقال ابن يونس سليمان بن بزيع منكر الحديث وإبراهيم بن أبى الفياض روى عن أشهب مناكير وأما حديث ابن عباس فرواه الطبرانى من رواية إسحق بن عبد الله بن كيسان المروزى عن أبيه عن عكرمة فذكر حديثاً قال فيه قال على : يا رسول الله أرأيت إن عرض لنا ما لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك؟ قال تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين الحديث ، وعبد الله بن كيسان منكر الحديث قاله البخارى ، وابنه إسحق نسبه الحاكم وقد ورد من =

لم يكن من جملة الحاج والمتكلم إذا تجرد المناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا ، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام ، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة ، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام ، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه ، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» فإن قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حدّ البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرّضت بذكرهم على تقدمهم وأنه لا يدرك في الدين شأوهم ، ولا يشق غبارهم ، ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها .

* [٧٤] ﴿وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناسَ بكثرة صيام ولاصلاة ولا بكثرة رواية ولافتوى ولاكلام ولكن بشيء وقر في صدره﴾ كما شهد له سيد المرسلين ﷺ. فليكن حرصك

= وجه آخر مرسلا رواه الدارمي في مسنده من حديث أبي سلمة أن النبي ﷺ سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة قال ينظر فيه العابدون من المؤمنين : وهذا إنما يصح من قول ابن مسعود موقوفاً رواه الطبراني وابن عبد البر في أثر طويل وفيه فإن أتاه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون وأسناده ثقات يحتج بهم اهـ . وفي القوت وقد روينا في خبر: قيل يا رسول الله كيف نصنع فذكر مثل سياق المصنف ، وفي آخره ولا تقضوا فيه أمراً دونهم ثم قال وفي حديث معاذ فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ قال اقض فيه بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسوله وفي بعضها أجتهد رأيي وكان سهل يقول لا تقطعوا أغراض الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى قيل يا أبا محمد من العلماء؟ قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل على نفوسهم وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته : وشاور في أمورك الذين يخشون الله عز وجل اهـ .

(٧٤) حديث ﴿ ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ﴾ الحديث، الترمذي الحكيم في النوادر من قول بكر بن عبد الله المزني ، ولم أجده مرفوعا .

فى طلب ذلك السرّ فهو الجوهر النفيس والدرّ المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله ﷺ عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ، ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه، إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ، ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم ، فقيل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام ، إنما أريد العلم بالله تعالى ؛ أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعاً بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره ، وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون ؛ فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شىء ، وما ينال به الشهرة عند الناس شىء آخر فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة ، وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه ، وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة،وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته ، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصوّر صدورها من طالب الجاه والإسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد ، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء ، وقد انقسموا ، فنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم،فإن كل علم عمل، فإنه فعل مكتسب وليس كل عمل علماً، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث أنه عامل لله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً، لا من حيث أنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه ٭

وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد ، وهو علم المكاشفة ، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ، ومركّب من عمل وعلم ، وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً ، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشدّ خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة ، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها * ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة : الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابداً وزاهداً وعالماً بعلوم الآخرة وفقيهاً فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريداً بفقهه وجه الله تعالى ؛ فهذه خمس خصال أتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ، إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدّادين . فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة * أما الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابداً ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثاً للعلم وثلثاً للعبادة وثلثاً للنوم * قال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة ، كل ذلك فى الصلاة * وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة * وقال الحسن الكرابيسى : بتّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين ، وكأنما جمع له الرجاء والخوف معاً فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها ، وقال الشافعى رحمه الله : ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة ، فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ، ثم فى جدّه فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام * وقال الشافعى رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً قط فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه ، وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت ، فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ؟ فقال : حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى ،

فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطاً على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر ، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب * وقال أحمد بن يحيى بن الوزير : خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوماً من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعى إلينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل ، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شىء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ، ولو ردّت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها * وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم : قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم * وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله : من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب * وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله تعالى إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجاً من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها * وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيراً * وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً * وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى، ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئاً أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد * ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى ، واشتغال همته بالآخرة ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له : قد مات ، فقال : إن مات فقد مات أفضل زمانه ، وما روى عبد الله بن محمد البلوى ، قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر العبّاد والزهاد فقال لى عمر : ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد إلى الصفا ، وكان الحرث تلميذاً لصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية : «هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون» فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعرّ جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لك رقاب المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجللى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ، قال : ثم مشى وانصرفنا ، فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفتُّ فإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت إلىّ فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيئاً ، فقال لى : اعلم أن من صدق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى

غداً أفلا أزيدك ؟ قلت نعم ، قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر ، ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ، ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهداً وفى الآخرة راغباً وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى ، فسألت من هذا؟ فقالوا هو الشافعى . فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فإنه « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه . روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فإنك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك . فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعى رضى الله عنه : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله : من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال ما من أحد إلا له محب ومبغض فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعى يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين ؟ فقال الشافعى رحمه الله التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه الله ملكا ، والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض » وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى « وآتيناه أهله ومثلهم معهم » الآية فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعى رحمه الله متى يكون الرجل عالماً ؟ قال إذا تحقق فى علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فإنه قيل لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال: إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه

قال : وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلىّ شيء منه . فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه بجرد النية فيه لوجه الله تعالى * وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء * وقال ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه * وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته، فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضاً ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعي رحمه الله تعالى * وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ماصليت صلاةً منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى. فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف ، وكان أحمد رحمه الله يقول : ما مسّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة ، وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فإن ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين * وأما الإمام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضاً متحليا بهذه الخصال الخمس فإنه قيل له ماتقول يامالك في طلب العلم؟ فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدّث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ * وقال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى * وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ، ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله : إني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري . ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ، ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمنّ

عليّ من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكرَه ثم دسّ عليه من يسأله، فروى على ملأ من الناس: ليس على مستكره طلاق، فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله: ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار؟ فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره . وسأله الرشيد : هل لك دار؟ فقال لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغى أن تخرج معنا فإنى عزمت على أن أحمل الناس على الموَطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن ، فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده فى الأمصار فحدّثوا فعند كل أهل مصر علم ، * وقد قال ﷺ [٧٥] ﴿اختلاف أمتى رحمة﴾ وأما الخروج معك فلا سبيل إليه ؛

---

(٧٥) حديث ﴿ اختلاف أمتى رحمة ﴾ قال العراقى ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية بغير إسناد بهذا اللفظ وأسنده فى المدخل من رواية سليمان بن أبى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رفعه فذكر حديثاً فى آخره «واختلاف أصحابى لكم رحمة» وسليمان وجويبر ضعيفان جدا والضحاك بن مزاحم مختلف فيه وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس اهـ . قال مرتضى وأول الحديث الذى فى المدخل « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد فى تركه ، فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية، فإن لم تكن سنة منى فما قال أصحابى إن أصحابى كالنجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة » قال السخاوى : ومن هذا الوجه أخرجه الطبرانى والديلمى فى مسنده بلفظه سواء، قلت وكذا أبو نصر السجزى فى الإبانة ، وقال غريب والخطيب وابن عساكر فى تاريخهما كذا فى الجامع الكبير للسيوطى ، وقال ابن السبكى فى تخريج أحاديث المنهاج : هذا شىء لا أصل له وقال والده : لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع اهـ . وأورده الحليمى فى كتاب الشهادات من تعليقه والقاضى حسين وإمام الحرمين ، وقال ابن الملقن فى تخريج أحاديث المنهاج : لم أر من خرّجه مرفوعاً بعد البحث الشديد عنه وإنما نقله ابن الأثير فى مقدمة جامعه من قول مالك وقال الزركشى فى تذكرته رواه الشيخ نصر المقدسى فى كتاب الحجة مرفوعا ، ورواه البيهقى فى المدخل عن القاسم بن محمد من قوله وعن يحيى بن سعيد نحوه وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول : ما سرنى لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة اهـ . كلام الزركشى ، وقال العراقى وله إسناد آخر مرسل ، رواه آدم بن أبى إياس فى كتاب العلم والحلم ، قال حدثنا بقية حدثنا أبو الحجاج مهدى حدثنى شيخ من لخم قال : قال رسول الله ﷺ : اختلاف أصحابى لأمتى رحمة ، وهذا إسناد فيه جهالة ، والمعروف أن هذا من قول القاسم بن محمد أنه قال : اختلاف أمة محمد ﷺ رحمة ، =

• قال رسول الله ﷺ: [٧٦] ﴿ المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ﴾.

=رواه البيهقي في المدخل اه . قال السخاوي وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعا من غير بيان لسنده ولا صحابيه ، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي اياس في كتاب العلم والحلم ، قال : هو مرسل ضعيف ، وبهذا اللفظ يعني لفظ ابن أبي إياس، ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد وفي المدخل من حديث سفيان عن أفلح بن حميد عن القاسم بن حميد قال : اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله ، ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ثم ساق بمثل سياق الزركشي ، ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال : أهل العلم أهل توسعة ، وما برح المفتون يختلفون ، فيحل هذا ويحرم هذا ولا يعيب هذا على هذا ، ثم قال السخاوي : وقرأت بخط شيخنا يعني ابن حجر الحافظ أنه أي هذا الحديث مشهور على الألسنة ، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ اختلاف أمتي رحمة للناس وكثر السؤال عنه ، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال : اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما أباضي والآخر ملحد وهما إسحق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا : لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا ، ثم تشاغل الخطابي فرد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده اهـ .

(٧٦) حديث ﴿ المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ﴾ قال العراقي : قد رواه كذلك ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل عن مالك عن النبي ﷺ بغير إسناد وهو مسند متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبي زهير وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وجابر وأبي أيوب وزيد بن ثابت وأبي أسيد ، أما حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه فأخرجه البخاري والنسائي من طريق مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان عن أبي زهير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون لأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، الحديث رواه مسلم من رواية وكيع وابن جريج والنسائي من رواية عبدة ابن سليمان ثلاثتهم عن هشام بن عروة ، قال مرتضى : لفظ مسلم « يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ ، قال العراقي : وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم في أفراده من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء ، هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » الحديث وقال مرتضى : أخرجه مسلم من طريق الدراوردي عن العلاء عن أبيه قال : وأما حديث سعد فرواه مسلم والنسائي من رواية عثمان ابن حكيم ، حدثني عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن تقطع عضاهها أو يقتل صيدها ، وقال : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وأما حديث جابر فرواه أحمد في المسند من طريق أبي الزبير ، عن جابر والبزار من طريق الجريري عن أبي بصرة عن جابر =

• وقال عليه الصلاة والسلام [٧٧] ﴿ المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ﴾ وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها . يعنى أنك إنما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته إلىّ فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ ؛ فهكذا كان زهد مالك . ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد . ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه ، فقال هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله ، فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إنى أستحيى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة . فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة . ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لى يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عزّ وإن أنتم أذللتموه ذلّ والعلم يؤتى ولا يأتى . فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس • وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضاً عابداً زاهداً عارفاً بالله تعالى خائفاً منه مريداً وجه الله تعالى بعلمه ، فأما كونه عابداً فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة • وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيى الليل كله • وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمرّ يوماً فى طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشى فقال لآخر هذا هو الذى يحيى الليل كله، فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله ، وقال : أنا أستحى

= ورجاله ثقات ، وأما حديث أبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى أسيد ، فرواها الطبرانى فى الكبير بأسانيد جيدة .

(٧٧) حديث ﴿ المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ﴾ الخبث محركة ما يلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبت، قاله ابن الأثير ، وقال العراقى وهو متصل من حديث مالك وغيره من حديث أبى هريرة وجابر وزيد بن ثابت ، أما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق مالك عن يحيى بن سعيد قال : سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد » ورواه مسلم من رواية ابن عيينة وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن يحيى بن سعيد وأما حديث جابر فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق مالك عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن أعرابياً بايع النبى ﷺ فذكر حديثاً فى آخره فقال : قال رسول الله ﷺ « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها » ورواه البخارى والنسائى من رواية سفيان =

من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته * وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى، فضربه عشرين سوطاً فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب * قال الحكم بن هشام الثقفي: حدّثت بالشام حديثاً في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى * وروى أنه ذُكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها! * وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم، قال: فما رضي أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح، ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة، أي هذه عادته، فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه: إذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة، قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك، فلقد كان شحيحاً على دينه * وروى أنه دعي إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا، فقيل له لم؟ فقال: إن كنت صادقاً فما أصلح لها، وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح للقضاء * وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل، فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا، وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى * وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس، فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله. فهذه نبذة

= الثوري عن ابن المنكدر، وفي رواية لأحمد من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثا فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة إلى الدجال، ثم قال ذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد وذكر بقية الحديث ورجاله رجال الصحيح، وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من رواية عبد الله بن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ « إنها طيبة يعني المدينة وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة اﻫ. قال مرتضى: ولفظ البخاري من حديث جابر جاء أعرابي فبايعه يعني النبي ﷺ على الإسلام ثم جاء من الغد محموما فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاء فأبى، ثم جاء فقال: أقلني بيعتي، فأبى، فخرج الأعرابي فقال النبي ﷺ: إنما المدينة ... الحديث قاله ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج، وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث الكتاب المذكور، أخرجه الشيخان في صحيحيهما من طرق أحدها عند أبي هريرة مطولا وفيه ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث =

من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء ، وسفيان أقل أتباعاً من أحمد ، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر ، وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن . فانظر الآن فى سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال فى الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعان ، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه ، وانظر إلى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا .

الباب الثالث فيما يعدّه العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموماً وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها .

﴿ بيان علة ذم العلم المذموم ﴾

لعلك تقول العلم هو معرفة الشىء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشىء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً ، فاعلم أن العلم لا يذم لعينه ، وإنما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤدياً إلى ضررٍ ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق ، إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين .

* [٧٨] ﴿ وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر ﴾ وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع ، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستعانه بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى

= لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث ، الثانى عن جابر مطولا أيضا بقصة وفيه : إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها ، الثالث عن زيد بن ثابت ولفظه إنها طيبة يعنى المدينة وساق كسياق العراقى ، قال : وفى بعض طرق البخارى تنفى الذنوب ذكره فى المغازى .

(٧٨) حديث ﴿ سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر ﴾ قال العراقى : متفق عليه من حديث عائشة اهـ . قال مرتضى : أخرجه البخارى فى كتاب الطب من طريق عيسى بن يونس وسفيان بن عيينة وأبى أسامة ثلاثتهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ، أما الطريق الأولى ففيها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشىء وما فعله حتى

العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث أنها معرفة ليست بمذمومة، ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق، والوسيلة إلى الشر شر، فكان ذلك هو السبب فى كونه علماً مذموماً ، بل من اتبع ولياً من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه، وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثانى أن يكون مضراً بصاحبه فى غالب الأمر كعلم النجوم فإنه فى نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان : قسم حسابى وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل : « الشمس والقمر بحسبان » وقال عز وجل : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » . والثانى الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ، ولكن قد ذمه الشرع .

= إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى دعا ودعا ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه ، أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم قال : فى أى شيء ؟ قال : فى مشط أو مشاطة وجف طلع من نخلة ذكر ، قال : وأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان ، فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين . قلت : يا رسول الله أفلا استخرجته قال : قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس شراً . فأمر بها فدفنت قال البخارى : تابعه أبو أسامة وأبو حمزة وابن أبى الزناد عن هشام وقال الليث وابن عيينة عن هشام من مشط ومشاقة ويقال المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان . وأما الطريق الثانية ففيها قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم رجل من بنى زريق حليف ليهود كان منافقاً ، وفيها فى جف طلعة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذروان وفيها فقالت فقلت : أفلا تنشرت ؟ فقال : أما والله فقد شفانى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا ، والباقى سواء . وأما الطريق الثالثة ففيها فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان قال : فذهب النبى ﷺ فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظروا إليها وعليها نخل وفيها فأمر بها فدفنت والباقى سواء ، وقد أخرجه كذلك مسلم والنسائى فى الكبرى وابن ماجه كلهم من رواية هشام قال العراقى : وفى الباب عن ابن عباس وزيد بن أرقم ، أما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه فى تفسيره من رواية عصام عن سليمان بن عبد الله عن عكرمة عنه وعصام ضعيف ، وأما حديث زيد بن أرقم فرواه ابن سعد فى الطبقات من رواية الثورى عن الأعمش عن ثمامة المحلى عنه وقال ابن الملقن فى شرحه على البخارى فى تفسير المعوذتين ، ويقال إن العقد عقدها بنات لبيد وهى إحدى عشرة عقدة فى وتر ومشط ومشاطة أعطاها لغلام يهودى يخدمه وصورة من عجين فيها إبر مغروزة ، فبعث علياً والزبير وعماراً فاستخرجوه =

• قال ﷺ [٧٩] : ﴿ إذا ذكر القدَر فأمسكوا ، وإذا ذُكرت النجومُ فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا ﴾ .

• وقال ﷺ [٨٠] : ﴿ أخاف على أمتى بعدى ثلاثاً : حيف الأئمة ، والإيمان بالنجوم ،

= وشفاه الله تعالى وقال المهلب فى شرحه : مدار هذا الحديث على هشام بن عروة وأصحابه يختلفون فى استخراجه ، فأثبته سفيان فى رواية من طريقين ، وأوقف سؤال عائشة على النشرة ونفى الاستخراج عن عيسى بن يونس وأوقف سؤالها النبى ﷺ على الاستخراج ، ولم يذكر أنه جاوب على الاستخراج بشىء وحقق أبو أسامة جوابه ﷺ إذ سألته عائشة عن استخراجه بلا ، فكان الاعتبار يعطى أن سفيان أولى بالقول لتقدمه فى الضبط وأن الوهم على أبى أسامة فى أنه لم يستخرجه ويشهد لذلك أنه لم يذكر النشرة ، وكذلك عيسى بن يونس لم يذكر أنه ﷺ جاوب على استخراجه بلا ، وذكر النشرة والزيادة من سفيان مقبولة لأنه أثبتهم لا سيا فيا حقق من الاستخراج ، وفى ذكر النشرة هى جواب للنبى ﷺ مكان الاستخراج ، ويحتمل أن يحكم بالاستخراج لسفيان ، ويحكم لأبى أسامة بقوله ، لا على أنه استخرج الجف بالمشاقة ولم يستخرج صورة ما فى الجف لئلا يراه الناس فيتعلمونه ثم اعلم أن السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل غير قادح فى نبوّته وطاح بذلك طعن الملحدة قاتلهم الله وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشىء وما فعله ، فذلك مما يجوز طرؤه عليه فى أمر دنياه دون ما أمر بتبليغه ، وقد روى عن ابن المسيب وعروة ، سحر حتى كاد ينكر بصره ، وعن عطاء الخراسانى حبس عن عائشة سنة قال عبد الرزاق : وحبس عنها خاصة حين أنكر بصره ، لكن رواية ثلاثة أيام أو أربعة هى أصوب .

(٧٩) حديث ﴿ إذا ذكر القدر فأمسكو وإذا ذكر النجوم فإمسكوا وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا ﴾ قال العراقى : أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن اهـ . أى فى معجمه الكبير من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمدانى عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله رفعه ، وفيه تقديم الجملة الأخيرة ثم الثانية ثم الأولى ، ورواه الخطيب فى كتاب القول فى علم النجوم بلفظ المصنف من رواية أبى مخذم عن أبى قلابة عن ابن مسعود وأبو مخذم اسمه النصر بن سعيد ليس بشىء قاله ابن معين وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود ورواه الطبرانى أيضاً من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نبه عليه الحافظ ابن حجر وابن عدى فى الكامل عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف ، وقال الهيثمى فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف ، ورواه أبو الشيخ فى كتاب الطبقات من رواية الحسن عن أبى هريرة مرفوعا فى أثناء حديث ، وقال ابن رجب روى من وجوه فى إسنادها كلها مقال ، وقد رمز السيوطى لحسنه تبعا لابن حصرى ولعله اعتضد قال المناوى فى شرح هذا الحديث أى لما فى الخوض فى الثلاثة من المفاسد التى لا تحصى .

(٨٠) حديث ﴿ أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة وإيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر ﴾ قال العراقى : أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى محجن بسند ضعيف اهـ . قال مرتضى : هو من رواية =

والتكذيب بالقدر» . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا . وإنما زجر عنه (من ثلاثة أوجه . أحدها :) أنه مضر بأكثر الخلق ؛ فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتاً إليها ، ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجواً من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس ، وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ، ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة ، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى ، وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق ، وما يتفق

= على بن يزيد الصدائى ، حدثنا أبو سعيد البقال عن أبى محجن قال : أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال فذكره وأخرجه ابن عساكر كذلك من طريقه وأبو محجن اسمه عمرو بن حبيب الثقفى فارس شاعر صحابى والرواية إيمانا وتكذيبا بالنصب فيهما وإنما نكر إيمانا ليفيد الشيوع فيدل على التحذير من التصديق بأى شىء كان من ذلك جزئيا أو كليا مما كان من أحد فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير فإنه غير ضار كما تقدم وأخرج الطبرانى من حديث أبى أمامة رفعه « إن أخوف ما أخاف على أمتى فى آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان » وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث جابر بن سمرة بلفظ « ثلاثاً أخاف على أمتى استسقاء بالأنواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر » وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل والخطيب فى كتاب النجوم عن أنس بسند حسن « أخاف على أمتى بعدى خصلتين : تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم » ومن شواهد الحديثين ما أخرجه الديلمى فى الفردوس وابن حصرى فى أماليه عن عمر بن الخطاب مرفوعا « لا تسألوا عن النجوم ولا تماروا فى القدر ولا تفسروا القرآن برأيكم ولا تسبوا أحداً من أصحابى ، فإن ذلك الإيمان الإيمان المحض » هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير ، قلت : وأخرجه الخطيب فى ذم النجوم من حديث اسمعيل بن عباس عن البخترى بن عبيد عن أبيه عن أبى ذر عن عمر موقوفا : كذا فى شرح ابن الملقن على البخارى .

من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها ؛ فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة ، وإن لم يقدر أخطأ ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم ، وربما يكون بخلافه ، ومجرد الغيم ليس كافياً فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تدرى . وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة فى الرياح ، ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطىء ، ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضاً . وثالثها أنه لا فائدة فيه ؛ فأقل أحـــواله أنه خوض فى فضول لا يغنى ، وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الإنسان فى غير فائدة ، وذلك غاية الخسران . • [٨١] ﴿ فقد مر رسول الله ﷺ برجل والنـاس مجتمعون عليه ، فقال ما هذا ؟ فقالوا رجل علامة ، فقال : بمـاذا ؟ قالوا بالشعر وأنساب العرب، فقال : علم لا ينفع وجهل لا يضر ﴾.

---

(٨١) حديث ﴿ مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا ؟ قالوا رجل علامة ، فقال بماذا ؟ فقالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر ﴾ قال العراقى : خرجه ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه ، وفى آخر الحديث إنمـا العلم آية محكمة الخ اهـ . قال مرتضى وقال ابن عبد البر نفسه : لعمرى لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، قال المناوى وكأنه لم يطلع على كونه حديثاً ، أو رأى فيه قادحا يقتضى الرد قلت : كيف يقال إنه لم يطلع على الحديث وهو الذى خرجه من حديث أبى هريرة ؟ فالوجه هو القول الثانى الذى ذكره وأخرج الرشاطى من طريق ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة • علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ، وفى القوت وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسل أنه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل علامة قال : بماذا ؟ قالوا : بالشعر والأنساب وأيام العرب فقال : هذا علم لا يضر جهله ، وفى لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وأخرج الإمام أحمد فى مسنده والترمذى فى البر والصدقة والحاكم عن أبى هريرة رفعه: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المـال منسأة فى الأثر ، وصححه الحاكم وأقره الذهبى ، وقال الهيثمى رجال أحمد وثقوا ، وقال الحافظ بن حجر : هذا الحديث له طرق أقواها ما أخرجه الطبرانى من حديث العلاء بن خارجة ، وجاء هذا عن عمر أيضاً ساقه ابن حزم بإسناد رجاله موثقون إلا أن فيه انقطاعا اهـ . قلت : وأخرج ابن زنجويه من حديث أبى هريرة تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا ، وبهذا يظهر الجمع بين الحديثين وأن محل النهى إنما هو فى التوغل فيه والاسترسال بحيث يشتغل به عما هو أهم منه ، وفى التخريج =

• وقال ﷺ [٨٢] ﴿ إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة ﴾ فإذاً الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فإن ما قدّر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه، وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ولا خطر فيه (السبب الثالث) الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون عليها ولم يستقلوا بها، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق، فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه، ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل

= الكبير للعراقي، رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة وفيه أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة قال: وما العلامة؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العرب فقال: هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر، ثم قال: العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة اهـ.

(٨٢) حديث ﴿ إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة ﴾ أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو، وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبي هريرة قاله العراقي. قال مرتضى: وفي تجريد الصحاح لرزين من طريق النسائي عن ابن عمرو رفعه «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة»، وفي القوت ويروى: العلم ثلاثة آية محكمة وسنة قائمة، ولا أدرى «وأخرجه أبو نعيم في رياضة المتعلمين بمثل رواية النسائي، تقدم قريبا قبل هذا وهو آخر الحديث، ورواه كذلك أبو داود وابن ماجه، كما تقدم عن العراقي من رواية عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن ابن عمرو ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الكتاب المذكور من رواية اسمعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو قال العراقي: وقد ورد موقوفا على ابن عمر نحوه، رواه الطبراني في الأوسط من رواية حصين عن مالك عن نافع عن ابن عمرو رواه الدارقطني من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر: العلم ثلاثة كتاب ناطق =

ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له لم تمت ! فقال الطبيب . قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد ، فقال كيف ذاك ؟ قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة . فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم :

* [٨٣] ﴿ نعوذ بالله من علم لا ينفع ﴾ . فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثاً عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ، ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ماهي عليه فأي ضرر في التفكر في العلم فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر ، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الإحاطة بها كما أن في خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها

= وسنة ماضية ولا أدري ، وأخرجه الخطيب أيضاً هكذا وقال تابعه أبو طاهر محمد بن موسى المقدسي وأبو حذافة السهمي قال : وخالفهم سعيد بن داود الزبيري ، فرواه عن مالك عن داود بن الحصين عن طاوس عن ابن عمر ، قلت : ويحتمل أن المصنف أوردهما على أنه حديث واحد فإنه عقبه بقوله : والله أعلم .

(٨٣) حديث ﴿ نعوذ بالله من علم لا ينفع ﴾ أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا بالله كما تقدم قاله العراقي . وقال مرتضى : وفي القوت والخبر المشهور قوله ﷺ : أعوذ بك من علم لا ينفع فسماه علماً إذ له معلوم وإذ أصحابه علماء ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عز وجل اهـ . وفي الباب عن زيد بن أرقم وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأنس وابن مسعود وابن عباس ، وقد تقدم في أحاديث الخطبة .

وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها، فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام . * [٨٤] ولذلك قال ﷺ ﴿ إن من العلم جهلا ، وإن من القول عياً ﴾ ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الإضرار . * [٨٥] وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ قليل من التوفيق خير من كثير من العلم ﴾ وقال عيسى عليه السلام : ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع .

﴿ بيان ما بدّل من ألفاظ العلوم ﴾

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألفاظ

---

(٨٤) حديث ﴿ إن من العلم جهلا وإن من القول عيالا ﴾ قال العراقي : أخرجه أبو داود من حديث بريدة وفي إسناده من يجهل اهـ . قال مرتضى : أخرجه في الأدب من حديث أبي جعفر عبد الله ابن ثابت عن صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده بريدة بن الحصيب ، قال عبد الله بينما هو يعني بريدة جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن من البيان سحرا وإن من العلم جهلا ، وإن من الشعر حكما ، وإن من القول عيالا ، وفي القوت وروينا في خبر « إن من العلم جهلا وإن من القول عياً » ، قلت : وقد يروى من حديث عليّ أخرجه الهروي في ذم الكلام وفيه زيادة وقد وجد في بعض نسخ الكتاب عيا بدل عياله كما هو نص القوت .

(٨٥) حديث ﴿ قليل من التوفيق خير من كثير من العلم ﴾ قال العراقي : لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال : العقل بدلا من العلم ، ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ . قال مرتضى : وأخرجه ابن عساكر عن أبي الدرداء بمثل ما في الفردوس وزاد والعقل في أمر الدنيا حقرة والعقل في أمر الدين مسرة ، وروى الطبراني عن ابن عمر وقليل الفقه خير من كثير من العبادة وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه ، وأورد ابن عبد البر كذلك في العلم وأبو نصر السجزي في الإبانة ، وقال غريب عن ابن عمرو وأخرج البخاري في التاريخ عن ابن عمر وأبو موسى المديني في المعرفة عن رجاء غير منسوب قليل من العلم خير من كثير من العبادة تبع المصنف صاحب القوت فإنه أورده هكذا وزاد ، وفي خبر غريب « كل شيء يحتاج إلى العلم والعلم يحتاج إلى التوفيق » .

الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامى عليهم (اللفظ الأوّل الفقه) فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقاً فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى: « لهم قلوب لا يفقهون بها » وأراد به معانى الإيمان دون الفتاوى، ولعمرى إن الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد، وإنما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديماً وحديثاً قال تعالى: « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله» الآية، فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم.

• وقال ﷺ: [٨٦] ﴿ علماء حكماء فقهاء ﴾ للذين وفدوا عليه، وسئل سعد بن إبراهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالى، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه، والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية.

---

(٨٦) حديث ﴿ علماء حكماء فقهاء، قاله للذين وفدوا عليه ﴾ وفى نسخة «قدموا عليه» قال العراقى: أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث بإسناد ضعيف اهـ. قال مرتضى وكذا أبو موسى المدينى فى كتابه فى الصحابة الذى ذيل به على ابن منده كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى، حدثنى أبى عن جدى سويد بن الحرث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومى فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قال سويد: قلنا خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا، فقال رسول الله ﷺ: وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال: وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من =

* وقال ﷺ [٨٧] ﴿ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ، قالوا : بلى ، قال : من لم يُقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يدَع القرآن رغبةً عنه إلى ما سواه﴾ ولما روى أنس بن مالك :

* قوله ﷺ [٨٨] : ﴿لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب﴾ قال فالتفت إلى زيد الرقاشى وزياد النميرى وقال ولم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سرداً ، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ، ونعد نعم الله علينا تفقها ، فسمى تدبر القرآن وعدّ النعم تفقهاً .

= استطاع إليه سبيلا قال : وما الخمس التى تخلقتم بها أنتم فى الجاهلية؟ قلنا : الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق فى مواطن اللقاء والرضا بمر القضاء والصبر عند شماتة الأعداء ، فقال النبى ﷺ : علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء ، وفى مشيخة الأنصارى فقال : أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ، وقال الحافظ بن حجر : هو فى كتاب المعرفة لأبى نعيم من رواية أبى سليمان الدارانى عن زاهد بالشام سماه عن أبيه عن جده سويد اهـ . وقال مرتضى : كذلك قال الذهبى فى الميزان علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لا يعرف ، وأتى بخبر منكر لا يحتج به ، فلينظر .

(٨٧) حديث ﴿ ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه ﴾ قال العراقى : أخرجه أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق ، وأبو بكر بن السنى فى رياضة المتعلمين ، وابن عبد البر فى العلم من حديث على كلهم من طريق ابن وهب قال : أخبرنى عقبة بن نافع عن إسحق بن أسيد عن أبى مالك وأبى إسحق عن على رفعه وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه على على ولم يرو مرفوعا إلا بهذا الإسناد اهـ . قال مرتضى : وفى رواية الثلاثة تقديم لم يؤيسهم على لم يؤمنهم مع زيادة فى آخره وهى «ألا لا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ولا فى علم ليس فيه تفهم ولا فى قراءة ليس فيها تدبر» وهكذا هو فى الفردوس بتلك الزيادة .

(٨٨) حديث ﴿ لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب ﴾ أخرجه أبو داود بإسناد حسن قاله العراقى . قال مرتضى : تبع المصنف صاحب القوت فى سياقه والحافظ العراقى سكت عليه ، وعزاه بهذا السياق إلى أبى داود والذى فى سننه من رواية موسى بن خلف عن قتادة عن أنس رفعه «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربعة من ولد اسمعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربعة» ، وموسى بن خلف العمى قال : فيه =

* قال ﷺ [٨٩] : ﴿ لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة ﴾ وروى أيضاً موقوفاً على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله ﴿ ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً ﴾ وقد سأل فرقد السنجى الحسن عن شىء فأجابه، فقال: إن الفقهاء يخالفونك ، فقال الحسن رحمه الله : ثكلتك أمك فريقد ، وهل رأيت فقيهاً بعينيك إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ، ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ، ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ، ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك معيناً من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر ، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة

= ابن مغيث ضعيف ، وقال مرة : لا بأس به ورواه أيضاً هكذا أبو نعيم فى المعرفة والبيهقى فى السنن والضياء المقدسى فى المختارة كلهم عن أنس وأخرج أبو يعلى الموصلى فى سننه وفيه لأن أقعد مع أقوام بدل قوم ، وفيه زيادة « دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا فى الموضعين » وأخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده وابن السنى فى عمل يوم وليلة والبيهقى فى السنن عن أنس أيضاً بلفظ « لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلىّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسمعيل دية كل واحد إثنا عشر ألفا» كذا فى الجامع الكبير ، ورواه ابن السنى فى رياضة المتعلمين والخطيب فى الفقيه والمتفقه نحوه وفيه كلهم مسلم وليس عندهما ذكر الدية ، وفى الباب عن حسن بن على وسهل بن سعد والعباس ابن عبد المطلب وابن عمر وابن عمرو وعتبة بن عبد الله وعلى وعمر بن الخطاب ومعاذ بن أنس وأبى أمامة وأبى هريرة وعائشة سيأتى ذكرها حيث ذكرها المصنف فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(٨٩) حديث ﴿ لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ﴾ قال العراقى : أخرجه ابن عبد البر من رواية عبد الله بن أبى مريم حدثنا عمرو بن أبى سلمة التنيسى ، حدثنا صدقة بن عبد الله عن ابراهيم بن أبى بكر عن أبان بن أبى عياش عن أبى قلابة عن شداد بن أوس وقال : لا يصح مرفوعا اهـ . قال مرتضى : وهذا أورده الخطيب فى المتفق والمفترق من حديث شداد أيضاً ولفظه لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه .

تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع . (اللفظ الثانى العلم) وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه ، حتى أنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه ، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ، فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم ، وهذا أيضاً تصرف بالتخصيص ، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته ، وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والإخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سبباً مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم (اللفظ الثالث التوحيد) وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ، وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعه لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والمماراة ، فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع فلقد كان ذلك معلوماً للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله ، فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى ، وكانت إحدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه أنطلب لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب أمرضنى ، وقول آخر لما مرض فقيل له : ماذا قال لك الطبيب فى مرضك ؟ فقال : قال لى إنى فعال لما أريد ، وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك ، والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الإسم بالقشر وبصنعة الحراسة القشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ، ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هـــذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ، وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة .

• والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه».

• [٩٠] وقال ﷺ: ﴿أبغض إله عُبد فى الأرض عند الله تعالى هو الهوى﴾ وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى، ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حوّل وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيق، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفاتح اللهَ به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وماصرفه إلا عن سائر الجهات، والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجهاً إليه تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى: «قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون» وليس المراد به القول باللسان فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع الذكر والتذكير) فقد قال الله تعالى: «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة.

---

(٩٠) حديث ﴿أبغض إله عبد فى الأرض عند الله تعالى هو الهوى﴾. قال العراقى: أخرجه الطبرانى من رواية إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخطيب بن جحدر عن راشد بن سعد عن أبى امامة رفعه بلفظ «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع» ورواه أبو نعيم فى الحلية من رواية بقية عن عيسى بن إبراهيم عن راشد، وكل من الخطيب وعيسى متروكان. انتهى.

• [٩١] كقوله ﷺ ﴿إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل : وما رياض الجنة ؟ قال مجالس الذكر﴾ • [٩٢] وفى الحديث : ﴿إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس

---

(٩١) حديث ﴿ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل : وما رياض الجنة قال : مجالس الذكر ﴾ قال العراق : أخرجه الترمذى من حديث أنس وحسنه اهـ . قال مرتضى هو من رواية محمد بن ثابت حدثنى أبى عن أنس بن مالك وأورده أبو طالب المكى فى القوت والقشيرى فى الرسالة كلاهما من غير سند إلا أن فى سياق الرسالة « إذا رأيتم رياض الجنة » والباقى سواء . وقول العراقى إنه أخرجه الترمذى فنصه فى سننه « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر » أخرجه هكذا الإمام أحمد فى مسنده والبيهقى فى الشعب كلهم عن أنس وقال الترمذى حسن غريب من هذا الوجه وفى حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير من رواية مجاهد عنه وفيه « قال مجالس العلم » قال الهيثمى فيه رجل لم يسم أى قول الحرث بن عطية أحد رواته : حدثنا بعض أصحابنا عن أبى نجيح عن مجاهد ، وفى حديث أبى هريرة فيما أخرجه الترمذى فى الدعوات من رواية حميد المكى أن عطاء بن أبى رباح حدثه عنه وقال غريب وفيه « قيل وما رياض الجنة ؟ قال المساجد قيل : وما الرتع ؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وقال القشيرى فى رسالته أخبرنا أبو الحسين على بن بشر ببغداد أخبرنا أبو على الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عثمان بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة » قلنا : يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » قلت : وأخرجه هكذا البزار وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من رواية عمر بن عبد الله مولى ظفرة ، قال : سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول: قال جابر خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة قالوا : وأين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه أنفسكم » الحديث . ثم أنه فسر الرياض تارة بحلق الذكر وتارة بمجالسه وتارة بحلق العلم ومجالسه وتارة بالمساجد ولا مانع من إرادة الكل وإنه إنما ذكر فى كل حديث بعضها لأنه خرج جواباً عن سؤال معين فأجاب كلاً بما يليق بحال سؤاله وقال السيوطى فى تحذير الخواص ، وأخرج الخطيب عن ابن مسعود رفعه « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا أما إنى لا أعنى حلق القصاص ولكن أعنى حلق الفقه » قلت هو فى كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب وبمثل هذا روى عن عبد الله بن عمر ، وابن عمرو .

(٩٢) حديث ﴿ إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله تعالى وذكروا بأنفسكم ﴾ وفى نسخة واذكروا بأنفسكم ، قال العراقى : متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله سياحين فى الهواء وللترمذى سياحين فى الأرض ، وقال مسلم سيارة اهـ . قال مرتضى : أخرجه صاحب القوت بلا سند ولفظه كلفظ المصنف إلا أنه قال « فضلا عن كتاب الخلق إذا رأوا مجالس =

الذكر ينادى بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون، ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم ﴾ فنقل ذلك إلى ماترى . أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة ، وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص * [٩٣] ﴿ وقالوا لم يكن ذلك فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن أبى بكر

= الذكر تنادوا بعضهم بعضاً ، وفيه « فيأتونهم حتى يجلسوا إليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم » والباقى سواء ، وأخرج البخارى من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ، قال الترمذى ، أو عن أبى سعيد الخدرى ، وقال البخارى رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه ورواه سهل عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً ورواه مسلم من هذا الوجه ، وليس فى الصحيحين ولا عند الترمذى ما ذكره المصنف فى آخر هذا الحديث وقد تقدم فى الحديث الذى قبله حديث جابر ولفظه « فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه بأنفسكم » وأخرج البيهقى فى الشعب وابن ماجه من حديث أبى هريره بأتم من هذا بلفظ « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى السكون يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم مايقول عبادى فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأونى فيقولون لا والله فيقول : كيف لو رأونى ، فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً ، فيقول فما يسألونى فيقولون يسألونك الجنة فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون لا والله يارب ما رأوها فيقول فكيف لو أنهم رأوها ؟ فيقولون لو أنهم رأوها لكانوا أشد لها حرصاً وأشدّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة ، قال مم يتعوّذون ؟ فيقولون من النار فيقول الله وهل رأوها فيقولون لا والله يارب ما رأوها فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة ، فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم لايشقى جليسهم » كذا فى الذيل للسيوطى وأخرجه السهروردى هكذا فى عوارف المعارف من طريق الحافظ أبى نعيم من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأخرج البزار من رواية زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس رفعه « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر » الحديث .

(٩٣) حديث ﴿ وقالوا لم يكن ذلك ﴾ أى القص ﴿ فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص ﴾ هكذا أورده الطرطوشى فى جامعه وقال العراقى أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الله بن عمر بن حفص العمرى عن نافع عن ابن عمر بإسناد حسن ا هـ . قال مرتضى : وهكذا ذكره العراقى أيضاً فى كتابه الباعث على الخلاص قال : وروى الإمام أحمد والطبرانى عن السائب بن يزيد قال « إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ ولا زمن أبى بكر ولا زمن عمر » هكذا هو فى الكتاب المذكور وفى التخريج الكبير للعراقى من رواية الزهرى عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبرانى إلى قوله « ولا زمن أبى بكر » ثم قال « وأول من قص تميم الدارى استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائماً فأذن له ا هـ . قال السيوطى وأخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن نافع وغيره من =

و لا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص ﴾ ٠ [٩٤] وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال : ﴿ما أخرجنى إلا القاص ولولاه لما خرجت﴾ ، وقال ضمرة : قلت لسفيان الثورى : نستقبل القاص بوجوهنا ؟ فقال : ولوا البدع ظهوركم ، وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا ، فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول حدثنا الأعمش ، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه ؛ فقال القاص ياشيخ ألا تستحى ؟ فقال : لم أنا فى سنة وأنت فى كذب أنا الأعمش وما حدثتك ، وقال أحمد : أكثر الناس كذباً القصاص والسؤال ، وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة ؛ فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه إذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعاً الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال : ٠ [٩٥] ﴿حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض ، وحضور مجلس علم أفضل

= أهل العلم قالوا : لم يقص فى زمان النبى ﷺ ولا زمان أبى بكر ولا زمان عمر وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة فهذا موقوف على نافع وأخرج ابن أبى شيبه والمروزى عن ابن عمر قال لم يقص على عهد النبى ﷺ ولا عهد أبى بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان إنما كان القصص حين كانت الفتنة ، وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى عامر عبد بن يحيى قال حججنا مع معاوية بن أبى سفيان فلما قدمنا مكة أخبر بقصاص على أهل مكة مولى بنى فروخ ، فأرسل إليه فقال أمرت بهذا القصص ؟ قال لا ، قال فما حملك على أن تقص بغير إذن ؟ قال : نفسر علماً علمناه الله عز وجل ، قال معاوية لو كنت تقدمت عليك لقطعت منك طائفة .

(٩٤) حديث ﴿وروى أن ابن عمر خرج من المسجد وقال ما أخرجنى إلا القاص ولولاه ماخرجت﴾ أخرجه صاحب القوت من طريق الزهرى عن سالم عنه وأخرج المروزى من هذا الطريق أن ابن عمر كان يلقى خارجا من المسجد فيقول ما أخرجنى إلا صوت قاصكم هذا ، وأخرج أيضاً عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر قال لقاص يقص عنده قم عنا فقد آذيتنا ، وأخرج ابن أبى شيبة والمروزى عن عتبة بن حريث قال سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاص لجلس فى مجلسه فقال له ابن عمر قم من مجلسنا فأبى أن يقوم فأرسل إلى صاحب الشرط فأرسل إليه شرطياً فأقامه ، وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد أن ابن عمر مر بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال : اللهم اقطع هذه الأيدى .

(٩٥) حديث ﴿حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل : يارسول الله ومن قراءة =

من شهود ألف جنازة ، فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم ﴾ وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو . فقد اتخذ المذخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص ، وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن ، وتزيد عليها فإن من القصص ماينفع سماعه ومنها ما يضر ، وإن كان صدقاً ، ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار ؛ فمن هذا نهى عنه ، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاص صادق ؛ فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم ، وكان القاص صادقاً صحيح الرواية فلست أرى به بأساً فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومىء إلى هفوات أومساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فإن العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذراً فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصى فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى ، فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار . ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان ؛ فإن فى الصدق مندوحة عن الكذب

ــــــــــــــــــ

= القرآن؟ قال : وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم ؟﴾ هذا الحديث قد تقدم فى أول الكتاب ، أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق عبيدة السلمانى عن عمر ، وتقدم الكلام عليه ، والذى روى عن أبى ذر بمعناه ولفظه «يا أبا ذر لأن تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة» الحديث ، هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير وفى الذيل على الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم فى التاريخ ، وقال ابن القيم وذكر ابن عبد البر عن معاذ مرفوعا «لأن تغدو فتعلم بابا من أبواب العلم خير لك من أن تصلى مائة ركعة» وهذا لا يثبت رفعه ولكن المصنف تابع فى أكثر ما يورده من الأحاديث صاحب القوت فإنه هكذا أخرجه فى كتابه فقال وقد روينا حديث أبى ذر فذكره ، وفى كتاب الإيمان من موضوعات السيوطى قال الذهبى فى الميزان : الجويبارى ممن يضرب به المثل بكذبه ، ومن طاماته عن إسحق بن نجيح الكذاب عن هشام بن حسان عن رجالة «حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة» اهـ . قال مرتضى وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه وابن أبى داود فى المصاحف وأبو طالب المكى فى القوت من طريق عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال «سألت الحسن أعود مريضاً أحب إليك أو أجلس =

وفيما ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعدّ ذلك من التصنع * قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع : هذا الذى يبغضك إلىّ لا قضيتُ حاجتك أبداً حتى تتوب ، وقد كان جاءه فى حاجة * وقد قال ﷺ لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات : [٩٦] ﴿ إياك والسجع ياابن رواحة ﴾ فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ، ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولاصاح ولا استهل ومثل ذلك يطل * فقال النبى ﷺ [٩٧] ﴿ أسجع كسجع الأعراب ؟ ﴾ * وأما الأشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم قال الله تعالى «والشعراء يتبعهم الغاوون

= إلى قاص ؟ فقال : عد مريضك قلت : أشيع جنازة أحب إليك أو أجلس إلى قاص ؟ فقال : شيع جنازتك قلت : وإن استعان بى رجل على حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص ؟ قال : اذهب فى حاجتك حتى جعله خيراً من مجالس الفراغ ، قال صاحب القوت : فلو كانت مجالس الذكر عندهم هى مجالس القصاص ، وكان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيراً من الأعمال لأن الذاكر لله تعالى فى أرفع مقام وحضور مجالس الذكر من مزيد الإيمان .

(٩٦) حديث ﴿ إياك والسجع يا ابن رواحة ﴾ ، قال العراقى لم أجده مرفوعاً ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين بإسناد صحيح من رواية الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لكاتب « إياك والسجع فإن النبى ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون ، زاد ابن السنى بعد قولها : إياك والسجع لا تسجع ورواه ابن حبان فى صحيحه من رواية الشعبى عن ابن أبى السائب قاضى أهل المدينة قال: قالت عائشة فذكر كلاماً لها وفيه واجتنب السجع من الدعاء فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه يكرهون ذلك ، وروى البخارى من رواية عكرمة عن ابن عباس قال« حدث الناس كل جمعة مرة فذكر الحديث وفيه : « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك اه . وفى القوت : ومما أحدثوا السجع فى الدعاء والتغريب فيه وما لم يرد الكتاب به ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء فى الدعاء ، وروينا عن رسول الله ﷺ إياكم والسجع فى الدعاء ، بحسب أحدكم أن يقول : اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بما يعتق فيه فقال : يا بنى ، إياك والحديث إياك والاعتداء .

(٩٧) حديث ﴿ أسجع كسجع الأعراب ﴾ وهم أهل البادية وكانوا يستعملون الأسجاع فى كلامهم . قال العراقى : ورد من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وابن عباس وجابر وأسامة بن عمير الهذلى وحمل بن مالك وعويم بن ساعدة الهذلى رضى الله عنهم ، أما حديث المغيرة فرواه مسلم وأبو داود والنسائى من رواية عبيد بن فضيلة الخزاعى عن المغيرة بن شعبة قال : ضربت امرأة ضرتها بعمود =

ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » وقال تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق ، والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون ، وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس ¤ وقد قال ﷺ :

= فسطاط فذكر الحديث وفيه فقال رجل من عصبة القاتلة : أنغرم دية من لا أكل ولاشرب ولااستهل فمثل ذلك يطل ، الحديث بلفظ مسلم وفى رواية له أندى من لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل الحديث وأصل الحديث عند البخارى والترمذى وابن ماجه مختصراً دون ذكر السجع المذكور وأما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من رواية ابن شهاب عن ابن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن أباهريرة رضى الله عنه قال « اقتتلت امرأتان من هذيل » الحديث وفيه فقال حمل بن النابغة الهذلى : « يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا من إخوان الكهان » من أجل سجعه الذى سجع لفظ مسلم ولم يسم البخارى الرجل فإنما قال : فقال « ولى المرأة » ولم يقل « من أجل سجعه الذى سجع » قال مرتضى : وأخرجه مسلم أيضاً من رواية معمر عن الزهرى وفيه « فقال قائل كيف نعقل » ولم يسم حمل بن مالك اه . ثم قال العراقى : ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ففيه فقال الذى قضى عليه أنعطى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل فقال النبى ﷺ إن هذا ليقول بقول الشاعر ، وأما حديث ابن عباس فرواه أبو داود والنسائى من رواية أسباط عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت امرأتان جارتان كان بينهما صخب الحديث وفيه : فقال أبو القاتلة إنه والله ما استهل ولا شرب ولا أكل فمثله يطل فقال النبى ﷺ : أسجع الجاهلية وكهانتها إن فى الصبى غرة قال ابن عباس : كانت إحداهما مليكة والأخرى أم عفيف ، لفظ النسائى ولم يقل أبو داود : ولا أكل وقال فيه عن ابن عباس فى قصة حمل فأدخله المزى فى الأطراف فى حديث حمل ولم يذكره فى حديث ابن عباس وليس بجيد ، وأما حديث جابر فرواه أبو يعلى فى مسنده من رواية مجالد بن سعيد قال حدثنى الشعبى عن جابر أن امرأتين من هذيل قتلت إحداهما الأخرى الحديث ، وفيه فخاف عاقلة القاتلة أن يضمنهم قال فقالوا يا رسول الله لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فقال رسول الله ﷺ : أسجع الجاهلية ، والحديث عند أبى داود وابن ماجه وليس فيه ذكر السجع المذكور ، وأما حديث أسامة بن عمير وهو والد أبى المليح فرواه الطبرانى بإسناد جيد من رواية أيوب قال : سمعت أبا المليح عن أبيه وكان قد صحب رسول الله ﷺ قال : كانت فينا امرأتان ضربت إحداهما الأخرى الحديث وفيه فقال رجل من أهل القاتلة : كيف نعقل يا رسول الله من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل ، فمثل ذلك يطل فقال رسول الله ﷺ . . .

[٩٨] ﴿ إن من الشعر لحكمة ﴾ * ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ، ولذلك كان الجنيد - رحمه الله - يتكلم على بضعة عشر رجلا فإن كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين . وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال : لا ، ما هؤلاء أصحابى ؛ إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابى هم الخواص * وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا ، وقلنا : كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج ؛ الذى صُلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق * وبما حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : سبحانى سبحانى ، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع ؛ إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل ، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله - عز وجل - فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول «: إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى» ، فإنه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية (الصنف الثانى)

---

(٩٨) حديث ﴿ إن من الشعر لحكمة ﴾ قال العراقى : رواه البخارى من حديث أبىّ بن كعب اهـ ، قال مرتضى : وكذا الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه كلهم من رواية عبد الرحمن بن الأسود أن أبىّ ابن كعب أخبره بلفظ «إن من الشعر حكمة» ، وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائى فى جزء له من طريق هشام بن عروة عن جده عن أبيه الزبير رفعه وذكره الدارقطنى فى العلل فقال يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد البلخى عن أبى بزة عن هشام قال ووهم فيه ورواه الشافعى مرسلا عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ورواه الترمذى وأبو يعلى من رواية عاصم عن أبى النجود عن زر عن ابن مسعود وقال الترمذى غريب من هذا الوجه ، إنما رفعه أبو سعيد الأشج عن ابن عيينة =

من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصـــدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر ، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه * [٩٩] وقد قال ﷺ ﴿ ما حدّث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم ﴾ * [١٠٠] وقد قال ﷺ ﴿ كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ﴾ ، وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله ، فإن

= وروى غيره عنه موقوفا رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من رواية سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ « إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكما » قال الترمذى حسن صحيح وفى أوله قصة عند أبى داود ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ حكمة ، وفى الباب عن بريدة وعبد الله بن عمرو وابن عمر وأبى بكرة وأبى موسى وعائشة وأنس وعمرو بن عوف .

(٩٩) وقد قال ﷺ : ﴿ ما حدّث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم ﴾ قال العراقى : أخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وقال فى التخريج الكبير : رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عثمان بن داود عن عكرمة عن ابن عباس رفعه بلفظ « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة » وقد اختلف فيه عن ابن ثوبان فقال ابن السنى فى رياضة المتعلمين والعقيلى فى تاريخ الضعفاء من طريق ابن ثوبان قال حدثنى عثمان بن داود عن الضحاك ابن مزاحم عن ابن عباس قال : « قالوا يا رسول الله ما نسمع منك نحدث به كله؟ قال نعم ، إلا أن تحدث قوما لا تضبطه عقولهم فتكون على بعضهم فتنة » قال : ورواه ابن السنى أيضاً فى الكتاب المذكور من رواية عباد بن كثير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته « من حدث بحديث لا يعلم تفسيره لا هو ولا الذى حدثه فإنما هو فتنة عليه وعلى الذى حدثه » ثم قال وإنما يصح هذا الحديث موقوفا على ابن مسعود كما رواه مسلم فى مقدمة صحيحه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن مسعود بن عتبة قال : فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه .

(١٠٠) وقال ﷺ ﴿ كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ﴾ ، قال العراقى : أخرجه البخارى موقوفا على علىّ وهو الصواب بلفظ حدثوا الناس والباقى سواء ، وهكذا رواه البيهقى فى المدخل بتقديم أتريدون على حدثوا ، ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم وسيأتى فى آخر الباب الخامس من حديث ابن عمر موقوفا « أمرنا أن نكلم =

كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء »وفى لفظ آخر « من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن للحكمة حقاً وإن لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه »وأما الطامّات فيدخلها ماذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب «المستظهرى» المصنف فى الرد على الباطنية ومثال أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى : « إذهب إلى فرعون إنه طغى » ، أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفى قوله تعالى : « وأن ألق عصاك » أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه »[١٠١] وفى قوله ﷺ ﴿تسحروا فإن فى السحور بركة﴾ أراد به الاستغفار فى الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتنزيل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى

= الناس على قدر عقولهم أى قدر ما تحتمله عقولهم وهو شاهد جيد ويأتى الكلام عليه هنالك ا هـ . وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعا رواه البيهقى فى المدخل بلفظ إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم وعند ابن عدى فى الكامل بما يفزعهم .

(١٠١) حديث ﴿ تسحروا فإن فى السحور بركة ﴾ متفق عليه من حديث أنس عن أبى رهم عن العرباض ، وقال ابن عبد البر : هو مجهول ولكن ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقوله يعنى السحور كأنه مدرج من الراوى ، أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان من حديث العرباض ، وفى الباب عن المقدام بن معدى كرب وعتبة بن عبد وأبى الدرداء وعائشة وعمر بن الخطاب ومعنى المبارك أى الكثير الخير لما يحصل بسببه من قوّة وقدرة على الصوم .

يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار * [١٠٢] فإنه ﴿ كان ﷺ يتناول الطعام ﴾ * [١٠٣] ويقول ﴿ تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك ﴾ فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم * [١٠٤] فلا يظهر لقوله ﷺ : ﴿ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ﴾ معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه عن غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ، ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبى ﷺ ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ، ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضى الله عنه : * [١٠٥] ﴿ اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ﴾ ، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير

---

(١٠٢) حديث ﴿ تناول الطعام فى السحور ﴾ البخارى من حديث أنس أن النبى ﷺ وزيد ابن ثابت تسحرا .

(١٠٣) حديث ﴿ هلموا إلى الغذاء المبارك ﴾ أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض ابن سارية وضعفه ابن القطان .

(١٠٤) حديث ﴿ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ﴾ قال العراقى : أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود فى رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبير اهـ . قال مرتضى : أخرجه الترمذى وصححه وابن الانبارى فى المصاحف والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب كلهم من رواية عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ « من قال فى القرآن بغير علم » بدل قوله « برأيه » ، وأخرجه أبو داود والترمذى وقال غريب ، والنسائى فى الكبير وابن جرير والبغوى وابن الانبارى وابن عدى والطبرانى والبيهقى كلهم من رواية سهيل بن أبى حزم القطعى عن ابن عمران الجونى عن جندب بن عبد الله من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ، وفى رواية للترمذى وغيره « من قال فى كتاب الله » وفى رواية « من تكلم فى القرآن » ، وفى الباب عن ابن عمر وجابر وأبى هريرة ، لحديث ابن عمر لفظه « من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لو سعتهم » ، ولفظ حديث جابر « من قال فى القرآن برأيه فقد اتهمنى » ، ولفظ حديث أبى هريرة « من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه » ، أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الأخير منكر جداً .

(١٠٥) حديث ﴿ اللهم فقهه فى الدين ﴾ ولم يقل مسلم فى الدين ، وزاد الإمام أحمد فى مسنده والحاكم

مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع ، كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقاً حديثاً عن النبى ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم ٥ [١٠٦] من قوله ﷺ ﴿ من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ﴾ ، بل الشر فى تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية ، فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الإسم المشهور من غير التفات إلى ماعرف فى العصر

= من رواية عبيد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير «وعلمه التأويل» وقال الحاكم صحيح الإسناد قال العراقى : ووهم أبو مسعود الدمشقى فى الأطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة . قال مرتضى : وفى أول حديث هؤلاء زيادة وهى قول ابن عباس « أن النبى ﷺ وضع يده على كتفى أو على منكبى» شك شعبة ، ثم قال : اللهم » الحديث ، وعند البخارى من رواية عكرمة عنه «ضمنى النبى ﷺ إلى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة » وفى رواية له « اللهم علمه الكتاب » ورواه ابن ماجه فقال « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » والتأويل هو التفسير على ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابى ، وقال آخرون بالفرق بينهما وقد ذكر قريبا .

(١٠٦) حديث ﴿ من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ﴾ قال العراقى : متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس اهـ . قال مرتضى : هـــذا الحديث قد روى أيضاً عن الزبير والمغيرة وسلمة بن الأكوع وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وجابر وأبى قتادة وأبى سعيد وأبى بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن عرفطة وأبى موسى الغافقى وعقبة بن عامر وزيد بن أرقم وقيس بن سعيد وعمران بن حصين والبراء ابن عازب وأبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل وعمرو بن مرة ونبيط بن شريط وعمار بن ياسر وعمرو بن عنمة وعمرو بن حريث وابن عباس وعتبة بن غزوان والعرس بن عميرة ويعلى بن مرة وطارق بن أشيم وسليمان بن خالد الخزاعى وصهيب بن سنان والسائب بن يزيد وأبى أمامة وأبى قرصافة ورافع بن خديج وأوس بن أوس الثقفى وحذيفة بن اليمان وأبى ميمون جابان وبريدة بن الحصيب وسعد بن المدحاس وعمرو بن عوف والمنقع التيمى وعبد الله بن عمر وأبى كبشة الأنمارى وأبى رافع وواثلة بن الأسقع وأبى الحمراء وأسامة بن زيد ومعاوية بن حيدة وعبد الله بن الزبير وأبى عبيدة ابن الجراح وسلمان الفارسى وأبى ذر وحذيفة بن أسيد وعبد الله بن أبى أوفى وأبى رمثة ويزيد بن أسد وعفان بن حبيب وعائشة وأم أيمن والعباس بن عبد المطلب وسفينة وزيد بن ثابت وكعب بن قطبة وجابر بن عابس وعبد الله بن زغب ووالد أبى العشراء فهؤلاء جميع من عزى إليهم هذا الحديث بألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربة المعنى ، ونحن نسوق لك تفصيل ذلك حسبما استفدته =

الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيماً فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ .

(اللفظ الخامس) وهو الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » .

= من مقدمة ابن الجوزى وكتاب العراق ، فأما حديث أبى هريرة فأخرجه الشيخان والنسائى من رواية أبى عوانة عن ابن حصين عن أبى صالح عنه ورواه ابن ماجه من رواية محمد بن عمر وعن أبى سلمة عنه بلفظ « من يقول علىّ ما لم أقل » وأما حديث على فرواه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه من رواية ربعى بن حراش عنه بلفظ فإنه من يكذب علىّ يلج النار وقال البخارى « من كذب » ورواه أبو بكر بن الشخير بلفظ الكتاب من رواية ابن أبى ليلى عن على وحديث أنس أخرجه الشيخان والنسائى من رواية عبد العزيز بن صهيب عنه بلفظ « من تعمد علىّ كذباً » ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية الزهرى عنه وزاد فيه « حسبته قال متعمداً » وقال الترمذى بيته بدل مقعده وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه النسائى من رواية سليمان التيمى عنه بلفظ الكتاب ورجاله رجال الصحيح وحديث الزبير رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من رواية ابنه عبد الله عنه وحديث المغيرة رواه الشيخان من رواية على بن ربيعة عنه وحديث سلمة بن الأكوع ، رواه البخارى عن بكر ابن إبراهيم عن يزيد بن أبى عبيد عنه بلفظ من يقل علىّ ما لم أقل وهو أحد ثلاثياته وحديث عبد الله ابن عمرو رواه البخارى والترمذى من رواية أبى كبشة السلولى عنه فى أثناء حديث « بلغوا عنى » وقد روى الطبرانى فى الأوسط فى أوله قصة هى سبب له من رواية عطاء بن السائب عن أبيه عن ابن عمر وحديث عبد الله بن مسعود رواه الترمذى من رواية عاصم عن زر عنه ، ورواه أبو بكر بن الشخير فى العلم من رواية عاصم عن شقيق عنه ، ورواه ابن ماجه من رواية سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه ، ورواه البزار من رواية عمرو بن شرحبيل عنه وزاد فيه ليضل به الناس ، وحديث جابر رواه ابن ماجه من رواية ابن الزبير عنه ، وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجه من رواية ابن إسحق عن سعيد بن كعب عنه بلفظ من تقوّل علىّ ما لم أقل ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، ورواه أيضاً من وجه آخر بلفظ الأصل ، وحديث أبى سعيد رواه النسائى من رواية عطاء بن يسار عنه ، ورواه ابن ماجه من رواية عطية العوفى عنه ، وحديث أبى بكر رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من رواية جارية بن هرم عن عبد الله بن بسر الحيرانى عن أبى كبشة الانمارى عنه ، ورواه ابن الشخير فى كتاب العلم من رواية القاسم بن عبد الله عن ابن المنكدر عن جابر عن عائشة عنه ، وفيه رواية صحابى عن صحابى عن صحابى ، وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلى من رواية دحين بن ثابت اليربوعى وأبو بكر بن الشخير فى كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت =

. . . .

= كلاهما عن أسلم عنه، وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد والبزار وأبو يعلى من رواية محمود بن لبيد عنه ، وعند الآخرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ من قال عليّ ما لم أقل ، وحديث طلحة ابن عبيد الله رواه أبو يعلى والطبرانى من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن موسى بن طلحة عن طلحة ، ورواه الخطيب فى التاريخ من رواية محمد بن عمر بن معاوية بن يحيى بن معاوية بن إسحق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده ، وحديث سعيد بن زيد رواه البزار وأبو يعلى من رواية رباح بن الحرث عنه ، وحديث معاوية بن أبى سفيان رواه أحمد والطبرانى من رواية أبى الفيض عنه ، وحديث خالد بن عرفطة رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية مسلم مولاه عنه ، وحديث أبى موسى الغافقى رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية إسحق بن ميمون الحضرمى عنه بلفظ « من قال عليّ ما لم أقل » وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية هشام بن أبى رقية عنه ، ورواه أحمد والطبرانى أيضاً من رواية ابن عشانة عنه ، وحديث زيد بن أرقم رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية يزيد بن حيان عنه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن إسحق عنه ، وحديث قيس بن سعد بن عبادة رواه أحمد وأبو يعلى من رواية ابن لهيعة عن ابن هبيرة « سمعت شيخا من حمير أنه سمع قيس بن سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كذب عليّ كذبة متعمداً فليتبوأ مضجعاً من النار أو بيتاً فى جهنم » ، وحديث عمران بن حصين رواه الطبرانى من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعى حدثنا هشام عن محمد بن سيرين عنه ، وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلى فى مسنده رواية ابن المقرى من رواية محمد بن عبيد الله الفزارى وهو العزرمى عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية موسى ابن عثمان الحضرمى عن أبى إسحق عنه ، وعن زيد بن أرقم أيضاً وقد تقدم ، وحديث أبى موسى الأشعرى رواه الطبرانى من رواية خالد بن نافع عن سعيد بن أبى بردة عنه ، وحديث معاذ بن جبل رواه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من رواية عبد الله بن سلمة عنه ، ورواه ابن الشخير من رواية خصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عنه ، وحديث عمرو بن مرة الجهنى رواه الطبرانى من رواية الهيثم بن عدى عن الضحاك بن زميل السكسكى عن أبى أسماء السكسكى عنه ، وحديث نبيط بن شريط رواه الطبرانى فى الصغير عن أحمد بن إسحق بن إبراهيم بن نبيط ابن شريط عن أبيه عن أبيه نبيط ، وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب فى التاريخ من رواية على بن الحزور عن أبى مريم قال « سمعت عمار بن ياسر يقول لأبى موسى : أما علمت أن رسول الله ﷺ قال : من كذب عليّ ... الحديث » ورواه أبو يعلى والطبرانى بلفظ « ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول » وحديث عمرو بن عبسة رواه الطبرانى من رواية محمد بن أبى النوار عن بريد =

. . . .

= أبن أبي مريم عن عدى بن أرطاة عنه ، وحديث عمرو بن حريث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه وزاد فيه ليضل به ، وحديث ابن عباس رواه الطبراني من رواية عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عنه ، وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه ، وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني والبزار وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية يحيى بن زهدم عن أبيه زهدم بن الحرث عنه ، وقيل يحيى عن أبيه عن جده عنه ، وحديث يعلى بن مرة رواه الدارمي في مسنده والطبراني وابن عدى من رواية عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده ، وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الأشجعي رواه البغوى والطبراني في معجمي الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه طارق بن أشيم وإسناده صحيح ، وحديث سليمان بن خالد الخزاعي رواه الطبراني من رواية عبد الله بن محمد ابن الحنفية عنه ، وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلى والطبراني من رواية عمرو ابن دينار عن بعض ولد صهيب عنه ، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية الدفاع ابن دغفل عن عبد الرحمن بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده ، وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني من رواية محمد بن يوسف عنه ، وحديث أبي أمامة الباهلي رواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ «من حدث عني حديثا كذباً متعمداً» ورواه أيضاً من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص بن حكيم عن مكحول عنه بلفظ «مقعده بين عيني جهنم» ، وحديث أبي قرصافة واسمه جندرة بن خيشنة رواه الطبراني من رواية عزة بنت عياض عنه بلفظ «من كذب عليّ أو قال عليّ غير ما قلت بنى له بيت في جهنم» ، وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني من رواية أبي مدرك عن عباية ابن رفاعة عنه بلفظ «وليتبوأ من كذب عليّ مقعده من جهنم» ، وحديث أوس بن أوس الثقفي رواه الطبراني من رواية اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن محيريز عنه بلفظ «من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة» ، وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الأشعري حدثنا شريك عن منصور عن ربعي عنه ، ورواه أبو نعيم من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه ، وحديث أبي ميمون الكردي واسمه جابان رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي خلوة عن ميمون الكردي عن أبيه وإسناده حسن ، وحديث بريدة بن الحصيب رواه أبو يعلى وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية صالح بن حيان عن أبي بريدة عن أبيه ، وحديث سعد بن المدحاس رواه الطبراني من رواية ابن عائذ عنه ، ورواه ابن منده أيضاً في الصحابة ، وحديث عمرو بن عوف المزني رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده وحديث المنقع التميمي رواه البخاري في التاريخ الكبير من رواية سيف بن هرون سمع عصمة بن بشر سمع المقرع سمع المنقع وحديث عبد الله بن عمر رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية أبي بكر بن سالم عن أبيه عن=

. . . .

= جده ورواه أبو بكر بن الشخير فى كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيد الله بن عمر عن نافع عنه وحديث أبى كبشة الانمارى رواه محمد بن جرير الطبرى قال : حدثنا عمرو بن مالك حدثنا جارية ابن هرم حدثنا عبد الله بن بشر الحرانى : سمعت أبا كبشة وقد اختلف فيه على جارية مع ضعفه ، فقيل هكذا وقيل عن أبى كبشة عن أبى بكر وقد تقدم وحديث أبى رافع مولى رسول الله ﷺ رواه ابن الشخير من رواية عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن رافع عن أبيه وحديث واثلة بن الأسقع رواه الطبرانى من رواية ابنته خصلة عنه بلفظ «إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل علىّ مالم أقل» وحديث أبى الجراء رواه ابن الشخير من رواية نفيع بن دارد عنه وحديث أسامة بن زيد رواه الطبرانى من رواية على بن ثابت الجزرى عن الوازع بن نافع عن أبى سلمة عنه بلفظ من قال علىّ مالم أقل وحديث معاوية بن حيدة رواه أبو بكر بن المعرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وحديث عبد الله ابن الزبير رواه الدارقطنى من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحديث أبى عبيدة بن الجراح رواه الخطيب من رواية ميسرة بن مسروق العبسى عنه ورواه ابن الشخير من رواية أبى عبيدة بن فلان عنه وحديث سلمان الفارسى ، رواه الطبرانى من رواية هلال الوزان عن سعيد بن المسيب عنه ورواه الخطيب فى التاريخ من رواية أبى البحترى عنه وحديث أبى ذر الغفارى رواه المحاملى من رواية عبد الرحمن بن عمرو بن لضلة القسرى عن أبيه عن جده عنه وحديث حذيفة ابن أسيد رواه ابن الجوزى فى مقدمة الموضوعات من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبى الطفيل عنه وحديث عبد الله بن أبى أوفى رواه ابن الجوزى أيضاً من طريق ابن قانع حدثنا يعقوب بن إسحق الحضرمى حدثنا سالم بن قادم حدثنا على بن إبراهيم عن فائد بن أبى العوام عنه وحديث أبى رمثة البلوى رواه الدارقطنى فى الأفراد من رواية موسى ابن إسماعيل عن حماد بن سالم عن عاصم بن عبيد الله عنه وحديث يزيد بن أسد القسرى رواه الخطيب من رواية خالد بن يحيى بن سعيد بن خالد بن عبيد الله بن يزيد بن أسد القسرى عن أبيه عن جده يزيد بن أسد وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم فى تاريخ نيسابور من رواية ابنه داود ابن عفان عنه ، وقال فى عفان إنه كان ورد نيسابور مع عبد الله بن عامر ، وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقى عن أبى سلمة عنها ، وحديث أم أيمن رواه الدارقطنى من رواية بشر بن عاصم عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنها ، وحديث سفينة رواه ابن المقرى من رواية بريدة بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده ، وحديث زيد بن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبد الله الفارسى عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه ، وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية على بن ربيعة عنه ، وحديث جابر بن عابس ويقال حابس العبدى رواه ابن منده فى معرفة الصحابة من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ من قال علىّ مالم أقل =

. . . .

= ورواه أبو نعيم فقال حصين بن عمير عن أبيه عن جابر بن عابس بالعين ، وحديث عبد الله بن زغب رواه أبو نعيم من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه ، وحديث والد أبي العشراء رواه تمام في جزء له جمع فيه حديث أبي العشراء من رواية أبي عمير الضرير ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه واسمه مالك بن قهطم على المشهور ، وقد روى الحديث أيضاً عن النعمان بن بشير والعباس ابن عبد المطلب وغزوان ومالك بن عتاهية وذكر ابن منده في مستخرجه أنه ورد أيضاً من رواية سمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعبد الله بن الحرث بن جزء وعبد الله بن جعفر الهاشمي وعبد الله ابن جراد وأبيّ بن كعب وسليمان بن صرد وعمرو بن الحق وعمرو بن العاصي وجندب بن عبد الله وجهجاه الغفاري وسبرة ومرة البهزي وسنجرة وأبي أسيد وأبي أيوب وحفصة بنت عمر وخولة بنت حكيم ، وذكر ابن الجوزي في نسخة الموضوعات الأولى رواه أحد وستون من الصحابة وقال في النسخة الثانية وهي أطول من الأولى رواه ثمانية وتسعون من الصحابة ، قال العراقي وحكى النووي في شرح مسلم عن بعضهم أنه رواه مائتان من الصحابة قلت : وقد روى أيضاً من حديث الرجل الذي من أسلم ، رواه الطبراني وقد تقدم في ترجمة سليمان بن خالد الخزاعي ، وفي أوله قصة هي سبب الحديث وحديث الرجل الآخر الذي لم يسم ، رواه أحمد من رواية عمرو بن مرة عنه ، والظاهر أنه ابن مسعود وقد تقدم ، وحديث الآخر الذي لم يسم رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من رواية خالد ابن دريك عنه وفيه عن رجل آخر لم يسم بلفظ آخر من رواية عبد الأعلى بن هلال الحمصي عنه وبمجموع من ذكر يبلغ العدد إلى قريب من المائة ، قال ابن الجوزي في الموضوعات بإسناده إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الاسفرايني : ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث قلت : وهذا قد رده العراقي فقال : ليس كذلك ، فقد ذكر الحاكم والبيهقي في حديث رفع اليدين في الصلاة رواه العشرة وقال : إنه ليس حديث رواه العشرة غيره ، وذكر أبو القاسم بن منده أن حديث المسح على الخفين رواه العشرة أيضاً اهـ . ثم قال ابن الجوزي : ما وقعت لي رواية عبد الرحمن بن عوف إلى الآن اهـ . وقال مرتضى : قال العراقي : حديث عبد الرحمن بن عوف رويناه من رواية إبنه إبراهيم عنه ، وفي إسناده أحمد بن منصور الشيرازي أحد الحفاظ ، إلا أن الدارقطني رماه بأنه كان يدخل على الشيوخ أحاديث بمصر اهـ . وقال كذلك : أورده الذهبي في الميزان ولفظه أدخل على جماعة من الشيوخ بمصر وأنا بها ، وكان يتقرب إليّ ويكتب إليّ كتباً ، وهكذا ذكره في ديوان الضعفاء قال السيوطي في تحذير الخواص : لا أعلم شيئاً من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله ﷺ فإن الشيخ أبا محمد الجويني من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين قال : إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفراً يخرجه عن الملة ، وتبعه على ذلك طائفة منهم الإمام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية ، وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر =

• وقال ﷺ : [١٠٧] ﴿ كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها ﴾ فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه و إلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق • [١٠٨] ﴿ ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال:

= لأنه لا شىء من الكبائر يقتضى الكفر عند أحد من أهل السنة اهـ . وقال ابن الصلاح فى علوم الحديث : لا تحل رواية الحديث الموضوع لأحد علم حاله فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه ، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن ، حيث جاز روايتها فى الترغيب وقال بعد ذلك : يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل فى الأسانيد ، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما ، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال اهـ . قال السيوطى : وقد أطبق على ذلك علماء الحديث فجزموا بأنه لا يحل رواية الحديث الموضوع فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه بخلاف الضعيف فإنه يجوز روايته فى غير الأحكام والعقائد ، وممن جزم بذلك الشيخ النووى فى الإرشاد والتقريب والبدر بن جماعة فى المنهل الروى والطيبى فى الخلاصة والسراج البلقينى فى محاسن الاصطلاح ، والزين العراقى فى ألفيته وشرحها .

(١٠٧) حديث ﴿ كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها ﴾ ، قال العراقى : تقدم بنحوه اهـ . وكأنه يشير إلى ما ذكره المصنف أولا : « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » وذكر أنه موقوف على الحسن البصرى أو إلى حديث « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة » وذكر أنه من مراسيل زيد بن أسلم ، وقد أخرج الديلمى عن أبى هريرة « كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة » وسنده ضعيف .

(١٠٨) حديث ﴿ لما سئل ﷺ عن شر الخلق أبى ﴾ ، أى امتنع من الجواب ﴿ وقال اللهم غفراً ﴾ منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق ﴿ حتى كرر عليه ﴾ فى السؤال ﴿ ثم قال ﴾ عليه السلام ﴿ هم علماء السوء ﴾ ، قال العراقى : أخرجه الدارمى بنحوه من حديث الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف اهـ . قال مرتضى : قال الدارمى فى مسنده : حدثنا نعيم بن حماد حدثنا بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال وسأل رجل النبى ﷺ عن الشر فقال لا تسألونى عن الشر واسألونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء ، وأحوص بن حكيم حمصى رأى أنسا وسمع خالد بن معدان وطاوساً وعنه بقية ومحمد ابن حرب وعده ضعيف كذا فى الكاشف للذهبى وأشار عليه لابن ماجه وأما أبوه فهو حكيم بن عمير العنسى الحمصى ، روى عن عمر وثوبان وعنه ابنه أحوص ومعاوية بن صالح صدوق وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية فقال حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان حدثنا الحسن بن محمد بن نصر حدثنا محمد ابن عثمان العقيلى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى حدثنا الخليل بن مرة عن ثور بن يزيد عن خالد =

اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء ﴾ فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث . وقد صح قول رسول الله ﷺ [١٠٩] ﴿ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، فقيل : ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين

ابن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال : تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت يا رسول الله أرنا شر الناس ، فقال « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر ، شرار الناس شرار العلماء فى الناس » ورواه البزار من رواية الخليل بن مرة وفيه « تعرضت أو قال تصديت، وفيه «وهو يطوف بالبيت » وفيه « أى الناس شر » وفيه « اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر » والباقى سواء والخليل ابن مرة ضعيف .

(١٠٩) حديث ﴿ بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء ﴾ ، هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبى هريرة ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمرى عن أبيه عن ابن عمر بلفظ إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها ، وقال فيه البزار فطوبى للغرباء ، وروى الطبرانى من رواية عيسى بن ميمون عن عون بن شداد عن أبى عثمان عن سليمان مختصراً هكذا إلى قوله كما بدأ، وروى فى الأوسط من رواية عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى مثله إلى قوله : فطوبى للغرباء وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصراً وقال السخاوى فى المقاصد وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث شريح بن عبيد مرسلا وفيه زيادة وهى إلا أنه لا غربة على مؤمن من مات فى أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ، (فقيل ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى والذين يحيو ن ما أماتوه من سنتى) رويت هذه الزيادة من طرق فأخرج الترمذى من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف عن أبيه عن جده رفعه فذكر الحديث وفيه إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى وقال هذا حديث حسن وروى عبدالله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى فى الكبير من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس، وأخرج الطبرانى فى معاجيمه الثلاثة من رواية بكر بن سليم الصواف عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رفعه : ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء . قالوا : يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : « الذين يصلحون عند فساد الناس » ، وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتاب =

يحيون ما أماتوه من سنتى ﴾ ۞ وفى خبر آخر [١١٠] ﴿ هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم ﴾ ۞ وفى حديث آخر [١١١] ﴿ الغرباء: ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم ﴾ وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

= صفة الغرباء والطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقى عن أبى الدرداء وأبى أمامة وواثلة وأنس رفعوه وفيه . فقالوا : ومن الغرباء ؟ قال : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار فى مسانيدهم ، من رواية أبى صخر عن أبى حازم عن ابن سعد ، قال : وأحسبه عامر بن سعد ، وقال أحمد وأبو يعلى سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود ، قال أحمد غريبا ثم اتفقوا كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس ، ولم يقل البزار يومئذ الخ ، وقد عرف بمجموع ما سقناه إن قول المصنف والذين يحيون الخ ليس فى سياقهم الحديث المذكور ونظر المصنف أوسع ، وأخرج الترمذى وابن ماجه من رواية أبى إسحق عن أبى الأحوص عن ابن مسعود رفعه « إن الإسلام بدا غريبا وسيعود غريبا » زاد الترمذى كما بدا ثم اتفقا فطوبى للغرباء زاد ابن ماجه قال : قيل ومن الغرباء قال النزاع من القبائل قال الترمذى حسن صحيح غريب ، أى الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم قيل وهم أصحاب الحديث فإن هذا المعنى صادق عليهم ، قال المناوى : هو تخصيص بغير مخصص ، وفى الباب عن عبد الله بن عمرو وأبى موسى الأشعرى .

(١١٠) حديث ﴿ المتمسكون بما أنتم عليه اليوم ﴾ أى ورد ذلك فى تفسير الغرباء المذكور فى الحديث المتقدم قال العراقى : لم أقف له على إسناد إلا أن فى أثناء حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وواثلة وأنس ، وفيما أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبى بكر الآجرى فى كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الأمم كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا : ما السواد الأعظم ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى . الحديث اهـ . قلت : وبه يصح حملهم على أهل الحديث ، كما لا يخفى .

(١١١) حديث ﴿ الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم ﴾ قال العراقى : رواه أحمد فى مسنده قال : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث ابن يزيد عن جندب بن عبد الله أنه سمع سفيان بن عوف يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده طوبى للغرباء فقيل : من الغرباء يارسول الله ؟ قال : أناس صالحون فى أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم وابن لهيعة مختلف فيه اهـ . قلت : وهكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن عمرو وعزاه لأحمد بلفظ طوبى للغرباء أناس صالحون فى أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم .

﴿ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة ﴾

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل ، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية، ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله وكثيره ، كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل ، وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها ، وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم * فالقسم المذموم قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذموم ، ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه * وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ؛ فإن هذا علم مطلوب لذاته ، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره ، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم ، وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها * وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل ، واقتصاداً وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر . فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ؛ فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله الكل : علم صفات القلب وما يحمده منها وما يذم ، إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهى

الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن . وعلماء الآخرة لايشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب ، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد وتتضاعف به الأمراض . فإن كنت مريداً الآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم ينجرّ بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لا محالة ، فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين ، وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها فإن مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به . وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدناً لك وعادة متيسرة فيك ، وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدريج فيها فابتدىء بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه ، وكذلك فى السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه ، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلباً للاستقصاء ، فإن العلم كثير والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه ، واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة ؛ فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ، ونحن نشير إليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ، والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مردّ له إلى انتهاء العمر . وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك مَن قبلك ، ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون

الصحيحين ، ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة ، وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة ، وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم ، وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر ، والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله ، وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب ، والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ماوراء ذلك من المطولات . وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير ، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ، وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب ، والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى ، وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم ، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن ألجمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً ما وهو عاجز عنه ، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة. وأما العامى إذا صرف عن الحق بنوع جدلى يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتدّ التعصب للأهواء ، فاذا اشتدّ تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس ، وهو من آفات العلماء السوء فإنهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا إليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس . وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف فإياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها . وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال : الناس أعداء ما جهلوا ، فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطتَ ، فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً ، وزاد فيه على الأوّلين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبياناً ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه ؛ فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرّنك قول من يقول « الفتوى عماد الشرع

ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف ، فإن علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب ، فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال ، وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار ، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام ، وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له : ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل « [١١٢] وفى الحديث ﴿ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ « ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون » ﴾ وفى الحديث فى معنى قوله تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » الآية « [١١٣] ﴿هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم﴾ وقال بعض السلف : « يكون فى

---

(١١٢) حديث ﴿ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجـــدل ، ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ ، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد ، وقال العراقى: أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة قال الترمذى: حسن صحيح اه. قال مرتضى : أخرجاه من رواية حجاج ابن دينار عن أبى غالب عن أبى أمامة وأبو غالب اسمه حزور وقيل سعيد بن حزور ، وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى التفسير وصححه والطبرانى فى الكبير والضياء المقدسى فى المختارة واللالكائى فى السنة ، كلهم من رواية ابن غالب عن أبى أمامة رضى الله عنه واقتصروا على الحديث وليس فى سياقهم ثم قرأ إلخ ، إلا اللالكائى فإنه ساقه بتمامه وأقره الذهبى فى التلخيص .

(١١٣) حديث ﴿ هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم ﴾ ، هكذا أورده صاحب القوت بلا سند وقال العراقى : متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها اهـ . قال مرتضى : وكذا أبو داود والترمذى كلهم من رواية ابن أبى مليكة عن القاسم عنها بلفظ : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية « هو الذى أنزل عليك الكتاب» إلى قوله : «أولوا الألباب » قالت : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ، وقد رواه ابن ماجه من رواية أيوب عن ابن أبى مليكة عن عائشة وفيه « فقال ياعائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم ... الحديث ، فلم يذكر بين ابن أبى مليكة وعائشة القاسم .

آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل ، وفى بعض الأخبار [١١٤] ﴿إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل﴾ ، وفى الخبر المشهور [١١٥] ﴿أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم﴾ ، وفى الخبر [١١٦] ﴿ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل﴾ والله أعلم .

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف ، وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

إعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون ، وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء

---

(١١٤) حديث ﴿إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل﴾ هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد وقال العراقى : لم أجد له أصلا ا هـ . قال مرتضى من شواهده ما أخرجه الخطيب فى الاقتضاء من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرنى أبى سمعت الأوزاعى يقول : إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل ، وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية يحى بن معين قال : حدثنا عثمان بن صالح حدثنا بكر بن مضر عن الأوزاعى فساقه إلا أنه قال : ألزمهم الجدل والباقى سواء ، وأخرج الخطيب من طريق عبد الله بن حنيف سمعت إبراهيم البكاء يقول : سمعت معروف ابن فيروز الكرخى يقول : إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل ، وأغلق عنه باب العمل .

(١١٥) حديث ﴿أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم﴾ قال العراقى متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها ا هـ . قال مرتضى : هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد والترمذى والنسائى كلهم من رواية ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة وسياقهم كلهم : أبغض الرجال وقال الترمذى حديث حسن . قال المناوى : وإنما خص الرجال لأن اللدد فيهم أغلب ولأن غيرهم تبع لهم فى جميع المواطن ، والألد : هو الشديد الخصومة بالباطل الآخذ فى كل لدد أى فى كل شق من المراء والجدال ، والخصم المولع بالجدال الماهر فيه الحريص عليه المتمادى فيه بالباطل وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه لكل شىء من خصامه وجهاً بحيث صار ذلك عادته ، فالأول ينبىء عن الشدة والثانى عن الكثرة .

(١١٦) حديث ﴿ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل﴾ قال العراقى : لم أجد له أصلا . ا هـ . قال مرتضى : أورده صاحب القوت من طريق الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رفعه ، قلت عبد الرحمن بن أبى ليلى تابعى عالم الكوفة روى عن أبيه وعمر ومعاذ ، وعنه ابنه عيسى وحفيده عبد الله وثابت مات سنه ٨٣ هـ والصحبة لابن أبى ليلى ، فهذا الحديث مرسل .

إلا نادراً فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم ، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام ، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم ، وكان قد بقى من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طُلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله ، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة ، وقمع المبتدعة كما زعم مَن قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه ، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم ، وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى

علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين ، وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

﴿ بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ﴾

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسألة الجد والإخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفاً من عمر رضى الله عنه ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ، ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ثمان . الأول : أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ، ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ، ويقول : غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوباً ، فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفى فى كون الشخص مطيعاً كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب . الثانى : أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله ، وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة ، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس ، وإذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها ، فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعاً ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به ، وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات ، وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهداً للحرير ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر فى مسئلة لا يتفق

وقوعها قط ، وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات ، وقد روى أنس رضى الله عنه *[١١٧] ﴿ أنه قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال عليه السلام : إذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحوّل الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم ﴾ * الثالث أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما ، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له ، كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة ، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد ، وهو حكم كل أهل العصر ، وإنما يفتى فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ، وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فإنى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ، ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف

---

(١١٧) حديث ﴿ قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقال إذا ظهرت المداهنة ﴾ ، وفى رواية إذا ظهر الادّهان أى الملاينة وترك المجادلة وأصل ذلك من الدهن الذى يمسح به الرأس ثم جعل عبارة عما ذكرنا ﴿ فى خياركم والفاحشة فى شراركم ، وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أرذالكم ﴾ ، وفى نسخة فى رذّالكم وفى أخرى فى أراذلكم قال العراقى: أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن وقال فى التخريج الكبير : رواه أحمد وابن ماجه وابن عبد البر فى بيان آداب العلم واللفظ له بإسناد حسن من رواية أبى معبد حفص بن غيلان عن مكحول عن أنس بزيادة فى أوله وقال ابن ماجه « إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم قالوا يارسول الله وما ظهر فى الأمم قبلنا ؟ قال : الملك فى صغاركم والفاحشة فى كباركم والعلم فى رذالكم ، قال زين بن يحيى أحد رواة الحديث : معنى والعلم فى رذالكم إذا كان العلم فى الفساق ا هـ .

قال مرتضى : ويروى هذا الحديث عن عائشة وجدته فى الأول من مشيخة أبى يوسف يعقوب ابن سفيان القوسى قال : حدثنا الحسن بن الخليل بن يزيد المكى ، حدثنا الزبير بن عيسى ، حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : يا رسول الله متى لا نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر؟ قال : إذا كان البخل فى خياركم ، وإذا كان العلم فى رذالكم ، وإذا كان الادهان فى كباركم ، وإذا كان الملك فى صغاركم ا هـ . ومن شواهد هذا ما أخرجه البخارى فى أول صحيحه من حديث أبى هريرة رفعه « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » ، وفى الرقاق منه إذا أسند ، قال الحافظ فيه إشارة إلى أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة الأشراط ومعناه أن العلم ما دام قائماً ففى الأمر فسحة وكأنه أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ من الأكابر تلميحاً لما روى عن أبى أمية الجمحى رفعه قال من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر .

فيها مبتوتاً • الرابع أن لا يناظر إلا فى مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً ، فإن الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية ، أوهى من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار ، أو لأنها ليست من الطبول ، فلا نطول فيها الكلام • والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول • الخامس : أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين ، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلا ، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب ، وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام • السادس أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصما ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقاً فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملإ من الناس فقال « أصابت امرأة وأخطأ رجل » ، وسأل رجل علياً رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال « أصبت وأخطأتُ وفوق كل ذى علم عليم » • واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى « لا تسألونى عن شىء وهذا الحبر بين أظهركم » وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول : إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال ، وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق ، فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسوّد وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق • السابع : أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت

مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمنى ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله ، وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصلٍ بعلة يظنها فيقال له : ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لى ، فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ، فيصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها إذ لا يلزمنى ذكرها ، ويقول المستدل : عليك إيراد ما تدّعيه وراء هذا ، ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى بجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ، ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمنى كذبٌ على الشرع ، فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليُعجز خصمه فهو فاسق كذّاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها، وإن كان صادقاً فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فإن كان قوياً رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم ، فمعنى قوله لا يلزمنى أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمنى وإلا فهو لازم بالشرع فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهى هذا الجنس ؟ وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه * الثامن : أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ، ممن هو مشتغل بالعلم ، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفاً من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً فى ترويج الباطل عليهم . ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ، ولكن فى هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة ، واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ، ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها ، فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

﴿ بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق ﴾

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق

عند النـاس وقصد المباهاة والمماراة ، واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله إبليس . ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة ، وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتـكاب بقية الفواحش فى سكره ، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة ، وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلـكات ، ولـكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة ، فمنها الحسد * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١١٨] ﴿ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يَغلب وتارة يُغلب وتارة يُحمد كلامه وأخرى يحمد كلام

---

(١١٨) حديث ﴿ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ ، لأنه اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لا يضره نعمة الله على عبده ، فالله لا يعبث ولا يضع الشيء فى غير محله ، فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه والحاسد معاقب بالغيظ الدائم فى الدنيا وفى الآخرة بإحباط الحسنات . قال العراقى : أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة قال البخارى : لا يصح ، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف ، وفى تاريخ بغداد بإسناد حسن اهـ .

قال مرتضى : أما أبو داود فأخرجه من رواية إبراهيم بن أبى أسيد عن جده عن أبى هريرة بلفظ « إياكم والحسد ، فإن الحسد ... » فذكره ، وجده ، قال الذهبى : لعله سالم البراد ثقة ، وقول البخارى لا يصح هو فى تاريخه الـكبير ، وأما حديث أنس الذى أخرجه ابن ماجه ، فمن رواية عيسى الحناط عن أبى الزناد عنه وعيسى الحناط ضعيف ، وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل وقال هو متروك الحديث وفى هذا الحديث زيادة فى آخره : والصـــدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، والصلاة نور المؤمن والإيمـان جنة من النار ، وقال ابن عدى فى الكامل : ورواه واقد بن سلامة وقيل سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس هكذا ، ورواه الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عنه عن يزيد ورواه ابن لهيعة عن محمد ابن واقد عن أنس ولا يصح ، قال أبو بكر بن أبى رواد : والصواب عن يزيد عن أنس وفيه زيادات ذكر الصلاة والصيام والصدقة اهـ . ورواه الخطيب فى تاريخ بغداد وليس فيه عيسى الحناط ، وفى الباب عن ابن عمر ومعاوية بن حيدة لحديث ابن عمر رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية مالك والليث عن نافع عنه ، وقال باطل ، ورواية معاوية أخرجه الديلمى عن معاوية بن حيدة « الحسد يفسد الإيمـان كما يفسد الصبر العسل » وفى الباب أيضاً حديث الزبير أخرجه ابن عبد البر فى كتاب العلم بلفظ « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء »

غيره، فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه، والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العـذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما « خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة » ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال ﷺ « [١١٩] ﴿من تكبر وضعه الله ، ومن تواضع رفعه الله﴾ » وقال ﷺ حكاية

---

(١١٩) حديث ﴿ من تكبر وضعه الله ، ومن تواضع رفعه الله ﴾ ، قال العراقى : أخرجه الخطيب من حديث عمر بإسناد صحيح ، وقال غريب من حديث الثورى ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن ا هـ .

قال مرتضى : هو فى تاريخ الخطيب بلفظ خفضه الله مكان وضعه . وفى الأوسط للطبرانى قصمه الله مكان وضعه ، أخرجاه هكذا من رواية عابس بن ربيعة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول « أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكراه . وقال الخطيب غريب ولفظ ابن ماجه من رواية ابن لهيعة عن أبى الهيثم عن أبى سعيد « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله » وهكذا أورده أيضاً أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما وقال ابن حجر فى الفتح « خرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد رفعه بلفظ من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله فى أعلى عليين » قال وصححه ابن حبان بل خرجه مسلم فى الصحيح والترمذى فى الجامع بلفظ «ما تواضع أحد لله إلارفعه الله» هكذا خرجاه معاً عن أبى هريرة مرفوعاً ورواه أحمد والبزار عن عمر بلفظ « من تواضع لله رفعه الله وقال انتعش نعشك الله فهو فى أعين الناس عظيم وعند الله كبير » وفى الأوسط للطبرانى من رواية أبى معشر عن المقرى عن أبى هريرة « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله» وأخرجه أبو نعيم وكذا القضاعى كلاهما عن أبى هريرة مرفوعاً وزاد أبو نعيم فى الحلية فى رواية « ومن تكبر على الله وضعه الله حيث يجعله فى أسفل سافلين » ووجدت أيضاً فى الحلية فى ترجمة سلمان من طريق الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير قال « قال سلمان يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة » وفى الباب عن طلحة وابن عباس ومعاذ بن جبل وأوس بن خولى ، ثم معنى قوله « تواضع لله» أى لأجل عظمة الله تواضعاً حقيقياً وهو كما قال ابن عطاء الله « ما كان ناشئا عن شهود عظمة الحق وتجلى صفته فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة فى النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقى بل هو بالتكبر أشبه » وقيل التواضع لله أن يضع نفسه حيث وضعها الله من العجز وذل العبودية تحت أوامره سبحانه بالامتثال وزواجره بالانزجار وأحكامه بالتسليم للأقدار ليكون عبداً فى كل حال فيرفعه بين الخلائق وإن تعدى طوره وتجاوز حده وتكبر وضعه بين الخلائق .

[١٢٠]عن الله تعالى ﴿العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته﴾ ولاينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عنـــد مضايق الطرق ، وربما يتعلل الغبى والمكار الخدّاع منهم أنه يبغى صيانة عز العلم [١٢١] ﴿ وأن المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه ﴾ فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل ، وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين، تحريفاً للإسم وإضلالاً للخلق به

---

(١٢٠) حديث ﴿ العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته ﴾ هكذا فى النسخ وفى بعضها بتقديم الكبرياء على العظمة وهى نسخة العراقى ، قال العراقى : أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عنـد مسلم بلفظ « الكبرياء رداؤه » من حديث أبى هريرة وأبى سعيد ا هـ . وفى المقاصد أخرجه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه كلهم عن أبى هريرة مرفوعا « يقول الله الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار » ولفظ ابن ماجه « فى جهنم » وعند أبى داود « قذفته فى النار » وعنـــد مسلم « عذبته » وقال « رداؤه وإزاره » بالغيبة وزاد مع أبى هريرة أبا سعيد ورواه الحاكم فى مستدركه من وجوه أخر بلفظ « قصمته » وبدون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعى فى مسنده من حديث عطاء بن السائب عن أبيه عن أبى هريرة بزيادة « يقول الله » والحكيم الترمذى عن أنس رفعه « يقول الله عز وجل لى العظمة والكبرياء والفخر والقدر سرى فمن نازعنى واحدة منهن كببته فى النار » ا هـ . قال مرتضى : أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه من رواية الأغر بن مسلم عن أبى هريرة إلا أن لفظهما فمن نازعنى واحداً منهما وقد رواه أحمد من رواية الثورى عن عطاء بن السائب عن أبيه بلفظ ألقيته فى النار ، والحاكم رواه من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة وفى الباب عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وعلى بن أبى طالب .

(١٢١) حديث ﴿وأن المؤمن منهى عن إذلال نفسه﴾ ورد ذلك من حديث حذيفة وعلى وأبى بكرة وابن عمر أما حديث حذيفة فرواه الترمذى وابن ماجه من رواية على بن زيد عن الحسن عن جندب عنه رفعه « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » قال الترمذى حسن صحيح غريب قاله العراقى ، قال مرتضى : وكذلك رواه الإمام أحمد وزاد أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة « قيل كيف يذل نفسه؟ قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق » وفى بعض رواياتهم « لا ينبغى للمسلم » وأخرجه ابن عدى فى الكامل فقال حدثنا محمد بن عبد السلام البصرى السلمى عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن الحسن عن جندب عن حذيفة فذكره ، قال وهذا ليس عند هدبة إنما يعرف هذا لعمرو بن عاصم عن حماد وقد ادعاه عمر بن موسى الحارثى عن الكديمى وهو ضعيف وابن عبد السلام أبطل روايته هذا الحديث عن هدبة عن حماد ا هـ . وأما حديث على فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عاصم بن ضمرة عن على رفعه « ليس للمسلم أن يذل =

كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما ، ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه * وقد قال ﷺ [١٢٢] ﴿ المؤمن ليس بحقود ﴾ وورد فى ذم الحقد مالا يخفى ، ولا ترى مناظراً يقدر على أن لا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة فى غالب الأمر ، وكيف ينفك عن هذا ، ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ، بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر ، ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ، ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة ، فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته * وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه ، فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة . فأما الكذب فبهتان ، وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يُعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة * ومنها تزكية النفس ، قال الله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه ، ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : « لست ممن

= نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه ؟ قال يتعرض من البلاء لما لايطيق، وقال لايروى عن على إلا بهذا الإسناد تفرد به الجارود ، وأما حديث أبى بكرة فرواه الحرث بن أبى أسامة عن الخليل ابن زكريا عن حبيب بن الشهيد عن الحسن عنه رفعه «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» والخليل بن زكريا البصرى ضعيف وأما حديث ابن عمر فرواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى حفص عمر بن موسى ابن سليمان الحارثى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عنه رفعه « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » وقال ضعيف يسرق الحديث ، قال وهذا يعرف بعمرو بن عاصم عن حماد فسرقه منه عمر هذا ، قال العراقى : وله طريق آخر رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط من رواية مجاهد عن ابن عمر مثله وزاد فيه « قلت يارسول الله كيف يذل نفسه .. » الحديث ، وإسناده جيد قلت وقد روى أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى رواه أبو يعلى فى مسنده أشار له الجلال فى جامعه الكبير وقرأت فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة الفضيل بن عياض قال له الفضل بن الربيع وهو مع هرون الخليفة ودق عليه الباب فلم يفتح « أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال ليس للمؤمن أن يذل نفسه ، فنزل ففتح الباب » .

(١٢٢) حديث ﴿ المؤمن ليس بحقود ﴾ قال العراقى : لم أقف له على أصل ا هـ . وتبعه على ذلك الحافظ السخاوى في مقاصده .

يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الأحاديث ، وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف ، وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ، ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعاً وعقلا ، ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى : « ولا تجسسوا » . والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرّض به إن كان متماسكا ، ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحاً بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ، ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ، ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يساموته فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها ، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره ، فكأنه يشاهد شيطاناً مارداً أو سبعاً ضارياً ، فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء ، حتى قال الشافعى رضى الله عنه : « العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل » فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ، فهل يتصوّر أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة ، هيهات هيهات وناهيك بالشرّ شراً أن يُلزمك أخلاقَ المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين . ومنها النفاق ، فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون إليه ، فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بداً من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطِب والمخاطَب وكل من سمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب ، نعوذ بالله العظيم منـــه . فقد قال ﷺ [١٢٣] « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا

---

(١٢٣) حديث « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم » . رواه الحسن ، أى البصرى فإنه هو المراد عند إطلاقه عند المحدثين فالحديث مرسل وقال العراقى أخرجه الطبرانى من حديث سلمان =

فى الأرحام ، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة ، ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شىء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية ، فلا يسمع كلاماً إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع ، فيضرب البعض منها بالبعض ، والمراء فى مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله ﷺ إلى ترك المراء بالحق على الباطل . قال ﷺ [١٢٤] ﴿ من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتاً فى ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً فى أعلى الجنة ﴾ وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذّب بالحق . فقال الله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذّب بالحق لما جاءه » ، وقال تعالى : « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه » . ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم ، والرياء هو الداء العضال الذى يدعو إلى أكبر الكبائر ، كما سيأتى فى كتاب الرياء ،

= بإسناد ضعيف نحوه اهـ . وقال فى التخريج الكبير ، وقد ورد متصلا من حديث سلمان وابن عمر أما حديث سلمان فأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط من رواية الحجاج بن مرافعة عن ابن عمر وعن سلمان رفعه « إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » وإسناده حسن وقد رويناه فى الخبر الثالث من حديث أبى عمرو بن حمدان من وجه آخر وفى إسناده محمد بن عبد الله بن علاثة مختلف فيه ورواه البيهقى فى المدخل موقوفا على سلمان ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا ، وأما حديث ابن عمر رويناه فى الجزء الثالث المذكور من رواية أبى عمر وعنه بلفظ « يوشك أن يظهر العلم ويخزن العمل ويتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم فإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم » وفى سنده بشر بن إبراهيم الخلوع ضعيف جداً وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل ، قال مرتضى : وهكذا أخرجه الديلمى أيضاً فى مسند الفردوس عن ابن عمر ، وقد صح ذلك ، أى ما ذكرناه « مشاهدة » فلا مجال للإنكار فيه .

(١٢٤) حديث ﴿ من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ﴾ الربض محركة الساحة ، قال العراقى : أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف ، قال الترمذى : حديث حسن اهـ . قال مرتضى : هكذا أخرجاه من رواية سلمة ابن وردان عن أنس بلفظ « من ترك الكذب وهو باطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » وحسنه الترمذى وقال : لا نعرفه =

والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه ، فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين ، وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه . أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقاربين له فى الدرجة ، ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب ، والبغضاء والطمع ، وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر ، وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى ، وما الذى يقرأ ، ومن الذى يناجيه ، ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة من تحسين العبارة ، وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر ، إلى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جمل من مواد هذه الأخلاق ، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها ، واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران ، وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم

= إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس وضعفه ابن عدى فى الكامل وأخرجه ابن منده عن مالك ابن أوس بن الحدثان عن أبيه وأخرجه أبو داود بسند جيد من حديث أبى أمامة رفعه « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت فى وسطها لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس رفعه « أنا الزعيم ببيت فى رباض الجنة وببيت فى أعلاها وببيت فى أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه » وأخرج الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد الدمشقى قال : حدثنى أبو الدرداء وأبو أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك قالوا « خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى فذكر حديثا فيه : ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق » الحديث .

غير ثواب الله تعالى فى الآخرة ؛ فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ولذلك قال ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ، وليته نجا منه رأساً برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا ؛ فإن لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفصح الأحوال ؛ فإن قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ، ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب ، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ، ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم : • [١٢٥] ﴿إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم﴾ • وقال ﷺ [١٢٦] ﴿إن الله ليؤيد هذ الدين بالرجل الفاجر﴾ فطالب الرياسة فى نفسه هالك ، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا ، وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ، ولكنه يضمر قصد الجاه ، فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره ، فصلاح غيره

---

(١٢٥) حديث ﴿إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم﴾ .

قال مرتضى : وهـــذا الحديث لم يذكره العراقى فى تخريجه وهو موجود فى سائر النسخ الموجودة من الإحياء وقد أخرجه ابن عدى فى الكامل من طريق جعفر بن جبير بن فرقد عن أبيه عن الحسين عن أبى بكرة قال : وجعفر هذا يروى المناكير وأبوه ضعيف وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة مالك ابن دينار عن الحسن ، قال : قال رســـول الله ﷺ ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم » ، قلت : يا أبا سعيد عمن ؟ قال عن أنس بن مالك عن رسول ﷺ وله شاهد قوى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبرانى فى الكبير ولفظه « إن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله » .

(١٢٦) حديث وقال ﷺ ﴿ إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ﴾ وهو الشاق ستر الديانة أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عمرو بن النعمان بن مقرن المزنى قال ابن عبد البر له صحبة وأبوه من أجلة الصحابة قتل النعمان شهيداً بوقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين ولما جاء نعيه خرج عمر فنعاه على المنبر ، وبكى هكذا هو فى الجامع الصغير للسيوطى قال المناوى فى شرحه وظاهر صنيعه أن هذا لا يوجد مخرجا فى الصحيحين ولا أحدهما وهو ذهول شنيع وسهو عجيب فقد قال الحافظ العراقى إنه متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ « إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخارى فى القدر وفى غزوة خيبر ورواه مسلم مطولا وعن رواه الترمذى فى العلل عن أنس مرفوعاً ثم ذكر أنه سأل عنه =

فى هلاكه ، فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمّا مهلك نفسه وغيره ، وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها، وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً ، وإما مهلك نفسه مسعد غيره ، وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه ، فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل ، وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى .

= البخارى فقال حديث حسن حدثناه محمد بن المثنى اه . فعزو المصنف الحديث للطبرانى وحده لا يرتضيه المحدثون فضلا عمن يدعى الاجتهاد اه . وقد رد عليه شيخ مشايخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين العجمى فقال هو غير متجه من وجوه أولاً فإنه لم يقل مارواه إلا الطبرانى بصيغة الحصر ولم يلتزم فى كل حديث أن يذكر جميع من رواه وثانياً أن ما نقله عن العراقى أنه متفق عليه إنما هو من حديث أبى هريرة فهو فى الصحيحين لا من حديث عمرو بن النعمان وثالثاً أن المصنف نفسه قد نسبه فى درر البحار للصحيحين من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث عمرو المذكور ومن حديث ابن مسعود فأفاد فيه أن الحديث رواه ثلاثة من الصحابة وبذلك تضمحل جميع هذه الخرافات والله أعلم بالنيات قال ثم رأيت فى المشارق للصغانى هذا الحديث من رواية البخارى عن أبى هريرة والنعمان بن مقرن وقال شارحه ابن عبد الملك : انفرد البخارى برواية هذا الحديث عن النعمان بن مقرن اه .

قال مرتضى : حديث أبى هريرة اتفقا عليه فأخرجه البخارى فى الجهاد وغزوة خيبر والقدر ومسلم فى الإيمان ، وأما حديث النعمان بن مقرن فليحرر أين أخرجه البخارى ، فإنه ليس فى الأطراف ولا فى جمع عبد الحق ومختصره اه .

وقال مرتضى : أخرجه البخارى ومسلم من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة فى أثناء حديث الرجل الذى قال فيه إنه من أهل النار فتلخص من مجموع ذلك أن هذا الحديث روى من طرق خمسة من الصحابة : أبى هريرة وابن مسعود وأنس وعمرو بن النعمان وأبيه النعمان بن مقرن هكذا وقع عمرو بن النعمان ، والنعمان هو ابن مقرن وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن ، كما وقع عند الطبرانى هنا فى الإسناد وسماه فى الترجمة عمرو بن النعمان بن مقرن وهو وهم نبه عليه العراقى ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمة عمرو بن النعمان من الإصابة أن روايته عن النبى ﷺ مرسلة قاله أبو حاتم الرازى وطريق ابن مسعود ظفرت به فى الكامل لابن عدى رواه حميد بن الربيع عن أبى داود الحضرى عن الثورى عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال ابن عدى : وهذا بهذا الإسناد غير محفوظ لا يرويه غير حميد ابن الربيع وهو كذاب ، وقد رواه الطبرانى أيضاً فى الكبير وفى إسناده ضعف وورد هذا الحديث أيضاً عن كعب ابن مالك وهو أيضاً فى المعجم الكبير للطبرانى .

الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم

﴿ أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ، ولـكن تنظم تفاريقها عشر جمل ﴾

(الوظيفة الأولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ، إذ العلم عبادة القلب ، وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى ، وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث ؛ فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف * قال ﷺ : [١٢٧] ﴿ بنى الدين على النظافة ﴾ وهو كذلك باطناً وظاهراً ، قال الله تعالى : « إنما المشركون نجس » تنبيهاً للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس ؛ فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ، ولكنه نجس الجوهر ، أى باطنه ملطخ بالخبائث ، والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه ، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل * ولذلك قال ﷺ : [١٢٨] ﴿ لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ﴾ والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة

---

(١٢٧) حديث ﴿ بنى الدين على النظافة ﴾ قال العراقى : لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « تخللوا فإنه نظافة ، والنظافة تدعو إلى الإيمان » . اهـ .

قال مرتضى : وأورد الجلال فى جامعه ورمز للخطيب عن عائشة « إن الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » والمعنى الإسلام نقى من الدنس فنقوا ظواهركم من دنس نحو مطعم وملبس حرام وملابسة قذر ، وبواطنكم بإخلاص العقيدة ونفى الشرك ومجانبة الأهواء وقلوبكم من غل وحقد وحسد ، فإنه لا يدخل الجنة إلا طاهر الظاهر والباطن ومن لم يكن كذلك طهرته ثم لا بد من حشر عصاة الموحدين مع الأبرار فى دار القرار ، فالمنفى الدخول الأول قاله المناوى وأشار إلى ضعف الحديث ، قال السخاوى : وعند الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد من حديث نعيم بن موزع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا بلفظ « الإسلام نظيف » ، ثم ساق كما عند الخطيب ، ونعيم ضعيف وأخرج الترمذى وغيره من حديث مهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه مرفوعا « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الجود » وقال غريب ، والدارقطنى من حديث عبد الله بن إبراهيم الغفارى .

(١٢٨) حديث ﴿ لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ﴾ قال العراقى : متفق عليه من حديث أبى طلحة الأنصارى اهـ .

قال مرتضى : وبقية الحديث « ولا صورة » وهكذا أخرجه أيضاً الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم من طريق أبى طلحة وأخرجه الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة عن أبى أيوب =

والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة ، فأنّى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء» ، وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيباً ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيباً طاهراً ، ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب ، وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ، ولكنى أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن ، وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار ، وهو مسلك العلماء والأبرار ، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضاً عرضة المصائب ، وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة ، فاعبر أنت أيضاً من البيت الذى هو بناء الخلق إلى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ، ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهى السبعية ، واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها ، وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى ، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية • [١٢٩] ﴿فيحشر الممزق لأعراض الناس كلباً ضارياً ، والشره إلى أموالهم ذئباً عادياً والمتكبر عليهم فى صورة نمر ، وطالب الرياسة فى صورة أسد﴾ وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار (فإن قلت) كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ، ما أبعده عن العلم الحقيق النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم

= رفعه مثله ، وعند أبى داود والنسائى والحاكم عن على مرفوعا «لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب» ، وعنـــد الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ابن عباس عن أبى طلحة «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل» . وفى الباب عن ابن عمر وعائشة وميمونة وابن عباس وأسامة وبريدة وابن عمرو وأبى أمامة وأبى رافع .

(١٢٩) حديث ﴿فيحشر الممزق لأعراض الناس فى الدنيا كلباً ضارياً ...﴾ قال العراقى : أما حديث حشر الممزق لأعراض الناس كلباً ضارياً ، فقد أخرجه الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف وقال فى تخريجه الكبير : لم أجد لذلك أصلا إلا ما رواه الثعلبى فى التفسير بإسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب بنحو من ذلك اهـ .

=

أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة ، وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلا ، إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى ، وليس ذلك من العلم فى شىء ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف فى القلب * وقال بعضهم : إنما العلم الخشية لقوله تعالى « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ، ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه (فإن قلت) إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برّزوا فى الفروع والأصول وعُدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها ، فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى ، وقد سبقت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

(الوظيفة الثانية) أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر ، والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرّق ماؤه فنشّفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع .

(الوظيفة الثالثة) : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ، بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغى أن يتواضع

= قال مرتضى : وقد وجدت فى حشر المتكبر حديثاً إلا أنه ليس كما أورده المصنف أنه فى صورة نمر وذلك فيما رواه الإمام أحمد والترمذى وحسنه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار « طينة الخبال» وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة كعب الأحبار من ثلاثة طرق إحداهن عن معمر عن أبى مصعب عن أبيه عن كعب بنحو هذا السياق ، والثانية والثالثة من رواية موسى بن عقبة عن عطاء بن أبى غروان عن أبيه عن كعب « والذى فلق البحر لموسى إن فيما أنزل الله فى التوراة أنه يحشر المتكبرون يوم القيامة ... » فساق نحوه .

لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبي : * [١٣٠] ﴿صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ﴾ * وقال ﷺ : [١٣١] ﴿ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا فى طلب العلم﴾ فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة ، فإن العلم سبب النجاة والسعادة ،

---

(١٣٠) حديث ﴿صلى زيد بن ثابت﴾ ابن الضحاك بن لوذان الأنصارى النجارى أبو سعيد وأبو حارثة صحابى مشهور كتب الوحى قال مسروق : كان من الراسخين فى العلم مات سنة ثمان أو خمس وأربعين وقيل بعد الخمسين ﴿على جنازة﴾ هى جنازة أمه ، كما وقع التصريح بذلك فى الرواية الآتية ، ﴿فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس﴾ رضى الله عنهما ﴿فأخذ بركابه﴾ تبركا وتشرفا ﴿فقال زيد خل عنه﴾ وفى رواية « ذر » ﴿يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء﴾ أى ذوى الأسنان والشيوخ ﴿فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله ﷺ﴾ .

قال العراقى فى التخريج الصغير : أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل إلا أنهم قالوا : «هكذا نفعل» ، قال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم اهـ . وقال فى التخريج الكبير رواه الطبرانى فى الكبير وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين والبيهقى فى المدخل من رواية رزين الرمانى عن الشعبى « أن زيد بن ثابت كبر على أمه أربعاً وناشدها خيراً ثم أتى بدابته فأخذ ابن عباس بالركاب فقال زيد بن ثابت دعه أو ذر فقال ابن عباس هكذا نفعل بالعلماء الكبراء » لفظ الطبرانى وإسناده صحيح ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية أبى سلمة عن ابن عباس أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت فقال له تنح ابن عم رسول الله ﷺ فقال إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا ، وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ . وقد تقدم الكلام على هذا فى أول الكتاب ، ورزين الرمانى هو رزين ابن حبيب الجهنى الكوفى بياع الأنماط أخرج له الترمذى ووثقه أحمد وابن معين .

(١٣١) حديث وقال ﷺ ﴿ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم﴾ قال العراقى : أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بإسنادين ضعيفين اهـ . وقال ابن القيم قال ابن قتيبة : جاء فى الحديث « ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا فى طلب العلم » ثم قال : وهذا أثر عن بعض السلف .

قال مرتضى : قال ابن الجوزى فى الموضوعات : فيه عن معاذ وأبى أمامة وأبى هريرة فأما حديث معاذ فأخرجه ابن عدى من طريق الحسن بن واصل عن الخصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رفعه بالسياق السابق .

=

ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع ، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائناً من كان ، فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى   كالسيل حرب للمكان العالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع ، قال الله تعالى « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهماً ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة ، فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله . ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه ، فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه ، إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به ، وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر : « إنك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال : « فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك

= وقال مرتضى كذلك : هكذا هو بزيادة عبد الرحمن بن غنم بين النعمان ومعاذ فى نسخ الموضوعات وفى بعضها بإسقاطه وهو الأشبه وهكذا رواه بإثباته أبو بكر بن السنى من رواية بقية بن الوليد عن إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار وهو الحسن بن واصل الذى فى نص ابن الجوزى ، ودينار زوج أمه فنسب إليه واسم أبيه واصل ، قال ابن الصلاح : وكان هذا خفى على ابن أبى حاتم حيث قال الحسن بن دينار بن واصل .

قال العراقى : وعكس ذلك أبو العرب فى كتاب الضعفاء فروى عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه ، قال : الحسن بن واصل بن دينار ودينار جده وهذا وهم ، ورواه الديلمى من طريق أبى نعيم من رواية عمر بن إبراهيم الكردى عن الحسن بن صالح عن النعمان بن نعيم ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية عبد العزيز بن أبان عن الحسن بن دينار عن النعمان بن نعيم ، ثم قال ابن الجوزى : وأما حديث أبى أمامة فأخرجه ابن عدى أيضاً من طريق عمر بن موسى الوجيهى عن القاسم عن أبى أمامة رفعه مثله ، وأما حديث أبى هريرة فأخرجه ابن عدى أيضاً من طريق ابن علاثة عن الاوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعاً « لاحسد ولا ملق إلا فى طلب العلم » قال ليس شىء من هذه الأحاديث يصح أما الأول فمداره على الخصيب وقد كذبه شعبة والقطان وابن معين وقال ابن حبان =

منه ذكراً ، ثم لم يصبر ولم يزل فى مراددته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما ، وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران * فإن قلت فقد قال الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » فالسؤال مأمور به ، فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم . ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أى دع السؤال قبل أوانه ، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له ، وبأوان الكشف ، وما لم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه * وقد قال على رضى الله عنه : إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفش له سراً ، ولا تغتابن أحداً عنده ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

(الوظيفة الرابعة) : أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة ؛ فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه ، وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد ، وإنما عادته نقل المذاهب ، وما قيل فيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده

= يروى الموضوعات عن الثقات ، ثم قال وأيضاً الحسن بن واصل ضعيف جداً منسوب إلى الكذب وأما الثانى فإن عمر بن موسى الوجيهى ، قال النسائى والدارقطنى : متروك ، وأما الثالث فإن ابن علاثة اسمه محمد بن عبد الله بن علاثة لا يحتج به قال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات قال الحافظ السيوطى فى كتابه اللآلىء المصنوعة بعد نقله لما تقدم : ابن علاثة روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه ووثقه ابن معين ، وقال أبو سعيد ثقة إن شاء الله تعالى ، وقال أبو زرعة صالح ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال الذهبى هذا الحديث لعل آفته من عمرو فإنه متروك ، قال وقد أورد لابن علاثة أحاديث حسنة وقال أرجو أنه لا بأس به ، وقال الأزدى حديثه يدل على كذبه ، قال الخطيب أفرط الأزدى وأحسبه وقعت إليه روايات عمرو بن الحسين عنه فكذبه لأجلها وإنما الآفة من ابن الحصين فإنه كذاب وأما ابن علاثة فقد وصفه يحيى بن معين بالثقة قال ولم أحفظ لأحد من الأئمة خلاف ما وصفه به يحيى اهـ . وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان وقال : هذا الإسناد ضعيف وكذا حديث معاذ وقال ضعيف قال وقد روى من أوجه كلها ضعيفة اهـ . وورد هذا الحديث أيضاً عن ابن عمر .

=

فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذا حاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ، ومنع المبتدىء عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالإسـلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ، ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ، ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء ، وفى ذلك قال بعضهم : « من رآنى فى البداية صار صديقاً ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقاً » إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ، ولمثل هذا * [١٣٢] ﴿ جوز للنبى ﷺ مالم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة ﴾ إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن ، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل ، بل يتعدى

= قال العراقى : روى من طريق هشام بن بشير وأزهر بن سعد السمان عن عبد الله بن عون عن محمد ابن سيرين عن ابن عمر قال ابن طاهر فى الكشف عن أخبار الشهاب : وهو منكر من حديث ابن عون ، قال : والحمل فيه على من قبل هشام فإنهم إلى الجهالة أقرب اهـ . وقال السيوطى : قد أورد الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن السنى حدثنا الحسين بن عبد الله القطان عن عامر بن سيار عن أبى الصباح عن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه عن النبى ﷺ « من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابى ولا خير فى التملق والتواضع إلا ما كان فى الله أو طلب العلم اهـ .

(١٣٢) حديث ﴿ جوز النبى ﷺ ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة ﴾ .

قال العراقى : وفى الصحيحين من حديث ابن عباس « كان عند النبى ﷺ تسع نسوة ، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة ، ورواه النسائى كذلك كلهم من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، قال : وأخرج البخارى والنسائى من رواية سـعد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس « أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة ، وفى رواية لهما من رواية هشام الدستوائى عن قتادة « كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة فى الليل والنهار وهن إحدى عشرة ، قلت لأنس : أكان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين » .

ما بينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح مَن قاس الملائكة بالحدّادين .

(الوظيفة الخامسة) : أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فإن الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مرّ مريض　　يجد مراً به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقوّام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى .

(الوظيفة السادسة) : أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ويبتدىء بالأهم فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شىء أحسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه إلى استكمال الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ، ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفاً ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نور يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبدٍ طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة * [١٣٣] ﴿ إيمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وُزن بإيمان العالمين لرجح ﴾ كما شهد له به سيد البشر ﷺ ، فما عندى أن ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى

(١٣٣) حديث ﴿ إيمان أبى بكر لو وزن إيمانه بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ ﴾ .

قال العراقى : لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر بإسناد صحيح ا هـ .

قال مرتضى : الذى رواه البيهقى فى الشعب من قول عمر لفظه لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبى بكر ، وهكذا هو فى مسند إسحق بن راهويه ، قال الحافظ السخاوى وراويه عن عمر هزيل بن شرحبيل ، قلت وهو الأودى الكوفى ثقة مخضرم من رجال البخارى والأربعة ا هـ . قال =

إلا فى صنعة الـكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره ، والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية ، وأن ذلك غير معقول فينبغى أن تتئد فى هذا ، فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب ، وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات الشرفية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم ، وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شىء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى ، وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء » وفى يد الآخر «كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب » .

(الوظيفة السابعة) : أن لا يخوض فى فنّ حتى يستوفى الفنّ الذى قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً ، وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج . قال الله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » أى لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه ، فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ؛

= وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومعاذ بن المثنى فى زيادات مسند مسدد اهـ . ورأيت فى ذخيرة الحفاظ لابن طاهر المقدسى الذى رتب فيه الكامل لابن عدى وهو بخط المصنف ما نصه « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح » رواه عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر ، وعبد الله لم يتابع عليه وهذا الذى أشار له العراقى أنه بإسناد ضعيف ولكن ليس فيه بإيمان العالمين ، وكذا أخرجه ابن عدى فى ترجمة عيسى بن عبد الله بن سليمان العسقلانى عن رواد بن الجراح عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع وعيسى ضعيف الحديث ولفظه « لو وضع إيمان أبى بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها » وقد رواه الديلمى أيضاً فى مسند الفردوس من هذه الطريق بهذا اللفظ وقول السخاوى إن عيسى وإن كان ضعيفاً لكنه لم ينفرد به فقد أخرجه ابن عدى من طريق آخر اهـ . كأنه يشير إلى طريق عبدالله بن عبد العزيز بن أبى رواد فربما يفهم من سياق هذا أنه طريق صحيح وليس كذلك ، فإن عبد الله لم يتابع عليه كما تقدم فعلى كل حال حديث ابن عمر من طريقيه لا يخلو من ضعف فتأمل ، قال الحافظ السخاوى : وله شاهد فى السنن أيضاً عن أبى بكرة مرفوعاً « أن رجلا قال : يا رسول الله رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقى فرجح ... الحديث .

فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم ، وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر ، والكل خطأ ، بل ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ، ولذلك قال على رضى الله عنه : « لا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله » .

(الوظيفة الثامنة) أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما شرف الثمرة والثانى وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ، ومثل علم الحساب وعلم النجوم ، فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف ، وإن كان أكثره بالتخمين ، وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم ، فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه .

(الوظيفة التاسعة) : أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفى المآل القرب من الله سبحانه ، والترقى إلى جوار الملإ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده ، وهو علم الآخرة ، ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم ، أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ، ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ، فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله : فمنهم المقاتل ومنهم الرده ومنهم الذى يسقيهم الماء ، ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء ، قال الله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، وقال تعالى : « هم درجات عند الله » والفضيلة نسبية ، واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين ، فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء ، ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين فى العلم ، ثم للصالحين

على تفاوت درجاتهم ، وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن قصد الله تعالى ، بالعلم أيّ علم كان ، نفعه ورفعه لا محالة .

(الوظيفة العاشرة) أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد ، والمهم على غيره ، ومعنى المهم ما يهمك ، ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة ، وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ، وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعياً إلى المقصد ، ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله ، وإن كان لا يعرف فى هذا العالم قدره إلا الأقلون . والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم ـ أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام والمتكلمين ـ على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو : أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج، وقيل له : إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً ، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط ، دون سعادة الملك ، فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة ، والثانى : السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل ، والثالث : الاشتغال بأعمال الحج ركناً بعد ركن ، ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة ، وله فى كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ، ومن أول سلوك البوادى إلى آخره ، ومن أول أركان الحج إلى آخره ، وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك ، بل هو أقرب منه ، فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا ، وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين ، فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله ، وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه فى تراجم علم المكاشفة ، وها هنا نجاة وفوز بالسعادة ، والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة ، وأما الفوز بالسعادة فلا يناله

إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم ، وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة ، كما قال الله عز وجل : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له ، أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله « نزل من حميم وتصلية جحيم » .

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين ، أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبرَ فصدّق ، ثم شاهد فحقق ، وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان ، فالسعادة وراء علم المكاشفة ، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة ، وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات ، وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ، ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ، ومن قال العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان ، وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة ؛ (فإن قلت) لم شبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة ، والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة ، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به ، بل لا رخصة فى ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية ، وإنما هو أمر إلهى كما قال تعالى « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعاً ، والأمر أعلى من الخلق ، وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ « أبين أن يحملنها وأشفقن منها » من عالم الأمر ، ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول ، فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده ، والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها ، وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها فى طريق الله تعالى

كالناقة للبدن فى طريق الحج ، وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر إليه البدن ، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ، ولا يخفى أن الطب كذلك ؛ فإنه قد يحتاج إليه فى حفظ الصحة على البدن ، ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه ، والفقه يفارقه فى أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده ، إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ ، وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ، ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا ، وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه ، وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية ، فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها ، وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج ، والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ، ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولاً واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالياً ، ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق : العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة ، فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم .

﴿ بيان وظائف المرشد المعلم ﴾

اعلم أن للإنسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الأموال : لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال ، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً ، وحال بذل لغيره فيكون به سخياً متفضلا وهو أشرف أحواله ، فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال ؛ فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر فى المتحصل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال ، فمن علم وعمل وعلّم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فإنه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق ، كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيما وخطراً جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه :

(الوظيفة الأولى) : الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله ﷺ : [١٣٤] «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين؛ فإن الوالد سبب الوجود الحاضر، والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه، وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد : التحاب والتوادد ، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا ؛ فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا، وسنوها وشهورها منازل الطريق، والترافق فى الطريق بين المسافرين إلى الأمصار

---

(١٣٤) حديث « إنما أنا لكم مثل الوالد » قال العراق : أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة اهـ . قال مرتضى : ونص أبى داود فى سننه فى باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة ، حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستطب بيمينه ، وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة ، قال الحافظ المنذرى فى مختصره : وأخرجه أيضاً مسلم مختصراً والنسائى وابن ماجه تاماً اهـ . قلت: قال السيوطى فى جامعه : أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان أى كلهم فى الطهارة أبى عن هريرة ، قال المناوى : وفيه محمد بن عجلان وفيه كلام اهـ . قلت وفى ترتيب الكامل لابن عدى للحافظ أبى طاهر المقدسى : رواه معدان بن عيسى عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة ، ومعدان هذا قال ابن عدى لا أعرفه حدث عن محمد بن عجلان بأحاديث الكبار حدثنا عنه أبو عيسى الدارمى محمد بن غسان بن خالد ولا أعلم حدث عنه غيره ، وهذه أحاديث صفوان بن عيسى عن محمد فحدثنا بها أبو عيسى قال حدثنا معدان ولم يتهيأ له أن يذكر صفوان بن عيسى لأنه لم يلحق أيامه فقال معدان بن عيسى اهـ . قال المناوى فى شرح هذا الحديث إنما أنا لكم أى لأجلكم بمنزلة الوالد فى الشفقة والحنو لا فى الرتبة والعلو فعلىّ تعليم مالا بد منه فكما يعلم ولده الأب فأنا أعلمكم ما لكم وما عليكم وقدم هذا أمام المقصود إعلاماً بأنه يجب عليه تعليمهم أمر دينهم كما يلزم الوالد ، وإيناساً للمخاطبين لئلا يحتشموا عن السؤال عما يعرض لهم ومما يستحيا منه اهـ .

سبب التواد والتحاب" فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ، ولاضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة فى سعادات الدنيا ، فلذلك لاينفك عن ضيق التزاحم . والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ، وداخلون فى مقتضى قوله تعالى : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو" إلا المتقين » .

(الوظيفة الثانية) : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم ، وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ، ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل : « ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله » فإن المال وما فى الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ؛ فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ، ومثله هو الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم ، وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ، فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتُركوا ولم يختلف إليهم ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جماراً له فى حاجاته ومسخراً بين يديه فى أوطاره ، فإن قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه ، فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ، ثم لا يستحيي من أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات .

(الوظيفة الثالثة) : أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى ما يمكن ، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده ، فإن علم من باطنه أن لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى

العلم الذى يطلبه ، فإن كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ، ولا من العلوم التى قيل فيها « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه يثمر له طمعاً فى الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة ، وذلك يوشك أن يؤدى إلى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل ، وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لإحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم ، فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة فى القلب وغفلة عن الله تعالى وتمادياً فى الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد ، والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثورى رحمه الله حزيناً ، فقيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جُعلَ قاضياً أو عاملاً أو قهرماناً .

(الوظيفة الرابعة) وهى من دقائق صناعة التعليم : أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار * إذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم : [١٣٥] ﴿ لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شىء ﴾ وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وما نهيا عنه ، فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً ، بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ، ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته .

---

(١٣٥) حديث ﴿ لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شىء ﴾ ونص الذريعة « لو نهى الناس » والباقى سواء .

قال العراق : لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلا وهو ضعيف رواه ابن شاهين اهـ .

قال مرتضى : ووجدت بخط الداودى ما نصه : ولفظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشوك لقالوا فيه الندى » وفى المعنى حديث أبى جحيفة « لو نهيتم أن تأتوا الحجون لأتيتموها » الحديث اهـ . قلت وللسيوطى =

(الوظيفة الخامسة) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان ؛ فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره ، وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

(الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر ﷺ ، حيث قال : [١٣٦] ﴿ نحن معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم ﴾ فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، وقال ﷺ : « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره : « إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة » وصدق رضى الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه . وقال عيسى عليه السلام :

= فى الجامع الكبير : «لو نهيت رجالا أن يأتوا الحجون لأتوها ومالهم بها حاجة » أخرجه أبو نعيم عن عبدة بن حرب اهـ . قلت رواه الطبرانى من رواية أبى إسحق عن أبى جحيفة قال : كان رسول الله ﷺ قاعداً ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئا يكرهونه من كلامهم ولغطا ، فقيل يا رسول الله ألا تنهاهم فقال لو نهيتهم عن الحجون لأوشك أحدهم أن يأتيه وليست له حاجة .

قال العراقى : ورجاله ثقات إلا أنه اختلف فيه على الأعمش فقيل عنه عن أبى إسحق هكذا ، وقيل عن أبى إسحق وعن عبدة السوائى ورواه الطبرانى أيضاً وعبدة السوائى مختلف فى صحبته .

(١٣٦) حديث ﴿ نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم ﴾ قال العراقى : رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث ابن عمر أخصر منه وعند أبى داود من حديث عائشة «أنزلوا الناس منازلهم» اهـ. فهما حديثان مستقلان أوردهما المصنف فى سياق واحد وربما يوهم أنهما حديث واحد قال الحافظ السخاوى فى كتابه الجواهر والدرر فى مناقب شيخه الحافظ ابن حجر بعد أن ساق لفظ المصنف ما لفظه : ما وقفت عليه بهذا اللفظ فى حديث واحد بل الشق الأول فى حديث عائشة كما سيأتى بيانه ، والثانى رويناه فى الجزء الثانى من حديث ابن الشخير من حديث ابن عمر مرفوعاً «أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » اهـ. أما حديث =

« لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير » فإن الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل : « كِل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك

= عائشة ففى الحلية لأبى نعيم من طريق ابن هشام الرفاعى ، وفى جزء لأبى سعد الكنجرودى من طريق إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا واللفظ لابن الشهيد ثنا يحيى بن يمان عن الثورى عن حبيب ابن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب قال : « جاء سائل إلى عائشة رضى الله عنها فأمرت له بكسرة ، وجاء رجل ذو هيبة فأقعدته معها ، فقيل لها : لم فعلت ذلك ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم » قال الحافظ السخاوى : هذا حديث حسن أورده مسلم فى مقدمة صحيحه بلا إسناد حيث قال : ويذكر عن عائشة الخ ، فقال النووى نقلا عن ابن الصلاح ما معناه إن ذلك لا يقتضى الحكم له بالصحة نظراً لعدم الجزم فى إيراده ويقتضيه نظراً لاحتجاجه بروايته لإيراده إيراد الأصـــول والشواهد اﻫ . قال السخاوى : لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه فى النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث « له » ، فقال : صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا إسناد وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه فى كتاب السياسة من صحيحه ، وكذا أخرجه البزار فى مسنده كلاهما عن إسحق بن إبراهيم ابن حبيب بن الشهيد وأخرجه أبو داود فى الأدب من سننه عن على بن إسماعيل وابن أبى خلف ثلاثتهم عن ابن يمان به ، ثم قال أبو داود : وميمون لم يدرك عائشة ، وأخرجه أبو أحمد العسكرى فى كتاب الأمثال « له » عن عبدالوهاب بن عيسى وصالح بن أحمد فرقهما كلاهما عن محمد بن يزيد الرفاعى هو أبو هشام ورواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هشام ، ورواه البيهقى فى الأدب من طريق أبى هريرة محمد بن أيوب الجبلى عن يحيى بن يمان بالمتن فقط ، قال مرتضى : ومن طريق أبى هريرة هذا أخرجه ابو نعيم فى الحلية بسياق يأتى للمصنف نظيره فى أثناء الكتاب يذكر هناك إن شاء الله تعالى ، وقال البزار عقب تخريجه لهذا الحديث : ويروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفا ، قال السخاوى ويشير إلى ما رواه أبو أسامة بن زيد عن عمر بن مخراق عن عائشة ، لكن قد أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق والجامع كلاهما له ، والبيهقى فى الشعب والطبرانى كلهم من طريق أحمد بن راشد البجلى الكوفى والبيهقى والطبرانى أيضاً من طريق محمد بن عمار الموصلى والبيهقى وحده من طريق مسروق بن المرزبان ثلاثتهم عن يحيى بن يمان عن الثورى عن أسامة مرفوعاً . وقال الإمام أحمد إن رواية عمر عن عائشة مرسلة ، وكذا قال البيهقى فى الشعب ، وقال السخاوى عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة مرسل روى عنه أسامة ، وقال البيهقى فى الأدب وكان يحيى رواه على الوجهين جميعا ، قال السخاوى وفى البـاب عن معاذ وجابر رضى الله عنهما فأما الأول فرواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق له من رواية عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رضى الله عنه رفعه « أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة » ولا يصح إسناده ، وأما الثانى فرويناه فى جزء الفسوى بسند ضعيف ولفظه « جالسوا الناس على قدر أحسابهم وخالطوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس على قدر منازلهم وداروا الناس بعقولكم » وفى مسند الفردوس من حديث جابر « أنزلوا الناس على قدر مروآتهم » .

وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار ، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب ؛ فقال السائل : أما سمعت رسول الله ﷺ قال : * [١٣٧] ﴿ من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ﴾ ! فقال اترك اللجام واذهب ، فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ . تنبيهاً على أن حفظ العلم عمن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق (شعر)

أأنثر درًّا بين سارحة النعم ... فأصبح مخزوناً براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره ... فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه ... وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة ... وإلا فمخزون لدىّ ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة) أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله ، وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير

---

(١٣٧) حديث ﴿ من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ﴾ قال العراقى : أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد فلفظه عند السيوطى فى الجامع الكبير « من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » وأما حديث أبى هريرة الذى تقدم فلفظه « من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وقال الترمذى : حديث حسن ، وقد تقدم الكلام عليه فى أول الكتاب وقد أخرجه أيضاً ابن النجار فى تاريخه عن عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ والإسناد مصريون ، وفى الباب عن جابر وابن مسعود وابن عباس وأنس تقدم بيان ألفاظهم فى أول الكتاب عند ذكر حديث أبى هريرة فليراجع ، وفى لفظ ابن مسعود « من كتم علماً عن أهله » وتنكير علم فى حيز الشرط يوهم شمول العلوم لكل علم حتى غير الشرعى ، وفى رواية ابن ماجه تقييده بنافع وخصه بعضهم بالشرعى والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود أو كمال ، والحديث نص فى تحريم الكتم ، وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه .

تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرهبة والرغبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ، ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك ، وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص .

(الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ، ومتى استوى الظل والعود أعوج ، ولذلك قيل فى المعنى :

لا تنــه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولذلك قال على رضى الله عنه : « قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك » فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم .

الباب السادس

﴿ فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء ﴾

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشدّ الخلق عذاباً يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، قال ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »

• وعنه ﷺ أنه قال : [١٣٨] ﴿ لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملا ﴾ • وقال ﷺ : [١٣٩] ﴿ العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم فى القلب فذلك العلم النافع ﴾ • وقال ﷺ : [١٤٠] ﴿ يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق ﴾

---

(١٣٨) حديث ﴿ لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ﴾ قال العراقى فى التخريج الكبير : لم أجده مرفوعاً ورواه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء بزيادة فى أوله « إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ، وان تكون عالماً حتى تكون لما علمت عاملا » اللفظ للبيهقى وفيه انقطاع ا ﻫ .

قال مرتضى : وأخرج الخطيب فى كتاب الاقتضاء من رواية هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملا » وأما ما عزاه العراقى لابن حبان والبيهقى فقد أخرجه الخطيب فى الكتاب المذكور من رواية وكيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سلمان عن أبى الدرداء .

(١٣٩) حديث ﴿ العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله عزوجل على ابن آدم وعلم فى القلب فذلك العلم النافع ﴾ أورده صاحب القوت فى خلال كلامه فقال روينا عن الحسن البصرى يروى عن رسول الله ﷺ قال : العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذاك هو النافع وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله على خلقه ا ﻫ . وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من رواية قتادة عن أنس رفعه « العلم علمان فعلم ثابت فى القلب فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على عباده » وفى إسناده أبو الصلت الهروى اسمه عبد السلام بن صالح اتهمه الدارقطنى بالوضع وبنحو هذا أخرجه الخطيب فى تاريخه بإسناد جيد من رواية الحسن عن جابر رفعه وأعله ابن الجوزى برواية الحسن يحيى بن اليمان قال أحمد ليس بحجة ولكن قال العراقى فى تخريجه : احتج به مسلم وقال يحيى بن معين : ثقة ، وقال ابن المدينى : صدوق .

قال العراقى : وقد جاء من حديث الحسن مرسلاً دون ذكر جابر بإسناد صحيح رواه الحكيم الترمذى فى النوادر وابن عبد البر فى العلم من رواية هشام عن الحسن عن النبى ﷺ .

قال مرتضى : وكذلك ابن أبى شيبة فى المصنف قال وفى الباب عن على وعائشة رضى الله عنهما .

(١٤٠) حديث ﴿ يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق ﴾ هكذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس رفعه ثم قال هذا حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية عن ثابت وهو قاض بصرى فى حديثه نكارة ا ﻫ . وأخرجه كذلك من طريقه الحاكم فى الرقاق من المستدرك وابن عدى فى الكامل ولفظهما « وعلماء فسقة » وابن النجار فى تاريخه كما فى الكبير للسيوطى ولفظه « وقراء فسقة » وقال الحاكم : صحيح وشنع عليه الذهبى والعراقى قال الأول

• وقال ﷺ : [١٤٢] ﴿ لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به

= يوسف بن عطية الصفار هالك وقال الثانى مجمع على ضعفه وفى الميزان عن البخارى منكر الحديث وساق له هذا الخبر ، وفى الديوان قال أبو زرعة والدارقطنى ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب من هذا الوجه ، وقال يوسف كثير المناكير ومن شواهده ما أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر من رواية أبان عن أنس رفعه « يكون فى آخر الزمان ديوان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهم الأنتنون » وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة رفعه إلا أنه قال « ذئبان القراء » بدل «ديوان» وقال غريب من حديث سليمان أفادناه الدارقطنى الحافظ ونقل القرطبى عن مكحول « يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار » وأخرج الخطيب عن أبى هريرة « يكون فى آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدركهم فلا يكونن لهم عريفاً ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطياً » .

(١٤١) حديث ﴿ لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار ﴾ أخرجه ابن ماجه من رواية بشير بن ميمون عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن حذيفة رضى الله عنه رفعه ولفظه « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء أو لتصرفوا » والباقى سواء ، قال العراقى : وبشير بن ميمون الخراسانى متهم بالوضع ، قاله البخارى وأشعث بن سوار مختلف فيه ولكن أخرج ابن ماجه أيضاً من رواية ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر رفعه « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتجترئوا به فى المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار » قال العراقى : وإسناده على شرط مسلم . قال مرتضى وأخرجه كذلك الحاكم وابن حبان والضياء المقدسى فى المختارة وبه يتقوى حديث حذيفة السابق ، قال العراقى : وفى الباب عن عبد الله بن عمر وكعب بن مالك وأبى هريرة ومعاذ وأنس وأم سلمة رضى الله عنهم لحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبى كرب الأزدى عن نافع عنه رفعه « من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو فى النار » وأبو كرب مجهول وروى الترمذى من حديث خالد بن دريك عن ابن عمر رفعه « من تعلم علماً لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار » وإسناده جيد ، وأما حديث كعب بن مالك فرواه الترمذى من رواية إسحق بن يحيى بن طلحة ابن عبيد الله قال : حدثنى ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه « من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار » وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسحق بن يحيى تكلم فيه من قبل حفظه . قلت وأخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى من هذا الطريق ولفظهما « من طلب العلم لإحدى ثلاث : ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار » وأما حديث أبى هريرة فرواه ابن ماجه أيضاً من رواية عباد بن سعيد المقبرى عن جده عنه رفعه « من تعلم العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء =

وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار ﴾ * وقال ﷺ : [١٤٢] ﴿ من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار ﴾ * وقال ﷺ : [١٤٣] ﴿ لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ، فقيل

= ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم » وعباد بن سعيد المقبرى ضعيف قاله العراقى ، وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عنه رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويبارى به السفهاء فى المجالس لم يرح رائحة الجنة » وشهر بن حوشب مختلف فيه وأما حديث أنس فرواه أبو بكر البزار والطبرانى فى الأوسط من رواية سليمان بن زياد ابن عبد الله حدثنا سفيان أبو معاوية عن قتادة عن أنس رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه فهو فى النار » قال البزار : لا نعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به سليمان ولم يتابع عليه ورواه عنه غير واحد قاله العراقى ثم قص مرتضى على العراقى وأخرجه أيضاً ابن عساكر فى تاريخه وأبو نعيم فى المعرفة من هذا الطريق إلا أنهما قالا « يبارى به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من الناس » وأخرجه ابن أبى عاصم فى الوجدان والدارقطنى فى الإفراد والديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ولفظهم « من تعلم العلم » والباقى سواء ، وأخرج ابن عساكر أيضاً من رواية نافع بن مالك أبى سهل عم مالك ابن أنس قال : « قلت للزهرى أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال : من طلب شيئاً من هذا العلم الذى يراد به وجه الله ليطلب به شيئاً من عرض الدنيا دخل النار ؟ فقال الزهرى : لا ، ما بلغنى » فساقه وفيه قصة تقدمت فى خاتمة الفصول .

قال العراقى : وأما حديث أم سلمة فرواه الطبرانى من رواية عبد الخالق بن زيد عن أبيه عن محمد ابن عبد الملك بن مروان عن أبيه عنها رفعته « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء فهو فى النار » وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البخارى ، وعبد الملك بن مروان أورده الذهبى فى الميزان وقال : أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل .

قال مرتضى : عبد الخالق المذكور قال الذهبى فى الديوان : قال النسائى ليس بثقة وقوله أنى له العدالة الخ صحيح ، ولكن قد يقال يحتمل أن تحمل هذا الحديث فى حال استقامته قبل أن تصدر منه الأفاعيل ، وهكذا أخرجه تمام الرازى فى فوائده أيضاً وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن أم سلمة « من طلب علماً ليباهى به العلماء فهو فى النار » وأخرجه ابن عساكر أيضاً ، ولكن عنده « من طلب علماً يباهى به الناس » والباقى سواء ، وأخرجه الدارمى فى مسنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم » .

(١٤٢) حديث ﴿ وقال ﷺ من كتم علماً عنده ألجم بلجام من نار ﴾ تقدم وهو الحديث رقم ١٣٧

(١٤٣) حديث ﴿ لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ، فقيل وما ذاك ؟ فقال : من الأئمة =

وما ذلك ؟ فقال : من الأئمة المضلين ﴾ . وقال ﷺ : [١٤٤] ﴿ من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً ﴾ وقال عيسى عليه السلام : « إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين » فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم ، فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد ، وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة .
وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه : « إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم ، قالوا : وكيف يكون منافقاً عليما ؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل، وقال الحسن رحمه الله : « لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء » ، وقال رجل

= المضلين ﴾ وفى نسخة « فقال أئمة مضلون » أخرجه الإمام أحمد من رواية أبى تميم الجيشان واسمه عبد الله بن مالك قال « سمعت أبا ذر يقول كنت مخاصر النبى ﷺ إلى منزله فسمعته يقول : غير الدجال أخوف على أمتى من الدجال ، فلما خشيت أن يدخل قلت يا رسول الله أى شىء أخوف على أمتك من الدجال ؟ قال : الأئمة المضلون » .

قال العراقى : فى إسناده عبد الله بن لهيعة مختلف فيه رواه أبو يعلى من رواية جابر عن عبد الله ابن يحيى عن على بن أبى طالب رفعه « غير الدجال أخوف عليكم : أئمة مضلون » وجابر هو أبو يزيد الجعفى ضعفه الجمهور وروى أحمد من طريق أبى المخارق زهير بن سالم عن عمير بن سعد الأنصارى أن عمر قال لكعب : « ما أخوف شىء تخوفه على أمة محمد ﷺ ، قال أئمة مضلون ، قال عمر : صدقت قد أسر إلىّ ذلك وأعلمنيه رسول الله ﷺ ؟ وأبو المخارق ذكره ابن حبان فى الثقات وعمير بن سعد معدود فى الصحابة والظاهر أنه منقطع بينه وبين أبى المخارق ، وأخرج مسلم وأصحاب السنن من رواية جبير بن نفير عن النواس بن سمعان فى حديثه الطويل فى الدجال وفيه « فقال غير الدجال أخوفنى عليكم » وأخرج الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رفعه «إن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون » قال الهيثمى فيه راويان لم يسميا ، وأخرج العلائى بسنده إلى ابن عمر « قيل له ما يهدم الإسلام ؟ قال : زلة عالم وجدال منافق وحكم الأئمة المضلين» وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية صفوان بن عمرو عن أبى المخارق عن كعب عن عمر رفعه « أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون ، فقال كعب فقلت والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم » قال الشيخ «غريب من حديث كعب تفرد به صفوان رواه عنه بقية بن الوليد والقدماء » .

(١٤٤) حديث ﴿ من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً ﴾ أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق موسى بن إبراهيم عن موسى بن جعفر الصادق عن آبائه عن على رضى الله عنه رفعه إلا أنه قال « ولم يزدد فى الدنيا زهداً مكان هدى ، كذا فى الجامع الكبير للسيوطى وأشار له العراقى وقال : وقد رويناه من طريق إبراهيم بن عبد الله عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن =

لأبي هريرة رضى الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ، فقال : كفى بترك العلم إضاعة له . وقيل لإبراهيم بن عيينة : أى الناس أطول ندماً ؟ قال : أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره ، وأما عند الموت فعالم مفرط ، وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه ، وقال سفيان الثورى رحمه الله : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ، وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إنى لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنىّ قوم أفقر ، وعالما تلعب به الدنيا . وقال الحسن : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين مَن باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

• وقال ﷺ : [١٤٥] ﴿ إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة

= جده رفعه « من ازداد بالله علما ثم ازداد بالدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا » ، قال والمشهور أن هذا الحديث من قول الحسن البصرى رواه ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر فى بيان العلم بلفظ « من ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً لفظ ابن حبان ، وقال ابن عبد البر بغضاً بدل بعداً ، وزاد « ولم يزدد من الدنيا إلا بعداً » ، قال وقد روى مثل قول الحسن هذا مرفوعاً وكأنه أشار إلى حديث علىّ المتقدم .

قال مرتضى : وحديث على المتقدم سنده ضعيف لأن موسى بن إبراهيم قال الذهبى قال الدارقطنى متروك ، كذا قاله المناوى وعندى فى ذلك نظر لأن الذى قال فيه الدارقطنى متروك هو مروزى يروى عن ابن لهيعة كما هو نص الديوان للذهبى ، والذى يروى عن موسى بن جعفر رجل من أهل البيت فتأمل ، والحديث الذى بعده رواه أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء ، ومن الشواهد ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار حدثنا سليمان بن داود حدثنا ابن عيينة قال « كان يقال إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شراً » . وفى معنى ذلك قول مالك ابن دينار « من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتى من العلم ما ينفعه » .

(١٤٥) حديث ﴿ إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه ﴾ . قال العراق لم أجده بهذا اللفظ وهو بمعنى حديث أسامة بن زيد الآتى بعده .

عذابه ﴾ أراد به العـــالم الفاجر . وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول : [١٤٦] ﴿ يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيطيف به أهل النار فيقولون : مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه ﴾ وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال الله عز وجل : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » لأنهم جحدوا بعد العلم ، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ، ولا قالوا : إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة ، إذ قال الله : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وقال تعالى : « فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » وقال تعـالى فى قصة بلعام بن باعوراء : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فـكان من الغاوين » حتى قال « فمثله كمثل الـكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » فـكذلك العالم الفاجر ، فإن بلعام أوتى كتاب الله تعـالى فأخلد إلى الشهوات ، فشبه بالـكلب

---

(١٤٦) حديث ﴿ يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون : مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه ﴾ وفى بعض النسخ بعد قوله أقتابه « يعنى أمعاءه » وهو مدرج من الراوى ، قال العراق : أخرجه البخارى ومسلم من رواية أبى وائل شقيق بن سلمة عن أسامة بن زيد واللفظ لمسلم إلا أنه قال : « يؤتى بالرجل » وقال «أقتاب بطنه» وقال : « فيجتمع إليه الناس فيقولون يافلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » ولفظ البخارى : « يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون : أى فلان ألست كنت تأمر بالمعروف » فذكره ، إلا أنه قال : « ولا أفعله » وقال : « وأفعله » وفى رواية لأحمد فى مسنده « فيقولون مالك يا فلان ما أصابك ؟ » ، وفى رواية له : « يؤتى بالرجل الذى يطاع فى معاصى الله » الحديث ، وفيه فيقول « كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره » اهـ .

قال مرتضى : وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أسامة بن زيد « يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى فى النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له : ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى، ولـكن لم أكن لأفعله » كذا فى الذيل للسيوطى ، وأخرج أبو نعيم فى ترجمة الشعبي من الحلية من طريق سفيان عن إسمعيل ابن أبى خالد عن الشعبي قال : « يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار ، فيقولون مالـكم فى النار ، وإنمـا كنا نعمل بمـا تعلمونا؟ فيقولون إنمـا نعلمكم ولا نعمل به » وأخرج فى ترجمة منصور بن زاذان بسنده إليه قال : نبئت أن بعض من يلقى فى النار يتأذى أهل النار بريحه فيقال له : ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من النتن حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك ؛ فيقول : كنت عالماً لم أنتفع بعلمى » .

أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات ، وقال عيسى عليه السلام : « مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى » فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذاباً من الجاهل ، وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات * فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه ؛ فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر ، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر ، فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له . ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان ؛ فكيف يكون من العلماء مَن لا إيمان له ، ومَن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة ، وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع ، فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره ، فكيف يعد من زمرة العلماء ، ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته . وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى : « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى ، يا داود لا تسأل عنى عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادى ، يا داود إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً ، يا داود من ردّ إلىّ هارباً كتبته جهبذاً ومَن كتبته جهبذاً لم أعذبه أبداً » ولذلك قال الحسن رحمه الله « عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة » ولذلك قال يحيى بن معاذ « إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا » وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : « إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص » وقال عمر رضى الله عنه : « إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب » وقال مالك بن دينار رحمه الله : « قرأت فى بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول : إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه » وكتب رجل إلى أخ له « إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم » وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا « يا أصحاب العلم : قصوركم قيصرية

وبيوتكم كسروية ، وأثوابكم ظاهرية ، وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية ؟ » قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمي الذئب عنها   فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر :

يا معشر القراء يا ملح البلد   ما يُصلح الملح إذا الملح فسد ؟

وقيل لبعض العارفين « أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله ؟ فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى » وهذا دون ذلك بكثير ، ولا تظنن أن ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة ، فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر : « حدثنا » باب من أبواب الدنيا ، فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي » ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول : « أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت » وقال هو وغيره : إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت ، فإذا لم تشته فحدّث » وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا ، فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ، ولذلك قال الثوري : « فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد » وكيف لا تخاف فتنته ، وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا » وقال سهل رحمه الله : « العلم كله دنيا ، والآخرة منه ، والعمل به والعمل كله هباء إلا الإخلاص » وقال : « الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء سكارى إلا العاملين ، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين ، والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به » وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : « إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا » وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة . وقال عيسى عليه السلام : « كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه ، وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به » وقال صالح بن كيسان البصري « أدركت الشيوخ وهم يتعوّذون بالله من الفاجر : العالم بالسنة » • وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٤٧] ﴿ مَن طلب علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ﴾ وقد وصف

(١٤٧) حديث ﴿ من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ﴾ قال العراقي : رواه أبو داود وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار عن أبي هريرة بلفظ « من تعلم » و قال : « لا يتعلمه إلا ليصيب » وإسناده صحيح ورجاله رجال البخاري اهـ .

الله علماء السوء بأ كل الدنيا بالعلم ، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا » وقال تعالى فى علماء الآخرة : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم » وقال بعض السلف : « العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء ، والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين » وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه . وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : [١٤٨] ﴿ أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر : إياى يخادعون وبى يستهزئون ، لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران ﴾ ، وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما

= قال مرتضى : وقد رواه كذلك الإمام أحمد والحاكم والبيهقى وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى سعيد رفعه « من تعلم الأحاديث ليحدث بها الناس لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » قال العراقى « وفى الباب عن ابن عمر رواه الترمذى وابن ماجه وقول المنذرى فى مختصر السنن : إن الترمذى روى حديث أبى هريرة وهو إنما روى حديث ابن عمر ولفظهما مختلف فيه اهـ . قلت : « الذى عن ابن عمر فى هذا المعنى من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، ولعل هذا الحديث الذى أشار له العراقى .

(١٤٨) حديث ﴿ أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ﴾ إلخ ... قال العراقى : رواه ابن عبد البر فى العلم بإسناد ضعيف فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى قال البخارى : تركوه وقال يحيى بن معين : ليس بشىء وقال النسائى والدارقطنى : متروك اهـ .

قال مرتضى: هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص أبو عمرو المدنى ويقال له المالكى أيضاً نسبة إلى جده الأعلى أبى وقاص مالك ، مات فى خلافة الرشيد روى عن عمة أبيه عائشة وابن أبى مليكة والزهرى ومحمد الباقر ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم وعنه يونس بن بكر الشيبانى وحجاج بن نصر والهذيل بن إبراهيم الحامى وإسماعيل بن أبان الوراق وصالح بن مالك الخوارزمى ومحمد بن يعلى بن زنبور وأبو عمر الدورى ويحيى بن بشر الحريرى وآخرون روى له الترمذى حديثاً واحداً فى ذكر ورقة بن نوفل ، قال البخارى فى التاريخ سكتوا عنه ، وجده عمر بن سعد من رجال النسائى نزيل الكوفة صدوق لكنه مقته الناس لكونه كان أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن على . قال العراقى وفى الباب عن أبى هريرة رواه ابن المبارك فى الزهد نحوه دون ذكر كونه وحياً إلى بعض الأنبياء وعن أنس رواه الطبرانى =

قال قال رسول الله ﷺ : [١٤٩] ﴿ علماء هذه الأمة رجلان : رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ، ولم يشتر به ثمناً ، فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون، يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ورجل آتاه الله علماً فى الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادى مناد على رءوس الخلائق : هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً ، فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس ﴾ وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله ، حدثنى موسى كليم الله ، حتى أثرى وكثر ماله ، ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود

= فى الكبير بلفظ آخر مختصراً ، وكلاهما ضعيف اهـ . قلت : وجدت هذا الحديث فى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه ، ولفظه « حدثنا عبد الله حدثنا على حدثنا حسين حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بنى إسرائيل « تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون القذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والأرملة ، فبعزتى حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم » وأخرجه الخطيب فى الاقتضاء فقال : « أخبرنا الحسن بن على الجوهرى حدثنا محمد بن العباس الخزاز حدثنا يحي بن محمـــد بن صاعد قال : حدثنا الحسين بن الحسن المروزى أخبرنا ابن المبارك فذكره سواء .

(١٤٩) حديث ﴿ علماء هذه الأمة رجلان ... الخ ﴾ قال العراق : رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال : « فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير فى جو السماء » ، ولم يقل « والكرام الكاتبون » وقال « فبخل » وقال « فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار » وقال « هذا الذى آتاه الله علما فبخل به » وقال « كذلك حتى يفرغ من الحساب » وعبد الله بن خراش ابن حوشب متفق على ضعفه وشهر بن حوشب مختلف فيه ، وذكر المصنف أنه من رواية الضحاك عن ابن عباس والمعروف رواية شهر بن حوشب عنه وقال الطبرانى بعد تخريجه : لم يرو هذا الحديث عن العوام إلا عبد الله بن خراش ولا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد . اهـ . قلت : وقد علمت أن المصنف تبع فى قوله هذا صاحب القوت فلعله وقع له طريق إلى ابن عباس غير الذى أشار إليه =

فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم هو هذا الخنزير ، فقال موسى : يارب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا ، فأوحى الله عز وجل إليه لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فن دونه ما أجبتك فيه ، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به ، لأنه كان يطلب الدنيا بالدين *

* وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفاً ومرفوعاً فى رواية عن النبى ﷺ قال : [١٥٠] ﴿ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، وفى الكلام تنميق وزيادة ، ولا يؤمن على صاحبه الخطأ ، وفى الصمت سلامة وعلم ﴾ ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الأول من النار ، ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شىء من علمه أو تهاون بشىء من حقه غضب ، فذلك فى الدرك الثانى من النار ، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ، ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً فذلك فى الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين ؛ فذلك فى الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك فى الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكراً فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وَعَظَ عنف ، وإن وُعِظَ أَنِفَ ، فذلك فى الدرك السابع من النار ، فعليك يا أخى بالصمت فيه تغلب الشيطان ، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب

= الطبرانى لكونه ثقة والضحاك المذكور هو ابن مزاحم الهلالى أبو القاسم الخراسانى روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى سعيد وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، وقد تكلم فى سماعه من ابن عباس بل من الصحابة وروى أيضاً عن الأسود بن يزيد النخعى وعطاء وأبى الأحوص والنزال بن سبرة وعبد الرحمن بن عرسجة وعنه جوير بن سعيد وسلمة بن نبيط وعبد العزيز بن أبى رواد وإسماعيل ابن أبى خالد وعمارة بن أبى حفصة وأبو حباب الكلبى ومقاتل بن حيان وجماعة ، ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : لقى جماعة من التابعين ولم يشافه أحداً من الصحابة ومن زعم أنه لقى ابن عباس فقد وهم وقال ابن عدى عرف بالتفسير ، وأما رواياته عن ابن عباس وأبى هريرة ففيه نظر ، مات سنة ست ومائة .

(١٥٠) حديث ﴿ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ ، وفى الصمت سلامة وعلم ﴾ كذا فى النسخ ومثله فى القوت ، وقد أصلح العراقى فى نسخته التى قرأها عليه ولده وقال « سلامة وغنم » .

* وفى خبر آخر [١٥١] ﴿إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ مابين المشرق والمغرب ، وما يزن عند الله جناح بعوضة ﴾ وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز ، وقال : يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة ، فقال الحسن : عافاك الله تعالى ، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ، إنه من جلس مثل مجلسى هذا ، وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له * وعن جابر رضى الله عنه موقوفاً ومرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ : [١٥٢] ﴿ لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة ﴾ قال تعالى : « فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن » الآية ، فعرف أهل العلم بإيثار

---

(١٥١) حديث ﴿ إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة ﴾ هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى : لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ، وفى الصحيحين من رواية أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رفعه « ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » اهـ .

قال مرتضى : قد تقدم فى أول الكتاب عند ذكره حديث « إن من العلم كهيئة المكنون » ما ذكره الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى ترجمة شيخه عتيق نقلا عن قضيب البان الموصلى أنه قال : « من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة » .

(١٥٢) حديث ﴿ لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالماً يدعوكم من خمس إلى خمس ﴾ قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبى الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا مع كل عالم » فذكره ، وقدم العداوة ثم الكبر على الرياء ، وآخرها « من الرغبة إلى الرهبة » وعباد بن كثير البصرى نزيل مكة كان رجلا صالحاً ولكنه متروك قاله النسائى وغيره ، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد ، قال صاحب الميزان « منكر الحديث » ثم قال « لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه » اهـ .

قال مرتضى : نص أبى نعيم فى الحلية أسند شقيق عن جماعة فمما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن على بن أبى بلال حدثنا على بن مهرويه حدثنا يوسف بن حمدان حدثنا أبو سعيد البلخى حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ فذكره . ثم أبو سعيد اسمه محمد بن عمرو بن حجر ورواه أيضاً أحمد بن عبدالله عن شقيق حدثناه أبو سعيد عبدالرحمن ابن محمد الأدريسى حدثنا أحمد بن نصر الأعمشى البخارى حدثنا سعيد بن محمود حدثنا عبد الله بن محمد =

الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، وقال تعالى : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ، وقال تعالى فى قصة شعيب : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » وقال تعالى: « واتقوا الله ويعلمكم الله » ، وقال تعالى: « واتقوا الله واعلموا — واتقوا الله واسمعوا » وقال تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » . وقال رسول الله ﷺ : [١٥٣] ﴿ مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه ﴾ ،

= الأنصارى حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد عن عباد بن كثير مثله، رواه يحيى ابن خالد المهلبى عن شقيق فخالفهما حدثناه أبو سعد الإدريسى حدثنا محمد بن الفضل القاضى بسمرقند حدثنا محمد بن زكريا الفارسى ببلخ حدثنا يحيى بن خالد حدثنا شقيق حدثنا عباد عن أبان عن أنس عن النبى ﷺ مثله وفى هذا الحديث كلام كان شقيق كثيراً ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه اهـ . كلام أبى نعيم ثم قلت : قال الحافظ السيوطى نقلا عن اللسان : أحمد بن عبد الله هو الجويبارى أحد الكذابين ثم قال العراق ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ثم قال ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبى نعيم المذكور اهـ . قلت وقد وجدت لهذا الحديث طريقاً آخر قال السيوطى: قال ابن النجار فى تاريخه : أخبرنا أبو القاسم الأزجى عن أبى الرجاء أحمد بن محمد الكسائى قال : كتب إلىّ أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازى حدثنى أبو القاسم عمر بن محمد بن خزيم الخويى حدثنا أبو بكر عمر بن يحيى بن عيسى الخويى أبو عبد الله الحسين بن هلال الخويى حدثنا أبو يوسف يعقوب بن نعيم البغدادى حدثنا يحيى بن محمد بن أعين المروزى حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخى أخبرنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر مرفوعاً لا تقعدوا مع كل ذى علم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس من الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى المحبة ومن الجهل إلى العلم ومن الغنى إلى التقلل، ووجدت له طريقاً آخر من طريق أهل البيت قال السيوطى: وقال العسكرى فى المواعظ: حدثنا الحسن بن على ابن عاصم حدثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضى حدثنى أبى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقعد إلا إلى عالم يدعوك من الخمس إلى الخمس من الرغبة إلى الزهد ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكبر إلى التواضع ومن المداهنة إلى المناصحة ومن الجهل إلى العلم » اهـ . فهذه الطرق يتقوّى جانب الرفع فى حديث شقيق .

(١٥٣) حديث ﴿ مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم ؟ فقالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونأتيه ﴾ قال العراقى أخرجه ابن حبان فى صحيحه من رواية مالك بن دينار عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك يأمرون

ه وقال ﷺ : [١٥٤] ﴿ هلاك أمتى عالم فاجر وعا جاهل ، وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء ﴾ وقال الأوزاعى رحمه الله : « شكت النواويس ما تجد من نتن جيف

= الناس بالخير وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » قال ابن حبان رواه أبو عتاب الدلال عن هشام عن المغيرة عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس ، قال : ووهم فيه لأن يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل ابن عتاب وذويه ، قال العراقى : قلت طريق ابن عتاب هذه رواها أبو نعيم فى الحلية وأبو عتاب احتج به مسلم ووثقه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم واسمه سهل بن حماد ا هـ .

قال مرتضى : نص أبى نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا إبراهيم بن هشام حدثنا محمد بن المنهال حدثنا هشام الدستوائى عن المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أتيت ليلة أسرى بى إلى السماء فإذا أنا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال هم خطباء من أمتك » تفرد به يزيد بن زريع عن هشام ورواه أبو عتاب سهل بن حماد عن هشام عن المغيرة عن مالك عن ثمامة عن أنس بن مالك كذلك رواه صدقة عن مالك حدثنا محمد بن أحمد بن على بن مخلد حدثنا أحمد بن الهيثم الوزان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة ابن موسى عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أتيت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت ، قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون » ا هـ . قلت وأخرج الخطيب من طريق مسلم بن إبراهيم عن صدقة والحسن بن أبى جعفر قالا حدثنا مالك بن دينار عن ثمامة فذكره وأخرج فى ترجمة إبراهيم بن أدهم الزاهد فقال : حدثنا أبو نصر النيسابورى حدثنا إبراهيم أبو الحسن حدثنا محمد بن سهل العطار حدثنا أحمد بن سفيان النسائى حدثنا ابن مصفى حدثنا إبراهيم بن أدهم حدثنا مالك ابن دينار عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : فساقه بمثل سياق ابن حبان ، وقال: مشهور من حديث مالك عن أنس غريب من حديث إبراهيم عنه ثم قال العراقى : وللحديث طرق أخرى أحدها من رواية حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس رواه أحمد والبزار والثانى من رواية عيسى بن يونس عن سليمان التيمى عن أنس رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد صحيح والثالث من رواية عمر بن نبهان عن قتادة عن أنس رواه البزار ا هـ . قلت : ورواه أيضاً الإمام أحمد وعبد بن حميد فى مسنديهما وأبو داود الطيالسى وسعيد بن منصور وأبو يعلى وألفاظ كلهم متقاربة ففى بعضها « مررت ليلة أسرى بى على قوم » وفيها « قال خطباء من أهل الدنيا » و « يأمرون الناس بالبر بدل » « الخير » والباقى سواء .

(١٥٤) حديث ﴿ هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء ﴾ قال العراقى : أما أول الحديث فلم أجد له أصلا ، وأما آخره فرواه الدارمى فى مسنده من رواية بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال « سأل رجل النبى ﷺ عن الشر ، فقال : لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير ، يقولها ثلاثاً » ، ثم قال : ألا إن شر الشرار شرار العلماء وخير الخيار =

الكفار فأوحى الله إليها : بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه » وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : « بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان » ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : « ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لم يعلم ولا يعمل سبع مرات » وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله » ، وقال حاتم الأصم رحمه الله : « ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو » ، وقال مالك بن دينار : « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا » ، وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحتَ متهماً　　إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً　　فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها　　وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله　　عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله « مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر ، فقلبته فإذا عليه مكتوب « أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم » وقال ابن السماك رحمه الله : « كم من مذكر بالله ناس لله ، وكم من مخوّف بالله جرىء على الله ، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله ، وكم من داع إلى الله فارّ من الله ، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله » وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : « لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ، ولحنا في أعمالنا فلم نعرب » وقال الأوزاعي : « إذا جاء الاعراب ذهب

= خيار العلماء » وهذا مرسل ضعيف فبقية مدلس ، وقد رواه بالعنعنة والأحوص ضعفه ابن معين والنسائي وأبوه تابعي لا بأس به اهـ .

قال مرتضى : ومن الشواهد للجملة الأولى ما أورده صاحب القوت : وروينا عن عمر وغيره « كم من عالم فاجر وعابد جاهل ، فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين » وأخرج أبو نعيم في ترجمة معاذ من رواية ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ قال : « تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت : يارسول الله أرنا شر الناس فقال : سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر ، شرار الناس شرار العلماء في الناس » ويروى معضلا من طريق سفيان عن مالك بن مغول قال : قيل يارسول الله فأي الناس شر ؟ قال : اللهم غفرا ، قالوا : أخبرنا يارسول الله ، قال : العلماء إذا فسدوا » .

الخشوع » وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال : « حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : كنا ندرس العلم فى مسجد قباء » إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : [١٥٥] ﴿ تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا ﴾ وقال عيسى عليه السلام : « مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد » وقال معاذ رحمه الله : احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته » وقال عمر رضى الله عنه : « إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق » وقال عمر رضى الله عنه : « ثلاث بهن ينهدم الزمان : إحداهن زلة

---

(١٥٥) حديث ﴿ تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عز وجل حتى تعملوا ﴾ قال العراقى : ذكره ابن عبد البر فى بيان العلم هكذا من غير أن يصل إسناده وقد روى من حديث معاذ وابن عمر وأنس ، أما حديث معاذ فرواه الخطيب فى كتاب الاقتضاء من رواية عثمان بن عبد الرحمن الجمحى عن يزيد بن يزيد بن جابر عن أبيه عن معاذ عن النبى ﷺ فذكر مثله وأخرجه أيضاً من رواية بكر بن خنيس عن حمزة النصيبى عن يزيد بن يزيد بلفظ « فلن ينفعكم » مكان « يأجركم » وهكذا رواه ابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الحلية ثم قال : وقد رواه الدارمى فى مسنده وابن المبارك فى الزهد والرقائق موقوفا على معاذ بإسناد صحيح اهـ .

قال مرتضى : الذى فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن اسحق حدثنا الحسين ابن الحسن حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن يزيد بن جابر قال : قال معاذ : قال : اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا ، قال الشيخ : رفعه حمزة النصيبى عن ابن جابر عن أبيه عن معاذ ثم ساق سنده إليه كسياق الخطيب ، ثم قال العراقى : وأما حديث ابن عمر فرواه الدارقطنى فى غرائب مالك ومن طريقه الخطيب فى «أسماء الرواة عن مالك» بسند فيه محمد بن روح وهو ضعيف ولا يصح هذا عن مالك ، وأما حديث أنس فروى عنه مرفوعا وموقوفاً ، رواه ابن عبد البر فى العلم من رواية عباد بن عبد الصمد عن أنس موقوفا قال وهو أولى من رواية من رواه مرفوعا قال وعباد متفق على تركه اهـ . قلت وقد أخرج ابن عساكر فى التاريخ عن أبى الدرداء أشار له السيوطى وسياق كسياق الخطيب ، ورواه الحسن بن الأخرم المدينى فى أماليه عن أنس أشار له السيوطى وسياق كسياق الخطيب وأخرج الخطيب فى الاقتضاء من طريق وكيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سليمان عن أبى الدرداء قال : « إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملا » ، وأخرج من طريق هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملا » .

العالم »، وقال ابن مسعود : « سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القـلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لهـا عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمـله فمـا أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القـلوب فوالله الذى لا إله إلا هو ماذلك إلا لأن المعلـّمين علموا لغير الله تعالى والمتعلـّمين تعلموا لغير الله تعالى . وفى التوراة والإنجيل مكتوب : « لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بمـا علمتم » ، وقال حذيفة رضى الله عنه : « إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا ، وذلك لكثرة البطالين » واعلم أن مثل العالم مثل القاضى » وقد قال ﷺ : [١٥٦] ﴿القضاة ثلاثة : قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعـلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار﴾ ، وقال كعب رحمه الله « يكون فى آخر الزمان علماء يزهّدون الناس فى الدنيا ولا يزهَدون ، ويخوّفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه إذا

---

(١٥٦) حديث ﴿القضاة ثلاثة : قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك فى الجنة ، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النـار ، وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النـار﴾ قال المناوى قال فى المطامح : هذا تقسيم بحسب الوجود لا بحسب الحكم ، ومعروف أن مرتبة القضاء شريفة ، ومنزلته رفيعة منيفة لمن اتبع الحق ، وحكم على عِلم بغير هوى ، قليل ما هم ، وقيل معناه : من كان الغالب على أقضيته العدل والتسوية بين الخصمين فله الجنة ، ومن غلب على أحكامه الجور والميل إلى أحدهما فله النار ، والحاصل أنه فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمقصرين فى تحصيل رتب الكمال . قالوا : والمفتى أقرب إلى السلامة من القاضى لأنه لا يلزم بفتواه ، والقاضى يلزم بقوله ؛ فخطره أشـد ، فيتعين على كل من ابتلى بالقضاء أن يتمسك من أسـباب التقوى بمـا يكون له جُنة . ا هـ بخ ، قال العراقى رواه بريدة بن الحصيب وعبد الله بن عمر ، أما حديث بريدة فرواه أبو داود والترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية ابن بريدة عن أبيه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة ؛ رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذلك فى النار ، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو فى النار ، وقاض قضى بالحق فذلك فى الجنة ، لفظ رواية الترمذى ورجالها رجال الصحيح ، وإسناد النسائى وابن ماجه أيضاً صحيح . ا هـ . قلت ورواه الحاكم كذلك وصححه ، قال الذهبى : والعهدة عليه ، ولفظ =

جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن » * وقال ﷺ : [١٥٧] ﴿ إن الشيطان ربما يسوقكم بالعلم ، فقيل يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال ﷺ يقول : « اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم ، فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفاً حتى يموت وما عمل ﴾ وقال سرى السقطى : « اعتزل رجل للتعبد ، كان حريصاً على طلب علم الظاهر ، فسألته فقال : رأيت فى النوم قائلا يقول لى إلى كم تضيع العلم ضيعك الله ؟ فقلت : إنى لأحفظه فقال حفظ العلم العمل به ، فتركت الطلب وأقبلت على العمل » وقال ابن مسعود رضى الله عنه «ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية » وقال الحسن : « تعلموا ماشئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية » وقال مالك رحمه الله : «إن طلب العلم لحسن ، وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئاً » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا ، وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها » وفى مثل قوله تعالى : « ولكم الويل مما تصفون » * وفى الخبر [١٥٨] ﴿ إنما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال منافق فى القرآن ﴾ ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة

= الحاكم : القضاة ثلاثة : اثنان فى النار وواحد فى الجنة ، رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ، قال العراقى : وابن بريدة الذى لم يسم فى روايتهم هو عبد الله بن بريدة كما ذكره ابن عساكر والمزنى كلاهما فى الأطراف ، ثم قال : وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير من رواية محارب بن دثار عن ابن عمر ، رفعه : القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة ، قاض قضى بالهوى فهو فى النار ، وقاض قضى بغير علم فهو فى النار ، وقاض قضى بالحق فهو فى الجنة ، وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح .

قال مرتضى : وكذا رواه أبو يعلى فى معجمه ، وقال الهيثمى : رجاله ثقات وقد أفرد الحافظ ابن حجر فيه جزءاً .

(١٥٧) حديث ﴿ إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم ... ﴾ هكذا فى نسخ الكتاب التى بأيدينا وفى نسخة بخط الكمال الدميرى « ربما سبقكم » بلفظ الماضى وهو هكذا فى نص القوت وعوارف المعارف ، ووجدت فى نسخة المغنى للحافظ العراقى التى قرئت عليه وعليها خطه : « ربما يسبعكم بالعين » المهملة مكان القاف وعليه التصحيح ولم أجد له معنى .

(١٥٨) حديث ﴿ مما أخاف على أمتى زلة العالم وجدال منافق فى القرآن ﴾ قال العراقى : فيه عن أبى الدرداء ومعاذ وعمر وعلى وعمران بن الحصين أما حديث أبى الدرداء فرواه الطبرانى من رواية أبى إدريس =

المرغب فى الطاعات مجتنباً للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال ، فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة ، وقد صادف طبيباً حاذقاً فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه

= الخولانى عنه رفعه «أخاف على أمتى ثلاثا زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والتكذيب بالقدر» وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى فى معجمه الصغير والأوسط من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عنه رفعه «إنى أخاف عليكم ثلاثاً وهن كائنات زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم» ورواه فى الأوسط من رواية عمرو بن مرة عن معاذ رفعه «إياكم وثلاثة : زلة عالم وجدال منافق بالقرآن» الحديث ثم فسرها ، وعمرو ابن مرة لم يسمع من معاذ وذكره الدارقطنى فى العلل من رواية عبد الله بن سلمة بكسر اللام عن معاذ رفعه قال «إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث : جدال منافق بالقرآن وزلة عالم ودنيا تقطع أعناقكم» وأعله ابن الجوزى فى العلل المتناهية براويه المذكور قال الدارقطنى وقد وقفه شعبة عن عمرو بن مرة يعنى على معاذ قال والوقف هو الصحيح وأما حديث عمر رواه أحمد من رواية أبى عثمان النهدى عنه بلفظ «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان» وقد ذكره المصنف فيما تقدم موقوفا على عمر قال الدارقطنى والموقوف أشبه بالصواب ، قلت حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعاً بلفظ : إنما أخاف عليكم كل منافق عليم يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور ، ورواه اسحق بن راهويه والحرث بن أبى أسامة ومسدد بسند صحيح عن عبد الله بن بريدة أن وفداً أقدموا على عمر فقال لإذنه ، فساق الحديث وهو طويل وفى آخره «ثم قال عمر عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخشى عليكم منافق عليم اللسان» واللفظ لمسدد ثم رواه مسدد موقوفا من طريق أبى عثمان النهدى «سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو على المنبر منبر رسول الله ﷺ أكثر من أصابعى هذه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم ، قال وكيف يكون منافق عليم يا أمير المؤمنين ؟ قال عالم اللسان جاهل القلب» وقال حماد وقال ميمون الكردى عن أبى عثمان عن عمر نحوه ، وروى إسحق فى مسنده من رواية حماد عن أبى سويد عن الحسن قال لما قدم أهل البصرة على عمر فيهم الأحنف بن قيس سرحهم وحبسه عنده ثم قال : أتدرى لم حبستك إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عالم اللسان وإنى أتخوف أن تكون منهم وأرجو أن لا تكون منهم فالحق بأهلك ، ثم قال العراقى : وأما حديث على رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من رواية الحرث الأعور عنه رفعه «إنى لا أتخوف على أمتى مؤمنا ولا مشركا أما المؤمن فيحجزه إيمانه ، وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون» قال لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد والحرث الأعور ضعيف .

قال مرتضى : لكن وثقه ابن حبان وكذلك رواه إسحق بن راهويه فى مسنده بسند ضعيف لجهالة التابعى ورواه أيضاً من طريق إسحق الفروى وهو ضعيف عن سعيد بن المسيب قال : قال رجل بالمدينة فى حلقة «أيكم يحدثنى عن رسول الله ﷺ حديثاً ؟ فقال على : أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول .. =

الذى هو مؤاخذ به وذلك محض السفه . وقد روى أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ :
[١٥٩] «فقال : علمنى من غرائب العلم ، فقال له ما صنعت فى رأس العلم ؟ فقال : وما رأس العلم ؟
قال ﷺ هل عرفت الرب تعالى ؟ قال نعم قال فما صنعت فى حقه ؟ قال ما شاء الله ، فقال ﷺ : هل
عرفت الموت ؟ قال نعم ، قال فما أعددت له ؟ قال ما شاء الله ، قال ﷺ : اذهب فأحكم ما هناك
ثم تعال نعلمك من غرائب العلم» بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم
الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما أنه قال له شقيق : منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم : منذ
ثلاث وثلاثين سنة ، قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال ثمانى مسائل ، قال شقيق له : إنا لله
وإنا إليه راجعون ذهب عمرى معك ، ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل ، قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها ،
وإنى لا أحب أن أكذب ، فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها ، قال حاتم : نظرت إلى هذا
الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت
الحسنات محبوبى فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى ؛ فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية ؟ فقال نظرت
فى قول الله عز وجل « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى »
فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق ، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة
الله تعالى ، الثالثة أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ،
ثم نظرت إلى قول الله عز وجل : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فكلما وقع معى شىء له قيمة

= فذكره ، وفيه « ولكن رجلا بينما يقرأ القرآن حتى إذا دلق به يتأوله على غير تأويله فقال
ما تعلمون وعمل ما تنكرون فضلّ وأضل » ثم قال العراقى : وأما حديث عمران بن حصين رواه أحمد
وابن حبان من رواية عبد الله ابن بريدة عنه رفعه بلفظ « أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم
اللسان» اللفظ لأحمد وقال ابن حبان «جدال منافق عليم اللسان» وذكر الدارقطنى فى العلل أنه رواه عن
معاذ بن معاذ عن حسين المعلم عن ابن بريدة عن عمران رفعه ، قال ، ووهم فيه ، قال ورواه عبد الوهاب
بن عطاء وروح بن عبادة وغيرهما عن حسين عن ابن بريدة عن عمر وهو الصواب فى قصة طويلة ،
قال العراقى : وهو عند ابن حبان من رواية خالد بن الحرث عن حسين المعلم مثل رواية معاذ . اهـ.
قلت : تقدم رواية ابن بريدة عن عمر ، وهكذا رواه إسحق بن راهويه والحرث ومسدد .

(١٥٩) حديث «علمنى من غرائب العلم فقال له ما صنعت فى رأس العلم ؟ قال : وما رأس العلم ؟ فقال
له ﷺ : هل عرفت الرب سبحانه قال نعم قال فما صنعت فى معرفته قال ماشاء الله ، قال هل عرفت الموت
قال نعم قال فما أعددت له ؟ قال ما شاء الله قال اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم»
قال العراقى رواه أبو بكر بن السنى وأبو نعيم كل واحد فى كتابه رياضة المتعلمين وابن عبد البر
فى بيان العلم من رواية خالد بن أبى كريمة عن عبد الله بن المسور قال « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال =

ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً ﴿ الرابعة : أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب وإلى الشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هى لا شىء ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريماً ﴿ الخامسة أنى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد ، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى ﴿ السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ، ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل : « إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً » فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره ﴿ السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ، ثم نظرت إلى قوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى عليّ وتركت ما لى عنده ﴿ الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق ؛ هذا على ضيعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صناعته ، وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبى . قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى فإنى نظرت

= يارسول الله أتيتك لتعلمنى من غرائب العلم « فذكره » وهو مرسل ضعيف جداً قال ابن أبى حاتم : عبد الله ابن مسور بن عبد الله بن عون بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى المدائنى سألت أبى عنه فقال : الهاشميون لا يعرفونه وهو ضعيف الحديث يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل فى أحاديث الثقات ، وقال أحمد بن حنبل أحاديثه موضوعة ، كان يضع الحديث ويكذب .

قال مرتضى : وفى الديوان للذهبى عبد الله بن مساور تابعى مجهول ، وأما الراوى عنه خالد بن أبى كريمة فمن رجال النسائى وابن ماجه وثق وقال أبو حاتم ليس بالقوى ، ثم أنه قد يكون المراد بغرائب العلم الأحاديث الغرائب التى لا خير فى روايتها ، وقد ورد عن جماعة من العلماء كراهية الاشتغال بها وذهاب الأوقات فى طلبها ؛ فقد أخرج الخطيب فى مناقب شرف أصحاب الحديث له من طريق محمد بن جابر عن الأعمش عن إبراهيم قال كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث وأخرج من طريق بشر بن الوليد ، قال سمعت أبا يوسف يقول : لا تكثروا من الحديث الغريب الذى لا يجىء به الفقهاء وآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب ، وأخرج من طريق المروزى قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : « تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم » . فعلم من ذلك أن السؤال فى غرائب الكلام والحديث مذموم ، والمدار على معرفة رأس العلم الذى هو معرفة الله سبحانه .

فى علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ؛ فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهى تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة ، فهذا الفن من العلم لايهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة ، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التى بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم : أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع ، وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام .

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب ، والتنعم فى الملبس ، والتجمل فى الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك ، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبى عبد الله الخواص ، وكان من أصحاب حاتم الأصم قال : دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات ، وليس معهم جراب ولا طعام ؛ فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة ؛ فلما كان من الغد قال لحاتم : ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل؟ قال حاتم : عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجىء معك . وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذه الحالة! ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة، وإذا بزة وستور، فبقى حاتم متفكراً ، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة ، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس ، فقال لا أجلس ، فقال لعل لك حاجة، فقال نعم ، قال وما هى ؟ قال مسألة أسألك عنها قال : سل ، قال : قم فاستو جالساً حتى أسألك ؛ فاستوى جالساً ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ، فقال من الثقات حدثونى به. قال عمن ؟ قال عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن؟ قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ عمن ؟ قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل ، قال حاتم : ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه: من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر؟ قال لا، قال فكيف سمعت ؟ قال : سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت ؟ أبالنبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله ؟ أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ؟ يا علماء

السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شراً منه . وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً . وبلغ أهل الرأى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له : إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعاً منه ، فسار حاتم متعمداً فدخل عليه ، فقال : رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى ، كيف أتوضأ للصلاة ؟ قال : نعم وكرامة ، ياغلام هات إناء فيه ماء ، فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا فتوضأ، فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً أربعاً فقال الطنافسى : يا هذا أسرفت ، قال له حاتم : فى ماذا ؟ قال غسلت ذراعيك أربعاً فقال حاتم : يا سبحان الله العظيم ، أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف ؟ فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً . فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، قال : معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى : أفرح إذا أصاب خصمى ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه ، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل ، فقال : سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه ، فلما دخلوا عليه قال له : يا أبا عبد الرحمن : ما السلامة من الدنيا ؟ قال : يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك منهم ، وتبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيساً ، فإذا كنت هكذا سلمت : ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة ، فقال يا قوم أية مدينة هذه ؟ قالوا مدينة رسول الله ﷺ قال : فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلى فيه ؟ قالوا : ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض ، قال فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم ؟ قالوا : ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض ، قال حاتم : يا قوم فهذه مدينة فرعون ، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا : هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون ، قال الوالى ولم ذلك ؟ قال حاتم : لا تعجل علىّ أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه ؟ فقالوا : مدينة رسول الله ﷺ فقلت فأين قصره ، وقص القصة ، ثم قال : وقد قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه * فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى ، وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه * والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة

الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هى محظورة ، والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض فى الدنيا لا يسلم منها ألبتة ، ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لا يبالغ فى ترك الدنيا * [١٦٠] ﴿حتى نزع القميص المطرز بالعلم﴾ * [١٦١] ﴿ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة﴾ إلى غير ذلك مما سيأتى بيانه * وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنهما : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين ، من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس ، أما بعد فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجباً وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطى وارتحل إليـــك الناس واتخذوك إماماً ورضوا بقولك ، فاتق الله تعالى يا مالك وعليك

---

(١٦٠) حديث ﴿نزع القميص المطرز بالعلم﴾ أى المعلم قال العراقى : المعروف نزعه للخميصة المعلمـــة اهـ .

وقال مرتضى : إطلاق القميص على الخميصة مجاز فإن القميص هو الثوب المخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب ولا يكون من الصوف غالباً والخميصة كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة كما قاله الجوهرى وكانت من لباس الناس قديماً ، قال العراقى : وحديث الخميصة أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية الزهرى عن عائشة رضى الله عنها قالت صلى رسول الله ﷺ فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما سلم قال اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفاً عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم بن حذيفة ، لفظ البخارى اهـ .
وقال مرتضى : رويناه فى أول الحربيات من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به .

(١٦١) حديث ﴿ونزع الخاتم الذهب ونبـــذه فى أثناء الخطبة﴾ قال العراقى : رواه ابن عمر وابن عباس أما حديث ابن عمر فأخرجه الأئمة الستة إلا ابن ماجه فاتفق عليه الشيخان والنسائى من رواية الليث ورواه البخارى من رواية جويرية ومسلم والترمذى من رواية موسى بن عقبة ثلاثتهم عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب وجعل فصه فى بطن كفه إذا لبسه فاصطنع النـاس خواتيم من ذهب فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقـال : إنى كنت اصطنعته وإنى لا ألبسه ، فنبذه فنبذ الناس . لفظ رواية البخارى من رواية جويرة عن نافع واتفقا عليه وأبو داود والنسائى من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر دون ذكر المنبر وكذا رواية مسلم وأبو داود والنسائى من رواية أيوب بن موسى عن نافع والبخارى من طريق مالك والنسائى من رواية إسماعيل ابن جعفر كلاهما عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر دون ذكر المنبر ، وأما حديث ابن عباس فرواه النسائى من رواية سليمان الشيبانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً فلبسه قال : شغلنى هذا عنكم منذ اليوم : إليه نظرة وإليكم نظرة ، ثم ألقاه .

بالتواضع ، كتبت إليك بالنصيحة منى كتاباً ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد ، سلام الله عليك أما بعد فقد وصل إلىّ كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيراً وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فأما ما ذكرت لى أنى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء ، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام » فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعاً ، ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضاً نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه ، فالتعريج على التنعم المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية ، وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصياً عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه، فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين ، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه ، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهناً لهم ، أو يتكلف فى كلامه كلاماً لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح ، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم ، وذلك هو السحت ، وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها ، وعلى الجملة فخالطتهم مفتاح للشرور ، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال ﷺ : [١٦٢] ﴿ من بدا جفا ﴾ يعنى من سكن البادية جفا ﴿ ومن اتبع الصيد غفل

---

(١٦٢) حديث ﴿ من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلاطين افتتن ﴾ لأنه إن وافقه على مرامه فقد خاطر بدينه وإن خالفه فقد خاطر بروحه ، وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم فى الدنيا والعقوبة فى العقبى . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير ، ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية ، وأبو قرة كلهم من رواية سفيان عن أبى موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس رفعه ، ولفظهم كلهم ماعدا الترمذى ، ومن أتى السلطان ، والباقى سواء ، =

ومن أتى السلطان افتتن » * وقال ﷺ : [١٦٣] « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برىء ومن كرهه فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى ، قيل أفلا نقاتلهم ؟ قال ﷺ : لا ، ما صلوا » وقال سفيان : « فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك » ، وقال حذيفة : إياكم ومواقف الفتن ، قيل وما هى ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه » * وقال رسول الله ﷺ :

= ولفظ الترمذى « ومن أتى أبواب السلطان » وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثورى ، وقال سفيان مرة : لا أعلمه إلا عن النبى ﷺ ، وقال أبو نعيم فى الحلية : أبو موسى هو اليمانى لا نعرف له إسماً وقال الذهبى فى الميزان : شيخ يمانى يجهل ، ما روى عنه غير الثورى ولعله إسرائيل بن موسى وإلا فهو مجهول ، ونقل المنذرى فى مختصر السنن قال الكرابيسى : حديثه ليس بالقائم ، وفى الباب عن أبى هريرة والبراء بن عازب ، ولفظ حديث أبى هريرة « ومن بدى فقد جفا » والباقى سواء وزاد فى آخره « وما ازداد أحد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعداً » رواه أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل وابن حبان فى الضعفاء كلهم من رواية الحسن بن الحكم النخعى عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة وضعفوه كالمنذرى فى مختصر السنن ، ولكن حسنه العراقى قال : وقد رواه أبو داود فى رواية ابن داسة وابن العبد من طريق الحسن بن الحكم هذا إلا أنه قال : عن عدى بن ثابت عن شيخ من الأنصار عن أبى هريرة بلفظ حديث وهب بن منبه عن ابن عباس ، وقد رواه أيضاً أبو يعلى فى مسنده هكذا ، وأما حديث البراء فرواه أحمد مختصراً من طريق شريك عن الحسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عنه رفعه « من بدى جفا » وذكره الدارقطنى فى العلل فقال « تفرد به شريك واختلف فيه على الحسن ابن الحكم فرواه شريك عنه هكذا ، وخالفه إسماعيل بن زكريا فرواه عنه عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة كما تقدم ، وخالفهما محمد بن عبيد الطنافسى فرواه عنه عن عدى بن ثابت عن شيخ من الأنصار لم يسمه ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه العقيلى فى الضعفاء والرويانى وسعيد بن منصور كلهم عن البراء نحوه بزيادة « ومن تبع الصيد غفل » .

(١٦٣) حديث « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برىء ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله قيل أفلا نقاتلهم ؟ قال لا ما صلوا » قال العراقى : أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى من رواية ضبة بن محصن عن أم سلمة عن النبى ﷺ أنه قال واللفظ للترمذى إلا أنه قال : « أئمة » بدل « أمراء » ولم يقل « أبعده الله » وقال حسن صحيح ، وفى رواية لمسلم « إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم » فذكره دون قوله « أبعده الله » وفيه « قالوا يا رسول الله » بدل « قيل » وفى رواية له « فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم » وفى رواية له « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برىء ومن أنكر سلم » ا هـ . =

[١٦٤] ﴿ العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين ، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم ﴾ رواه أنس ، وقيل للأعمش : لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك ، فقال : لا تعجلوا : ثلث يموتون قبل الإدراك ، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق ، والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ، ولذلك قال سعيد ابن المسيب رحمه الله : « إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص » وقال الأوزاعي : « ما من شيء أبغض

= قال مرتضى : وأخرج ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت رفعه « ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون ويعملون بما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة » وأخرج ابن جرير والطبراني في الكبير والحاكم عن عبادة بن الصامت أيضا ولفظهم « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم بما تنكرون وينكرون عليكم بما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل » وأخرج ابن ماجه وابن عساكر عن أبي هريرة رفعه « سيكون بعدي خلفاء يعملون بما لا تعملون ويفعلون مالا يؤمرون فمن أنكر عليهم برىء ومن أمسك يده سلم » .

(١٦٤) حديث ﴿ العلماء أمناء الرسل على عباد الله . . . ﴾ رواه أبو جعفر العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الأبرى عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس عن النبي ﷺ ، قال العقيلي : وحفص كوفي حديثه غير محفوظ قال العراقي : وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق الحاكم ومن طريق أبي نعيم الأصبهاني من رواية إبراهيم بن رستم عن أبي حفص العبدي عن إسماعيل بن سميع عن أنس وزاد بعد قوله « ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا » وقال في آخره « فاحذروهم واخشوهم » اهـ .

قال مرتضى : لفظ الحاكم « ويدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان » وفي آخره « فاعتزلوهم » وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن محمد بن مالك عن إبراهيم بن رستم ، قال العراقي ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من رواية إبراهيم بن رستم عن عمر بن حفص العبدي عن إسماعيل بن سميع قال : تابعه محمد بن معاوية النيسابوري عن محمد بن يزيد عن إسماعيل ثم قال : وأما عمر العبدي ، قال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك ، وأما إبراهيم بن رستم فقال : ابن عدي ليس بمعروف ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد : كذاب ، إلى هنا كلام ابن الجوزي ، قال العراقي : أما إبراهيم بن رستم فقال فيه عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين : إنه ثقة اهـ . قال السيوطي : الحديث ليس بموضوع وإبراهيم بن رستم معروف مروزي جليل ، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عن أبي حاتم : يذكر بفقه وعبادة ومحله الصدق ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطىء ، وقال الدارقطني مشهور وليس بالقوي ، وله طريق آخر أخرجه الديلمي من رواية محمد بن النضر حدثنا محمد بن يزيد بن سابق ، حدثنا نوح بن أبي مريم عن إسماعيل بن سميع =

إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا ، * وقال رسول الله ﷺ : [١٦٥] ﴿شرار العلماء الذين يأتون الأمراء ، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء﴾ وقال مكحول الدمشقي رحمه الله : « من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقاً إليه وطمعاً فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه » وقال سمنون : « ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير » قال : « وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك ، وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلاظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافاً مع أنى لا آخذ منه شيئاً ولا أشرب شربة ماء » ثم قال : « وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه ، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم » وقال الحسن : « كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الإسلام وصحبة لرسول الله ﷺ : (قال عبد الله بن المبارك: عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه) قال : وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه : يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الإسلام فلو أتيتهم ، فقال : يا بنى آتى جيفة قد أحاط بها قوم ! والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها ، قالوا يا أبانا إذن نهلك هزالا ، قال: يا بنى لأن أموت مؤمناً مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقاً سميناً » قال الحسن : خصمهم والله إذ علم

= وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن على بن أبى طالب مرفوعاً أخرجه العسكرى ، وورد موقوفاً على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم فى الحلية وله شاهد نحوه من حديث عمر بن الخطاب أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثاً ، وهذا الحديث الذى نحن فى الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن والله أعلم ا هـ . قال مرتضى : والموقوف الذى أخرجه أبو نعيم فى الحلية رواه من طريق هشام بن عباد قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : « الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم » .

(١٦٥) حديث وقال ﷺ ﴿ شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ﴾ قال العراقى : لم أره بهذا اللفظ وروى ابن ماجه من رواية أبى معاذ البصرى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى أثناء حديث أوله « تعوذوا بالله من جب الحزن » إلى أن قال « وإن أبغض القراء إلى الله الذين يأتون الأمراء » وأول الحديث عند الترمذى دون هذه الزيادة إلا أنه قال : أبو معان بالنون وهو الصحيح ، ثم قال : وروى أبو بكر أحمد بن على بن لال الفقيه فى كتاب مكارم الأخلاق من رواية عصام بن داود العسقلانى عن بكير بن شهاب الدمغانى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رفعه « إن أبغض الخلق إلى الله عز وجل العالم يزور العمال » ا هـ . =

أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان » وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبتة وهو مضاد الإيمان ، وقال أبو ذر لسلمة « يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه » وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين ، وكان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا ، فإذا طلبوا هربوا ، وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : « أما بعد فأشر علىّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى » فكتب إليه : « أما أهل الدين فلا يريدونك ، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة » هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان أزهد أهل زمانه ؛ فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ، ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعاً إلى

قال مرتضى : وهكذا هو فى مسند الفردوس للديلمى وتاريخ قزوين للرافعى ، وأخرجه أبو الفتيان الحافظ فى كتاب التحذير من علماء السوء بلفظ « إن أهون الخلق على الله » وفى هذا المعنى قال حكيم من الحكماء : وسيأتى للمصنف أنه محمد بن مسلمة « الذباب على العذرة أحسن حالا من العالم على باب هؤلاء » وقالوا : نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير ، وقال أبو حازم فيما وعظ به سليمان ابن هشام « إن بنى إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة فى علمهم فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم فى دنياهم وشركوا فى فتنتهم » أورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أبى حازم قال أيضا بسنده إلى يوسف بن أسباط : أخبرنى مخبر أن بعض الأمراء أرسل إلى أبى حازم فأتاه وعنده الأفريقى والزهرى وغيرهما فقال له تكلم يا أبا حازم ، فقال أبو حازم إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء ، إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم ، وكان الأمراء يأتون العلماء فى بيوتهم فيسألونهم فكان فى ذلك صلاح للعلماء وصلاح الأمراء ، فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا : ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء ؟ فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم ، وأعطوهم فقبلوا منهم ، فخربت العلماء على الأمراء وخربت الأمراء على العلماء .

الفتيا ، بل يكون متوقفاً ومحترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال لاأدرى ، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية ، هذا هوالحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم . وفى الخبر [١٦٦] ﴿ العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولا أدرى ﴾ قال الشعبى : « لا أدرى نصف العلم » ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجراً ممن نطق ، لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس ، فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم : كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال : « اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون » وقال : « جُنة العلم لاأدرى ، فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله » وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله « ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم ، يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد عليّ من كلامه » ووصف بعضهم الأبدال فقال « أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة» أى لايتكلمون حتى يسئلوا وإذا سئلوا ، ووجدوا من يكفيهم سكتوا ، فإن اضطروا أجابوا ، وكانوا يعدّون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ، ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال : « هذا يقول : اعرفونى » وقال بعضهم « إنما العالم الذى إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه » وكان ابن عمر يقول « تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم » وقال أبو حفص النيسابورى « العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت » وكان إبراهيم التيمى إذا سئل عن مسألة يبكى ويقول : لم تجدوا غيرى حتى احتجتم إلىّ » ، وكان أبو العالية الرياحى وإبراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون

---

(١٦٦) حديث ﴿ العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى ﴾ هكذا أورده صاحب القوت قال العراقى : أخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر موقوفاً عليه وقد رواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى حذافة السهمى عن مالك ، قال وهذا من منكرات أبى حذافة ، سرقه من عمر ، قال العراقى : ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع وإنما قال « وفى الخبر » والظاهر أنه أراد هذا فذكر به احتياطا لاحتمال أن يكون روى مرفوعاً . اهـ .

قال مرتضى : المصنف تبع فى ذلك صاحب القوت فإنه هو الذى قال « فى الخبر » ثم أن الحديث المذكور رواه أيضاً الديلمى فى الفردوس موقوفاً ، وكذلك أبو نعيم والطبرانى فى الأوسط ، وقال الحافظ ابن حجر : والموقوف حسن الإسناد ، ثم قال العراقى : وأول الحديث مرفوع من حديث =

على الإثنين والثلاثة والنفر اليسير ، فإذا كثروا انصرفوا * وقال ﷺ : [١٦٧] ﴿ ما أدرى أعزير نبيٌّ أم لا ، وما أدرى أتبع ملعون أم لا ، وما أدرى ذو القرنين نبي أم لا ﴾ * [١٦٨] ﴿ ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع فى الأرض وشرها ، قال لا أدرى ، حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال : لا أدرى ، إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ﴾ ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة ، وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر ممن يقول أدرى ، منهم سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وأحمد ابن حنبل ، والفضيل بن عياض ، وبشر بن الحرث ، وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى : « أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يسئل عن حديث

عبد الله بن عمر رواه أبو داود وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر ورفعه « العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » . ا . هـ وسكت عليه ، وقد أخرجه أيضاً الحاكم فى الرقاق وقد قال الذهبى فى المهذب وتبعه الزركشى : فيه عبد الرحمن بن أنعم ضعيف ، وقال فى المنار : فيه أيضاً عبد الرحمن بن رافع التنوخى فى أحاديثه مناكير ، قال المناوى وفى طريق ابن ماجه ؛ رشد بن سعد وهو ضعيف ومن ثم قال ابن رجب : فيه ضعفاء مشهورون .

(١٦٧) حديث ﴿ ما أدرى أعزير نبى أم لا ؟ وما أدرى أتبع ملعون أم لا ؟ وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا ؟ ﴾ أخرجه أبو داود والحاكم من رواية ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه إلا أن فيه تقديم « تبع » على « عزير » ولم يذكر أبو داود الجملة الأخيرة ، إنما ذكرها الحاكم فقال : « وما أدرى ذا القرنين أنبيا كان أم لا ؟ » ولم يذكر عزيراً ، وزاد « وما أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا » وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه ، نقله العراقى .

قال مرتضى : وبمثل رواية الحاكم رواه البيهقى وابن عساكر وبمثل رواية أبى داود مع ذكر الجملة الأخيرة رواه ابن عساكر أيضاً كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه إلا أن فى روايتهم : « لعيناً كان أم لا » بدل « ملعون » وتبع الحميرى أوّل من كسا الكعبة ، وذو القرنين اختلف فى اسمه ، وأخبارهما مشهورة فى كتب السير والتواريخ .

(١٦٨) حديث ﴿ لما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع وشرها فقال ﷺ لا أدرى حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدرى إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها السوق ﴾ ولفظ الحديث « الأسواق » وإنما قرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شراً منها =

أو فتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك » وفى لفظ آخر : « كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردّها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول » وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول ، فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً منه . ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال « لا يفتى الناس إلا ثلاثة : أمير أو مأمور أو متكلف ، وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الإمامة ، والوصية ، والوديعة ، والفتيا . وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدّهم

= ليبين أن الدينى يرفعه الأمر الدنيوى ، فكأنه قال خير البقاع محصلة لذكر الله مسلمة من الشوائب الدنيوية ، فالجواب من أسلوب الحكيم فكأنه سئل أى البقاع خير فأجاب به وبضده ، قال العراقى : وهذا الحديث رواه ابن عمر وجبير بن مطعم وأنس ، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى صحيحه من رواية جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أن رجلا سأل النبى ﷺ أى البقاع شر ؟ قال لا أدرى حتى أسأل جبريل فسأل جبريل فقال لا أدرى حتى أسأل ميكائيل ، فجاء فقال خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ، وأما حديث جبير بن مطعم فرواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى من رواية زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه « أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال يارسول الله أى البلدان شر ، قال : لا أدرى ، فلما أتاه جبريل قال ياجبريل أى البلدان شر ، قال لا أدرى حتى أسأل ربى عز وجل ، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال يا محمد إنك سألتنى أى البلدان شر فقلت لا أدرى وإنى سألت ربى عز وجل أى البلدان شر فقال أسواقها » لفظ أحمد وقال أبو يعلى « فلما جاءه جبريل » ولم يقل « أن يمكث » وقال البزار « إن رجلا قال يارسول الله أى البلدان أحب إلى الله تعالى وأى البلدان أبغض إلى الله تعالى ؟ فقال لا أدرى حتى أسأل جبريل فأتاه جبريل فأخبره أن أحب البقاع إلى الله عز وجل المساجد وأبغض البلاد إلى الله عز وجل الأسواق » ورواه الطبرانى أيضا من رواية قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل باللفظ الأول إلا أنه قال « أى البلاد » فى المواضع الأربعة ولم يقل « يا رسول الله » وقال « فلما أتى جبريل رسول الله ﷺ » ولم يقل « ياجبريل » ولم يقل « أن يمكث » وأما حديث أنس فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عمار ابن عمارة الأزدى « قال حدثنى محمد بن محمد بن عبد الله عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل أى البقاع خير ؟ قال لا أدرى ، قال فسل عن ذلك ربك عز وجل ، قال فبكى جبريل وقال يا محمد ولنا أن نسأله هو الذى يخبرنا بما شاء ! فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: خير البقاع بيوت الله عز وجل فى الأرض قال فأى البقاع شر ؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال شر البقاع الأسواق » وقد روى الحديث أيضاً عن أبى هريرة رواه مسلم فى صحيحه من رواية عبد الرحمن بن مهران عنه وليس فيه موضع الاستدلال به من قوله لا أدرى .

دفعاً لها أورعهم ، وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء : قراءة القرآن ، وعمارة المساجد ، وذكر الله تعالى ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وذلك لما سمعوه * من قوله ﷺ [١٦٩] ﴿ كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة : أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله تعالى ﴾ وقال تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » الآية . ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال : ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى ؟ فكره وجهه وأعرض عنه ، وقال : ما وجدناه شيئاً وماحمدنا عاقبته ، وقال ابن حصين : « إن أحدهم ليفتى فى مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر ، فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . * وفى الحديث [١٧٠] ﴿ إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة ﴾ وقيل : العالم إما عالم عامة وهو المفتى ، وهم أصحاب السلاطين ، أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب ، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون . وكان يقال : مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ، ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة

---

(١٦٩) حديث ﴿ كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث ، أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى ﴾ هكذا أورده صاحب القوت بلا سند وقال العراقى : رواه الترمذى وابن ماجه من رواية صفية بنت شيبة عن أم حبيبة رضى الله عنها رفعته فذكرته دون قوله «ثلاث» وقال ابن ماجه «إلا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » بالتعريف قال الترمذى حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد ابن يزيد بن خنيس ، قال العراقى : وهو ثقة وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات .

قال مرتضى : وأخرجه ابن السنى والطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والعسكرى فى الأمثال والحاكم والبيهقى من هذا الطريق ولفظهم « كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله عز وجل » .

(١٧٠) حديث وفى الخبر ﴿ إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة ﴾ كذا فى نسخ الكتاب والرواية « يلقى الحكمة » هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد وقال العراقى : رواه ابن ماجه من رواية أبى فروة عن أبى خلاد وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ « قد أعطى زهداً فى الدنيا وقلة منطق » ، وأبو فروة تكلم فى سماعه عن أبى خلاد وأشار البخارى فى التاريخ الكبير فقال أبو فروة عن ابن مريم عن أبى خلاد عن النبى ﷺ ، قال وهذا أصح .

قال مرتضى : وأخرجه كذلك أبو نعيم فى الحلية والبيهقى إلا أن فى رواية أبى نعيم « إذا رأيتم العبد يعطى » والباقى مثل سياق ابن ماجه والمعنى من اتصف بذلك فأعماله منتجة وأفعاله محكمة وينظر بنور الله ، ومن كان هذا وصفه أصاب فى منطقه .

لا يقصدها إلا واحد بعد واحد ، وكانوا يقولون « فلان عالم وفلان متكلم ، وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر عملا » وقال أبو سليمان « المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام » وقيل « إذا كثر العلم قل الكلام ، وإذا كثر الكلام قل العلم » وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ: [١٧١] ﴿ ياأخى بلغنى أنك قعدت طبيباً تداوى المرضى ، فانظر إن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء ، وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً، فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل ﴾ وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن . وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول : سلوا حارثة بن زيد . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال : ما عندى إلا ما رويت ، فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثاً حديثاً فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابى كفاً من حصى ورماهم به وقال : تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم ! * ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تفضى إلى المشاهدة

---

(١٧١) حديث ﴿ يا أخى بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر فإن كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء ، وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً ، فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل ﴾ هكذا أورده صاحب القوت وقال : كتب سلمان من المدائن إلى أبى الدرداء ... الخ . زاد وسأله إنسان فأجابه ثم قال : رُدُّوه ، فقال : أعد علىّ ، فأعاد ، فقال متطبب والله ، فرجع فى جوابه ، ثم قال صاحب القوت : ولعمرى إنه قد جاء عن رسول الله ﷺ « من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن » .

قال مرتضى : وهذا الذى ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة سلمان فقال : « حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى مصعب بن عبد الله حدثنى مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس الإنسان عمله ، وقد بلغنى أنك جعلت طبيبا فإن كنت تبرىء فنعما لك وإن كنت متطببا فاحذر أن تقتل إنسانا فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال : متطبب والله ارجعا إلىّ ، أعيدا قصتكما » رواه جرير عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن هبيرة أن سلمان كتب إليه فذكره، ثم قال : حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا السرى بن يحيى عن مالك بن دينار أن سلمان كتب إلى أبى الدرداء « إنه بلغنى أنك أجلست طبيبا تداوى الناس فانظر أن تقتل مسلما فتجب لك النار » .

ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب ، أما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة ، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ، وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب . ولذلك قال ﷺ : [١٧٢] ﴿من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم﴾ وفي بعض الكتب السالفة : « يا بنى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ، ولا في تخوم الأرض من يصعد به ، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ؛ العلم مجعول في قلوبكم ، تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين ، وتخلقوا إلىّ بأخلاق الصدّيقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم » . وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله : « خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء » ثم تلا قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » الآية : ولولا أن إدراك قلب مَن له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ : « استفت قلبك وإن أفتوك

---

(١٧٢) حديث ﴿ من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم ﴾ رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه ، قال العراقي : وأورده صاحب القوت بلا سند إلا أنه قال : « بما يعلم » بدل « بما علم » وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أحمد بن أبي الحوارى بسنده إليه قال : التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحوارى بمكة فقال أحمد : حدّثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الداراني ، فقال : يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب ، فقال ابن حنبل : سبحان الله وطولها بلا عجب ، فقال ابن أبي الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول : إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علماً ، قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثاً وجلس ثلاثاً وقال : ماسمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إلىّ ، ثم قال أحمد بن حنبل : حدثني يزيد بن هرون عن حميد الطويل عن أنس رفعه « من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم » ، ثم قال لابن أبي الحوارى : صدقت يا أحمد وصدق شيخك ، قال أبو نعيم : ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم فظن بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن شواهده ما أخرج أبو نعيم من رواية نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على ، رفعه « من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى » .

وأفتوك وأفتوك ، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى : [١٧٣] ﴿ لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . . ﴾ الحديث . فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه ، وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه ، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل . وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل : « القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق ، والعلم دين

---

(١٧٣) حديث ﴿ لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً . . . الحديث ﴾ أى إلى آخر الحديث وهو قوله « يداً ومؤيداً » أخرجه أبو نعيم بهذا اللفظ فى الحلية من حديث أنس وإسناده ضعيف وأخرجه البخارى فى صحيحه وأبو نعيم فى أول الحلية وهو أول أحاديث الكتاب ، كلاهما من رواية محمد بن عثمان بن كرامة : حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة رفعه « إن الله عز وجل قال : من عادى لى ولياً فقد آذننى بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » قال الحافظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة خالد بن مخلد الرازى عن ابن كرامة : هذا حديث غريب جداً ، لولا هيبة الجامع الصحيح لعدّ من منكرات خالد بن مخلد وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما تفرد به شريك ، وليس بالحافظ : اهـ . وروى البيهقى فى الزهد من رواية ابن زجر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رفعه قال : « إن الله عز وجل يقول : ما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وقلبه الذى يعقل به فإذا دعانى أجبته وإذا سألنى أعطيته وإذا استنصرنى نصرته ، وأحب ما يعبد به عبدى النصح لى » وفى الباب عن عائشة وميمونة رضى الله عنهما ، لحديث عائشة عند البزار وحديث ميمونة عند أبى يعلى .

يدان به ، تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر » ثم تنفس الصعداء وقال : « هاه إن ههنا علماً جماً لو وجدت له حملة ، بل أجد طالباً غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقاداً لأهل الحق ، لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة ، لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقاداً لهواه أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور ، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته ، وكم وأين أولئك ؟ هم الأقلون عدداً الأعظمون قدراً ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه ، وأمناؤه وعماله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه ، ثم بكى وقال : « واشوقاه إلى رؤيتهم » فهذا الذى ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة ، وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين * قال رسول الله ﷺ : [١٧٤] ﴿اليقين الإيمان كله﴾ فلا بد من تعلم علم اليقين

---

(١٧٤) حديث ﴿ اليقين الإيمان كله ﴾ قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وأبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من رواية يعقوب بن حميد بن كاسب قال : أخبرنا محمد بن خالد المخزومى عن سفيان بن سعيد عن زبيد عن أبى وائل عن عبد الله عن النبى ﷺ وزادوا فى أوله « الصبر نصف الإيمان » هكذا قال أبو نعيم والبيهقى فى إسناده ، وقال اللالكائى عن زبيد عن مرة عن عبد الله ، قال البيهقى : تفرد به يعقوب بن حميد عن محمد بن خالد ، وقد أعله ابن الجوزى فى العلل المتناهية بهما فقال : محمد بن خالد مجروح ويعقوب بن حميد ليس بشىء ، قال العراقى : أما محمد بن خالد المخزومى فلم أجد أحداً من الأئمة جرحه ، وأما يعقوب فأورده ابن حبان فى الثقات ، ثم قال : والصحيح المعروف أن هذا من قول ابن مسعود ، وهكذا ذكره البخارى فى صحيحه تعليقاً موقوفاً عليه ، ووصله الطبرانى والبيهقى فى الزهد من رواية الأعمش عن أبى ظبيان عن علقمة عن عبد الله قوله : قال البيهقى هذا هو الصحيح موقوف ا هـ . قال : المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين معرفة أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل ، فكان الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار .

أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه * ولذلك قال ﷺ : [١٧٥] ﴿ تعلموا اليقين ﴾ ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل * وقال ﷺ : [١٧٦] ﴿ لما قيل له : رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين ؟ فقال ﷺ : مامن آدمى إلا وله ذنوب ، ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ﴾ . ولذلك قال ﷺ : [١٧٧] ﴿ إن من أقل ما أوتيتم : اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار ﴾

---

(١٧٥) حديث ﴿ تعلموا اليقين ﴾ قال العراق : الحديث رواه أبو نعيم عن ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل وهو مروى من قول خالد بن معدان ورويناه فى كتاب اليقين لابن أبى الدنيا من رواية بقية عن العباس بن الأخنس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال « تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإنى أتعلمه » والعباس بن الأخنس مجهول قاله الذهبى فى الميزان .

(١٧٦) حديث ﴿ رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد ... ﴾ قال العراق : رواه الحكيم الترمذى فى الأصل السادس بعد المائتين من نوادر الأصول ، قال : حدثنا مهدى هو ابن عباس حدثنا الحسين هو ابن حازم عن منصور عن الرازى عن أنس قال « قيل يارسول الله : رجل يكون قليل العمل كثير الذنوب ؟ قال : كل بنى آدم خطاء ، فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فتمحى ذنوبه ويبقى فضل يدخل به الجنة » وإسناده مجهول اهـ .

قال مرتضى : وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذى والدارمى والحاكم والبيهقى كلهم عن أنس رفعه : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » وهذا يصلح أن يكون شاهداً لبعض الحديث المذكور ، وفى القوت « جاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال : أخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك فى أموره ، فقال معاذ : ليحبطن شكه أعماله ، قال : فأخبرنى عن رجل قليل العمل إلا أنه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب ، فسكت معاذ وقال الرجل : والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها ، قال : فأخذ معاذ بيده وقام قائما ، ثم قال : ما رأيت الذى هو أفقه من هذا » اهـ : فهذا وإن كان موقوفاً على معاذ شاهد جيد بمعناه لما أورده المصنف .

(١٧٧) حديث ﴿ إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلىّ من أن يوافينى كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم =

وفى وصية لقمان لابنه : « يا بنى لا يستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه » وقال يحيى بن معاذ : « إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً ، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين » وأراد به اليقين ، وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين — فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات (فإن قلت) فما معنى اليقين وما معنى قوته ، وضعفه ؟ فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه ، فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين : أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك ، إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات : الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا ، وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفى بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا ، الثانى أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ، ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول ، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ، ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً ، الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز ، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين ، وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها إذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع ، حتى أن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله ، الرابع المعرفة الحقيقية

= أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ « ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ﴾ اهـ . قال العراقى : وروى ابن عبد البر فى كتاب العلم من حديث معاذ رفعه قال : « ما أنزل شيء أقل من اليقين ، ولا قسم شيء أقل من الحلم » ولا يصح إسناده ، وقد روى نحوه مختصرا من قول بعض الأشياخ ، رويناه فى كتاب اليقين لابن أبى الدنيا قال : أخبرنا إبراهيم بن سعيد أخبرنا خالد بن خراش أخبرنا بشير بن بكر عن أبى بكر بن أبى مريم عن الأشياخ قال : « ما نوفل فى الأرض شيء أقل من اليقين ، ولا قسم بين الناس أقل من الحلم » هذا حديث مقطوع ضعيف اهـ .

الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصوّر الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل فى الوجود شىء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس ، وليس العلم بوجود شىء قديم أزلى ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضرورى فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ، ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه ، وذلك هو الاعتقاد ، وهو حال جميع العوام ، ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة ، فإن كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال ، فالمؤدى إلى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود شىء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة ، أو بعضها قديمة وبعضها حادثة ، فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم ، وإن كان الكل حادثاً فهو محال إذ يؤدى إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول ، وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء ، سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب ، أو بتواتر العلم بوجود مكة ، أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل ، أو بدليل كما ذكرنا ، فشرط إطلاق هذا الإسم عندهم عدم الشك ، فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء ، وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت فى نفى الشك . الاصطلاح الثانى : اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال : فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ، ويقال : فلان قوى اليقين فى إتيان الرزق ، مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه ، فمهما مالت النفس إلى التصديق بشىء ، وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقيناً ، ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ، ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ، ولم يغادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ، ولذلك قال بعضهم : « ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت » ، وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوّة ، ونحن إنما أردنا بقولنا : إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نفى الشك ثم تسليط

اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها ، فإذا فهمتَ هذا علمتَ أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوّة والضعف ، والكثرة والقلة ، والخفاء والجلاء . فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى ، وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ، ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى ، وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى ، وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعنى الاصطلاح الثانى ، وفيما انتفى الشك أيضاً عنه لا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلاً ، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام ، مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعاً فمستندهما جميعاً التواتر ، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك ، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال ،وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين ، كما يقال فلان أكثر علماً من فلان ، أى معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه * فإن قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فإنى مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه * فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره وهو من مجارى اليقين فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى إحصائها ، ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فإن غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزّل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع ، فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثانى وهو الأشرف ، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب ، وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقناً بريئاً من الغضب والحقد والحسد وسوء

الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيساق إليه ، ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ، ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة ، ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ، ونسبة المعاصى إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعى إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين ، أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ ، ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصدّيقون وثمرته أن يكون الإنسان فى خلوته متأدباً فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال مطرقاً متأدباً فى جميع أعماله متماسكا محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة ، وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثـــل الشجرة ، وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن .

ومنها أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكراً لله تعالى ، وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته ، وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع ، وقد قيل ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة

والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء ، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التسترى رحمه الله : عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية ، وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين ، وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون ، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم ، وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة ؛ فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه ، وظهر خشوعه ، وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، وليتواضع لكم من يتعلم منكم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ، ويقال ما آتى الله عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً ، فذلك هو العلم النافع ، وفى الأثر « من آتاه الله علماً وزهداً وتواضعاً وحسن خلق ، فهو إمام المتقين * [١٧٨] وفى الخبر : ﴿ إن من خيار أمتى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ، ويبكون سراً من خوف عذابه ، أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء ، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ﴾ وقال الحسن : الحلم وزير العلم والرفق أبوه ، والتواضع سرباله . وقال بشر بن الحرث : من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت فى السماء والأرض ، ويروى فى الإسرائيليات أن حكيماً صنف ثلثمائة وستين مصنفاً فى الحكمة حتى وصف بالحكيم ؛ فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقاً ولم تردنى من ذلك

---

(١٧٨) حديث ﴿ وفى الخبر إن من خيار أمتى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله عز وجل ويبكون سراً من خوف عذاب الله أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة ﴾ لأنه لاراحة للمؤمن دون لقائه ربه والدنيا سجنه حقا ، فلذا يجد المؤمن بدنه فى الدنيا وروحه فى السماء ، وفى الحديث المرفوع : إذا نام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة فيقول : انظروا إلى عبدى بدنه فى الأرض وروحه عندى ، رواه تمام وغيره وهذا معنى قول بعض السلف القلوب جوّالة فقلب حول الحشر وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش ، قال ابن القيم : ولا يبادر إلى إنكار كون البدن فى الدنيا ، والروح فى الملإ الأعلى ، فللروح شأن وللبدن شأن ، والنبى ﷺ كان بين أظهر أصحابه وهو عند ربه يطعمه ويسقيه ، فبدنه بينهم وروحه وقلبه عند ربه ، وقال أبو الدرداء : إذا نام العبد عرج بروحه إلى تحت العرش ، فإن كان طاهراً أذن له بالسجود فإن لم يكن طاهراً لم يؤذن له بالسجود فهذه والله أعلم هى العلة التى أمر الجنب لأجلها أن يتوضأ إذا أراد النوم ، وهذا الصعود إنما كان لتجرد الروح عن البدن بالنوم ، فإذا تجردت بسبب آخر حصل لها من الترقى والصعود بحسب ذلك التجرد ، وقد يقوى الحب بالمحب حتى لا يشاهد منه بين الناس إلا جسمه ، وروحه فى موضع آخر عند محبوبه .

بشيء ، وإنى لا أقبل من نفاقك شيئاً فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاى * وحكى الأوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى . * [١٧٩] وروى أنه ﴿ قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى، قيل فأى الأصحاب خير ؟ قال ﷺ صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك ، قيل فأى الأصحاب شر ؟ قال ﷺ صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك،قيل فأى الناس أعلم؟ قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال ﷺ الذين إذا رؤوا ذُكر الله قيل فأى الناس شر ؟ قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا ﴾ * وقال ﷺ [١٨٠] ﴿ إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً فى الدنيا ، وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم

---

(١٧٩) حديث ﴿ قيل يا رسول الله : أى الأعمال أفضل؟ قال : اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى ... ﴾ قال العراقى : لم أجده هكذا مجموعاً بطوله وهو متلفق بعضه من أحاديث ، فروينا فى كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية محمد بن عدى عن يونس عن الحسن قال : سئل النبى ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله . وروى ذلك أيضاً من حديث عبد الله بن بسر المازنى مرفوعاً ، أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس وإسناده جيد ، وروى أيضاً من حديث معاذ بن جبل ، وذكر المصنف فى « آداب الصحبة » حديثاً متنه إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له أخاً صالحاً إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وسيأتى ذلك فى بابه ، وروى الثعلبى بإسناده عن الشعبى إنما العالم من يخشى الله ، وروى البزار من رواية جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رجل يا رسول الله مَن أولياء الله؟ قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل ، وروى البزار أيضاً من حديث معاذ قال : قلت يا رسول الله أى الناس شر ؟ فقال : اللهم غفرا سل عن الخير ولا تسأل عن الشر : شرار الناس شرار العلماء ، وإسناده ضعيف ، وروى الدارمى فى مسنده من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ، وقد تقدم فى الباب الثالث .

قال مرتضى : هذا الحديث بطوله أورده صاحب القوت وإياه تبع المصنف ولفظه : وقد روينا حديثاً حسنا مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال : قيل يا رسول الله ، فساقه وفيه « وصاحب إن سكت » بدل « نسيت » والباقى سواء .

(١٨٠) حديث ﴿ إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحاً فى الآخرة أطولهم حزناً فى الدنيا ﴾ أورده =

حزنا فى الدنيا﴾ وقال على رضى الله عنه فى خطبة له : «ذمتى رهينة وأنا به زعيم : إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علماً أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأراذلهم عالماً ولم يعش فى العلم يوما سالماً تكثر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلماً لتخليص ما التبس على غيره فإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركّاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا» وقال على رضى الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب، وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة، وقيل إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر والتواضع وحسن الخلق، وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم: العقل والأدب وحسن الفهم، وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة . وقال ابن عمر رضى الله عنهما [١٨١] ﴿لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن﴾ وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها

= صاحب القوت عن عامر بن عبد الله القيرى وكان من أقران الحسن سمعت مشيختنا فيما يروون عن نبينا ﷺ أنه كان يقول: إن أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم فكرة فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الجنة ، والباقى سواء. قال العراقى : لم أجد له أصلا بجملته فى الأحاديث المرفوعة ، وللأول الجملة شاهد فى صحيح ابن حبان من حديث أبى هريرة رفعه فيما يروى عن ربه جل وعلا : «وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين إذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة ، وإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة » وللجملة الأخيرة من رواية مالك بن دينار قال : رأيت الحسن فى منامى مشرق اللون ، وفى آخره « أطول الناس حزناً فى الدنيا أطولهم فرحاً فى الآخرة » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الهم والحزن .

(١٨١) حديث وقال ابن عمر رضى الله عنهما ﴿ عشنا برهة أى زمانا أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن... ﴾ هكذا أورده صاحب القوت ولفظه : وروينا عن ابن عمر وغيره لقد عشنا برهة من دهرنا ، وفيه فيتعلم بدل فيعلم وفيه بعد قوله يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن والباقى سواء ، قال العراقى : أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من رواية قاسم بن عوف الشيبانى قال : سمعت ابن عمر يقول : فساقه كسياق القوت ، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه اهـ .

وما ينبغي أن يقف عنده منها ، ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمـان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى أن يقف عنده ينثره نثر الدقل وفى خبر آخر بمثل معناه * [١٨٢] ﴿ كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبـل الإيمـان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه ، يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا ، فذلك حظهم ﴾ وفى لفظ آخر « أولئك شرار هذه الأمة » وقيل خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل : الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الخشية فمن قوله تعالى : « إنمـا يخشى الله من عباده العلماء » ، وأما الخشوع فمن قوله تعالى : « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا » وأما التواضع فمن قوله تعالى : « واخفض جناحك للمؤمنين » وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » وأما الزهد فمن قوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » * [١٨٣] ﴿ ولمـا تلا رسول الله ﷺ قوله تعـالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » فقيل له : ما هذا

= قال مرتضى : وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ ذكر أن فى أمته قوماً يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل ، يتأولونه على غير تأويله لا يجاوز تراقيهم تسبق قراءتهم إيمانهم ، والدقل محركة أردأ التمر ، وقال السرقسطى : هو تمر الروم .

(١٨٢) حديث ﴿ كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الإيمان قبل القرآن ﴾ هكذا أورده صاحب القوت بعد إيراده حديث جنـــدب البجلى وقال العراقى : روى ذلك من حديث جندب بن عبد الله البجلى ، رواه ابن ماجه مختصراً مقتصراً على القدر المرفوع منه من رواية أبى عمران الجونى عن جندب قال : كنا مع النبى ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا وإسناده صحيح ، زاد الطبرانى فيه : وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان وهو صحيح أيضاً ، وروى مسلم وابن ماجه من رواية عبد الله بن الصامت عن أبى ذر ورافع بن عمرو الغفارى مرفوعاً : إن بعدى من أمتى يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقة ، وروى البيهقى فى سننه فى أبواب الإمامة من حديث حذيفة نحو حديث جندب اهـ . وأورد صاحب القوت حديث جندب المتقدم ، ثم قال وعن ابن مسعود قال : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه تثقيف القناة ليسوا بخياركم ، وفى لفظ آخر «يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» وهذا قد تقدم للمصنف .

(١٨٣) ﴿ ولمـا تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ قال العراقى : رواه الحاكم فى المستدرك من رواية عدى بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى =

الشرح فقال إن النور إذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح، قيل فهل لذلك من علامة؟ قال ﷺ نعم، التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ﴾ .
ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقى من الشر، ولذلك قيل :

عرفت الشـرَّ لا للشر لكن لتوقيـه
ومن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبداً وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثاراً للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه، وشرهاً فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققاً عالماً

= عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال : تلا رسول الله ﷺ «فمن يرد الله . . . الآية فقال رسول الله ﷺ : إن النور إذا دخل الصدر انفسح فقيل : يارسول الله هل لذلك من علم يعرف ؟ قال : نعم، فذكره قال وقد سكت عليه الحاكم وهو ضعيف، ورواه البيهقى فى الزهد من رواية عمرو ابن مرة عن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود، ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق قال : أخبرنا عبد الرحمن المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر رجل من بنى هاشم وليس بمحمد بن على قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر مثل رواية الحاكم إلا أنه قال : قيل : هل لذلك من آية يعرف بها ؟ وقال فى آخره قبل الموت، وهذا مرسل ضعيف وهو الصواب فى رواية هذا الحديث وما قبله ضعيف كما بينه الدارقطنى فى العلل وسئل عنه فقال : يرويه عمرو بن مرة واختلف فيه عنه فرواه مالك ابن مغول عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قاله عبد الله بن محمد بن المغيرة تفرد بذلك ورواه زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قاله أبو عبد الرحيم عن زيد، وخالفه يزيد بن سنان فرواه عن زيد عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله وكلها وهم والصواب عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبى ﷺ كذلك قاله الثورى قال وعبد الله بن المسور هذا متروك .

بالدقائق وجزاؤه من الله أن لاينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلساً متحسراً على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هدياً من الصحابة رضى الله عنهم اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة ابن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته ، قال خصنى به رسول الله ﷺ : [١٨٤] ﴿ كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ﴾ وعلمت أن الخير لا يسبقنى علمه وقال مرة: فعلمت أن من لايعرف الشر لا يعرف الخير وفى لفظ آخر كانوا يقولون يارسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآنى أسأله عن آفات الأعمال خصنى بهذا العلم وكان حذيفة رضى الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ولا يخبر بأسمائهم ، وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق ، فبرأه من ذلك ، وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها ، وإلا ترك ، وكان يسمَّى صاحب السر ، فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى ، وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً ، وإذا تعرض العالم لشىء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق فى دقائق المجادلات ، ولقد صدق من قال :

---

(١٨٤) حديث ﴿ كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ﴾ رواه البخارى ومسلم هكذا مختصراً وفى آخره زيادة من رواية أبى إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة ابن اليمان يقول : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت : يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال : نعم قلت : فهل بعد ذلك الشر من خير قال : نعم وفيه دخن » الحديث بطوله ، قاله العراقى . قال مرتضى : أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر ، حدثنى بشر بن عبد الله الحضرمى أنه سمع أبا إدريس الخولانى يقول : سمعت حذيفة يقول : فساقه بطوله « وعلمت أن الخير لا يسبقنى » هكذا هو فى القوت ، وأخرج =

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مرّ والوقوف عليه صعب، وإدراكه شديد، وطريقه مستوعر، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة، فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه؛ فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق، ولذلك قيل إنه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير، ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم، وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى، وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب * ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وإنما المقلَّد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله، وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث أن فعلهم

= أبو نعيم فى الحلية من رواية أبى داود الطيالسى قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنى حميد بن هلال حدثنا نصر بن عاصم الليثى قال: أتيت اليشكرى فى رهط من بنى ليث فقال: قدمت الكوفة فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل فقمت عليهم، فقلت: من هذا؟ فقيل حذيفة بن اليمان فدنوت منه فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر فعرفت أن الخير لم يسبقنى، ثم ساق الحديث بطوله قال أبو نعيم ورواه قتادة عن نصر بن عاصم وسمى اليشكرى خالدا اهـ. وقال العراقى ورواه أبو داود من رواية سبيع بن خالد قال: أتيت الكوفة زمن فتحت تستر الحديث، وفيه بعد ذكر الشر الأول قلت: فما العصمة من ذلك فساقه إلى آخره، وسمى التابعى فى رواية أخرى خالد بن خالد اليشكرى، وروى مسلم من رواية أبى سلام قال: قال حذيفة قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: تكون بعدى أئمة، الحديث بطوله، وروى البخارى من رواية قيس بن أبى حازم عن حذيفة قال: تعلم أصحابى الخير وتعلمت الشر اهـ. وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس ألا تسألون فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألونى عن ميت الأحياء، فساق الحديث بطوله.

يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ ، ثم إذا قلد صاحب الشرع ﷺ فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصاً على فهم أسراره ؛ فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع ﷺ فعله ، وفعله لا بد وأن يكون لسرّ فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ، ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغى أن يقلد غيره ،

• [١٨٥] ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ ﴾ وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعاً ، وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله ﷺ واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم فى الأكثر عن الخطأ ، وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضىّ فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين ، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ، ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف ، وقالوا كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله ﷺ وخافوا اتكال الناس على المصاحف ، وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من

---

(١٨٥) حديث ﴿ ما من أحد إلا ويؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ ﴾ أورده صاحب القوت بلفظ: « ليس أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك » والباقى سواء وقال العراقى : رواه الطبرانى فى الكبير من رواية مالك بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رفعه فساقه بلفظ القوت وإسناده حسن .

المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك لجمع القرآن في مصحف واحد . وكان أحمد ابن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ، ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم * وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً مأثورة نبوية * ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري * ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالماً والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطوياً وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم ؛ كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام ، هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنسبته إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت * ومنها أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثرهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن * واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلاناً . فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ فإن الناس رأوا رأياً فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن: محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف

يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفي آثارهم متعرض لأجر عظيم ، فكذلك كونوا . [١٨٦] وقد روى عن ابن مسعود موقوفاً ومسنداً أنه قال ﴿ إنما هما اثنتان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها وإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم

---

(١٨٦) حديث ﴿ إنما هما اثنان : الكلام والهدى ﴾ هكذا أورده صاحب القوت ، وقال العراقي : رواه ابن ماجه من رواية أبي إسحق السبيعي عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : فذكره إلا أنه قال : وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وقال : ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت وزاد ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره الحديث وإسناده جيد ، وزاد الطبراني بعد قوله : وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار اهـ . والحديث طويل وفي آخره بعد قوله من وعظ بغيره ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل ألا لا يعد الرجل صبيه فلا يفي له ، وأن الكذب يهدي إلى الفجور ، وأن الفجور يهدي إلى النار ، وأن الصدق يهدي إلى البر ، وأن البر يهدي إلى الجنة وأنه يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا هكذا عند ابن ماجه بطوله ، وأخرجه اللالكائي في السنة من هذا الطريق إلى قوله « فتقسو قلوبكم » ، وفيه أن كل محدثة بلا واو وفيه ألا لا يطول من غير نون ثقيلة ، وأخرج أيضا من رواية الأعمش عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال : قال عبد الله : إن أحسن الهدى هدى محمد ، وإن أحسن الكلام كلام الله ، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار ، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية عمرو ابن ثابت عن عبد الله بن عابس قال : قال عبد الله بن مسعود : إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وخير الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها ، الحديث بطوله ، قال العراقي : وفي الباب عن جابر بن عبد الله رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه .. الحديث وفيه ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة .

قال مرتضى وأخرج أبو داود والترمذي واللالكائي وأبو بكر الآجري وعياض في الشفاء من طريقه كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فساقوا الحديث وفيه =

ألا كل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآت . [١٨٧] وفى خطبة رسول الله ﷺ ﴿ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة ﴾ وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : حسن الهدى فى آخر

= وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية سفيان بن عيينة عن هلال الوزان حدثنا عبد الله بن حكيم وكان قد أدرك الجاهلية قال : أرسل إليه الحجاج يدعوه فلما أتاه قال : كيف كان عمر يقول ؟ قال : كان عمر يقول : إن أصدق القيل قيل الله ألا وإن أحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة ضلالة ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ، ولم يقم الصغير على الكبير ، فإذا قام الصغير على الكبير فقد . وأخرج أيضاً من رواية واصل الأحدب عن عاتكة بنت جزء قالت : أتينا ابن مسعود فسألناه عن الدجال قال : أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم فأيما مرية ورجيل أدرك ذلك الزمان فالسمت الأول السمت الأول فأنا اليوم على السنة . وأخرج أيضاً من حديث معاذ ستكون فتنة الحديث ، وفيه : فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة .

(١٨٧) حديث ﴿ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ﴾ هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وفى خطبة النبى ﷺ التى رويناها وفيه بعد قوله وخالط أهل الفقه والحكمة زيادة ، وجانب أهل الذل والمعصية ، وقال العراقى فيه عن الحسين بن على وأبى هريرة وركب المصرى ، أما حديث الحسين بن على فرواه أبو نعيم فى الحلية من رواية القاسم بن محمد بن جعفر عن آبائه من أهل البيت إلى الحسين بن على قال : رأيت رسول الله ﷺ خطيباً على أصحابه فذكره بزيادة فى أوله وهى كان الموت فى هذه الدنيا على غيرنا كتب الحديث ، وفيه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة ، وأما حديث أبى هريرة فرواه ابن لال فى مكارم الأخلاق من رواية عصمة بن محمد الخزرجى عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة رفعه فساقه بمثل حديث الحسين بن على ، وأما حديث ركب المصرى فرواه الطبرانى والبيهقى من رواية اسمعيل بن عياش عن عنبسة بن سعيد الكلاعى عن نصيح العبسى عن ركب المصرى رفعه : طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالاً جمعه فى غير معصية ورحم المساكين وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل فى نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ، وأما حديث أنس فرواه البزار فى مسنده مختصراً بإسناد ضعيف ولفظه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة اهـ . =

الزمان خير من كثير من العمل ، وقال « أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور ، وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات » وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا ، وقال حذيفة رضى الله عنه : « أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى ، وأن منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وأنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق ، وكان العالم فيكم غير مستخف به » ولقد صدق فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم ، إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها ، وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ، ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة ، وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً ، وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ، ومن ذلك التلحين فى القرآن والأذان ، ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ، ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال « أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم ، وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى » وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان ، وقال مالك بن أنس رحمه الله « لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ، ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ، ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه » ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب ، فأما الحرام فكان فحشه ظاهراً ، وكان هشام بن عروة يقول « لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جواباً ، ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها » وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول : لا ينبغى لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما فى نفسه ، وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب ، وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقاً فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ، ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ، فقال : يامروان

= قال مرتضى : وحديث ركب أخرجه أيضاً البخارى فى التاريخ والبغوى فى معجم الصحابة والباوردى وابن قانع ، وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول : طوبى لمن فكر فى عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله عز وجل من غير معصية ، وجالس أهل العلم والحلم وأهل الحكمة ووسعته السنة ولم يتعدها إلى البدعة .

ما هذه البدعة ! فقال : إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم ؛ إن الناس قد كثروا ، فأردت أن يبلغهم الصوت ، فقال أبو سعيد : والله لا تأتون بخير مما أعلم أبداً والله لا صليت وراءك اليوم . وإنما أنكر ذلك عليه [١٨٨] لأن رسول الله ﷺ : ﴿ كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا ، لا على المنبر ﴾

• وفى الحديث المشهور [١٨٩] ﴿ من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد ﴾

• وفى خبر آخر : [١٩٠] ﴿ من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل : يا رسول الله وما غش أمتك ؟ قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها ﴾

---

(١٨٨) حديث ﴿ كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر ﴾ روى أبو داود من رواية شعيب بن زريق الطائفى قال : جلست إلى رجل له صحبة يقال له الحكم بن حزن الكلبى فأنشأ يحدثنا فذكر حديثا فيه فأقمنا بها أياماً شهدنا فيها الجمعة مع النبى ﷺ فقام يتوكأ على عصا أو قوس فحمد الله وأثنى عليه » وروى الطبرانى فى الصغير من رواية عبد الرحمن بن عمار بن سعد بن قرظ قال : حدثنى أبى عن جدى عن أبيه سعد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب فى العيدين خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا ، ورواه ابن ماجه بلفظ كان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا ، ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية عبد الله بن عمار ابن سعد القرظى قال : حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ فذكر حديثاً طويلا فيه « وكان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس ، وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا » وروى الطبرانى فى الكبير من رواية أبى خباب الكلبى قال : حدثنى يزيد بن البراء عن أبيه قال : كنا جلوساً ننتظر النبى ﷺ يوم أضحى إلى أن قال ثم أعطى قوسا أو عصا اتكأ عليه ، الحديث... قاله العراقى والحافظ بن حجر .

قال مرتضى : وبمثل رواية الحاكم وأبى داود أخرجه البيهقى فى السنن ، وأخرج الشافعى فى مسنده فى باب إيجاب الجمعة عن عطاء مرسلا كان إذا خطب يعتمد على عنزة أو عصا ، قال ابن القيم ولم يحفظ عنه ﷺ أنه توكأ على سيف خلافاً لبعض الجهلة .

(١٨٩) حديث ﴿ من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد ﴾ أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه من رواية سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة عن النبى ﷺ بلفظ فى أمرنا ما ليس منه وقال أبو داود : ما ليس فيه ، وفى رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد قاله العراقى .

قال مرتضى : الذى فى روايتهم فى أمرنا هذا ، وقوله : رد أى مردود ، وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده ، قال النووى : ينبغى حفظه واستعماله فى إبطال المنكرات .

(١٩٠) حديث ﴿ من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وما غش أمتك ؟ قال : أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها ﴾ هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى والسيوطى أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من رواية محمد بن المنكدر بن محمد عن أبيه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال قيل يا رسول الله : وما الغش ؟ قال : أن يبدع لهم بدعة =

* [١٩١] وقال رسول الله ﷺ ﴿ إن لله عز وجل ملكاً ينادى كل يوم : من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته ﴾ * ومثال الجانى على الدين بإبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنباً مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا * وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف * وقال غيره : الحق ثقيل مَن جاوزه ظلم ، ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى * [١٩٢] وقال ﷺ ﴿ عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى ﴾ * وقال ابن عباس رضى الله عنهما: الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها، قال الله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، وقال تعالى : « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو ، وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا إليه محسورين ، فقال ما شأنكم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا ، فقال : إنكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ، ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم ، فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم ان تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر عينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، قال فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها

= ضلالة فيعمل بها قال الدارقطنى : غريب من حديث محمد بن المنكدر عن أنس تفرد به ابن المنكدر .

(١٩١) حديث ﴿ إن لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة محمد ﷺ لم ينل شفاعته ﴾ قال العراقى : لم أقف له على أصل .

قال مرتضى : أورده هكذا صاحب القوت بلفظ وروينا عن النبى ﷺ وفيه من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعة رسول الله ، وفى بعض النسخ لم تنله شفاعته ووجدت بخط بعض المحدثين ما نصه رواه الخطيب فى أثناء حديث بسند فيه مجهول وقال الذهبى : هو خبر كذب .

(١٩٢) حديث ﴿ عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى ﴾ قال العراقى : لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على على بن أبى طالب رضى الله عنه ، رواه أبو عبيد فى غريب الحديث بلفظ خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالى ويرجع إليهم الغالى ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعا . اهـ .

=

ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا ، فإن قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولاحدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء ، قال سهل التسترى رضى الله عنه «إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة» وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى إلى قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع مالا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا» والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء لأن العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم فإن ما هو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت وإذ غلب هذا على أكثر الناس ، إلا من عصمه الله تعالى ، وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لذى الدين المحتاط العزلة والإنفراد عنهم كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف

= قال مرتضى : والمصنف أخذه من القوت ولفظه : وقال على كرم الله وجهه فساقه وأورده الجوهرى فى الصحاح فقال وفى الحديث فساقه كسياق أبى عبيد ، وقد جاء فى حديث مرفوع خير الناس هذا النمط الأوسط ، وقد ذكرته فى شرح القاموس وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية إسمعيل ابن عبد الكريم قال : حدثنى عبد الصمد سمعت وهبا يقول : إن لكل شىء طرفين ووسطا فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان ثم قال : عليكم بالأوسط من الأشياء اهـ . والنمط الطريقة يقال إلزم هذا النمط أى هذا الطريق والغالى إن كان بالغين المعجمة ، فمن الغلو وهو التجاوز والإفراط ، وإن كان بالعين المهملة فمن العلو بمعنى ارتفاع الشأن ، والتالى من تلاه وقال أبو عبيد : معنى قول على أنه الغلو والتقصير فى الدين إذا تبعه .

ابن أسباط إلى حذيفة المرعشى « ما ظنك بمن بقى لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً أو كانت مذاكرته معصية ، وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر ، وإن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيده ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء ، وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشر فيكون هو معيناً له على ذلك ورداً وظهيراً ومهيئاً لأسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ، ولذلك لا يرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق . فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور ، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور .

الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

﴿ بيان شرف العقل ﴾

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف فى إظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة ، أو كيف يستراب فيه ، والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدناً وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال ﷺ : [١٩٣] ﴿ الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته ﴾ وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكثرة شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله ، ولذلك ترى الأتراك

---

(١٩٣) حديث ﴿ الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته ﴾ قال السخاوى فى المقاصد جزم شيخنا وغيره بأنه موضوع وإنما هو من كلام بعض السلف ، وربما أورد بلفظ الشيخ فى جماعته كالنبى فى قومه يتعلمون من علمه ، ويتأدبون من آدابه وكله باطل اهـ . وقال العراقى وسئل عنه الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى جملة أحاديث ، فأجاب بأنه لا أصل له ، ثم قال العراقى وقد روى من حديث ابن عمر وأبى رافع ، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى تاريخ الضعفاء من رواية عبد الله بن عمر =

والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله ﷺ فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة ، وإن كان باطناً في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة ، وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه ، وقد سماه الله نوراً في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة » وسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً وحياة ، فقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » وقال سبحانه : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » وقال ﷺ : [١٩٤] «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم

= ابن غانم عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال فذكره أورده في ترجمة ابن غانم المذكور قاضي أفريقية وقال : روى عن مالك مالم يحدث به مالك قط لا يحل ذكر حديثه ، ولا الرواية عنه في الكتب إلا على سبيل الاعتبار ، قال العراقي : روى له أبو داود في سننه وقال أحاديثه مستقيمة ، وذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، وقال : إنه أحد الثقات الأثبات ومع ذلك فالحديث باطل ، ولعل الآفة فيه من الراوي عن ابن غانم وهو عثمان بن محمد بن خشيش القيرواني قاله الذهبي في الميزان ، وأما حديث أبي رافع فرواه ابن عساكر في معجمه والديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد ابن عبد الملك الكوفي ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم عن أبيه عن رافع بن أبي رافع عن أبيه ، قال قال رسول الله ﷺ : الشيخ في أهله كالنبي في قومه ومحمد بن عبد الملك يعرف بالقناطري كذاب وفي الميزان حديث باطل اهـ .

قال مرتضى : وحديث أبي رافع هذا أخرجه أيضاً الخليلي في مشيخته وابن النجار في تاريخه كلاهما من حديث أحمد بن يعقوب القرشي الجرجاني عن القناطري وقال ابن حبان هو موضوع وقال الزركشي ليس هو من كلام النبي ﷺ وفي اللسان قال الخليلي : هو موضوع ، وأما حديث ابن عمر فأخرجه أيضاً الشيرازي في الألقاب ، ولفظه : الشيخ في بيته كالنبي في قومه هذا حال الحديث من جهة رواته قد حكم عليه بالوضع ، ولكن معناه صحيح يؤيده قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء ، وغير ذلك .

(١٩٤) حديث « أيها الناس اعقلوا عن ربكم » قال العراقي : رويناه في كتاب العقل لداود ابن المحبر من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال فذكره إلا أنه قال : فإنهم عدوا من الخاسرين ، ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود بن المحبر وداود بن المحبر اختلف فيه ، فروى عباس الدوري عن يحيى بن معين أنه قال ما زال معروفاً بالحديث ثم تركه وصحب =

به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنىء المنزلة رث الهيئة ، وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً ، فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين ﴾ . وقال ﷺ : [١٩٥] ﴿ أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال الله عز وجل : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب ﴾ فإن قلت فهذا العقل ، إن كان عرَضاً فكيف خلق قبل الأجسام ، وإن كان جوهراً فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز ؛ فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة

= قوما من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة ، وقال أبو داود ثقة شبه الضعيف ، وقال أحمد لا يدرى ما الحديث وقال الدارقطنى متروك ، وروى عبد الغنى بن سعيد الأزدى المصرى عن الدارقطنى قال : كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة وسرقه عبد العزيز بن أبى رجاء فركبه بأسانيد أخر ، ثم سرقه سليمان بن عيسى السنجرى ، فأتى بأسانيد أخر أو كما قال وعلى ما ذكره الدارقطنى فقد سرقه عن داود عبد العزيز بن أبى رجاء فاختصره وجعل له إسنادا آخر فرواه عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه تسمى جاهلا رواه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من رواية ابن أبى رجاء المذكور ، وقال الخطيب منكر من حديث مالك ، وقال الدارقطنى عبد العزيز بن أبى رجاء متروك ، وقال الذهبى فى الميزان هذا باطل على مالك ا هـ .

قال مرتضى : داود بن المحبر بن مخرم البكراوى يكنى أبا سليمان البصرى نزيل بغداد مات سنة ست ومائتين والمحبر كمحدث روى أبوه عن هشام بن عروة وروى ابنه داود عن شعبة وهمام وجماعة وعن مقاتل بن سليمان وعنه أبو أمية والحرث ابن أبى أسامة وجماعة وأورد الذهبى فى الميزان من طريقه حديثاً فى فضل قزوين أخرجه ابن ماجه فى سننه ، ثم قال : لقد شان ابن ماجه سننه بإدخاله هذا الحديث الموضوع فيها . ا هـ . وكل من ميسرة وابن أبى رجاء وسليمان بن عيسى متروكون .

(١٩٥) حديث ﴿ أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب ﴾ قال الشيخ نجم الدين راويه رحمه الله تعالى استدل به على أن العقل متهيء لقبول الوحى والإيمان به وفى رواية وبك أعبد اذ كان هو أول من اختص من الله بالوحى والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة بإنباء الحق تعالى إذ نبأه عن معرفة نفسه ومعرفة ربه وإذا أمعنت النظر وأيدت بنور الله تحقق لك أن المعرفة بالعقل والموصوف باختصاص الوحى والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة هو روح =

. . . .

= حبيب الله ونبيه محمد ﷺ فإنه الذى قال أول ما خلق الله روحى وفى رواية نورى، فروحه جوهر نورانى ونوره هو العقل وهو عرض قائم بجوهره ومن هنا قال ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد أى لم يكن بعد روحاً ولا جسداً ومن هنا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه لأنه عرف نفسه بتعريف الله إذ قال له : ما خلقت خلقا أحب إلىّ منك ، وعرف الله أيضاً بتعريف الله نفسه إياه إذ قال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب إلىّ منك فعرف أنه الإله الذى من صفاته العزة والجلال والخالقية والمحبة وهو المعروف لكل عارف وله القدرة والحكم على الأخذ والعطاء والثواب والعقاب وهو المستحق للعبادة وقد جاء عن بعض الكبراء من الأئمة أن أول المخلوقات ملك كروبى يسمى العقل وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب إليه فى قوله : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ، ولما سماه قلماً قال له : أخبر بما هو كائن إلى يوم القيامة وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا ولا يبعد أن يسمى روح النبى ﷺ ملكا لغلبة صفات الملكية عليه كما يسمى جبريل عليه السلام روحا لغلبة الروحانية عليه كقوله فلان شعلة نار لحدة ذهنه ، ويسمى عقلا لوفور عقله وقلماً لكتابة المكونات ونوراً لنورانيته وقد يكون العقل فى اللغة بمعنى العاقل فعلى هذا التقدير والتأويل يكون روح النبى ﷺ هو المخلوق الأول ولكنه بهذه الاعتبارات ملك وعقل ونور وقلم ، والقلم قريب المعنى من العقل قال الله تعالى « علم بالقلم » جاء فى التفسير عن بعضهم أى بالعقل لأن الأشياء تعلم بالعقل ، وفى قوله أقبل . . الخ ، إشارة إلى أن للعقل إقبالا وإدبارا فورث إقباله المقبلون وهم السابقون المقربون من الأنبياء والأولياء ، وهم أصحاب الميمنة وهم أهل الجنة وورث إدباره المدبرون وهم أصحاب المشأمة وهم أهل النار يدل عليه قوله تعالى « وكنتم أزواجا ثلاثة » الآية والله أعلم ا هـ . كلامه سقته بتمامه لارتباط بعضه ببعض ، ولما فيه من الفوائد وأما الكلام على تخريج الحديث فقال العراقى : روى من حديث أبى أمامة وعائشة وأبى هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة ، فأما حديث أبى أمامة فرواه الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى كتاب فضائل الأعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشى حدثنا عمر بن أبى صالح العتكى عن أبى غالب عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله العقل » الحديث ولم يقل « وجلالى » وقال : أعجب إلىّ منك وقال : وبك الثواب وبك العقاب ، وعمر ابن أبى صالح ذكره العقيلى فى الضعفاء ، وأورد له هذا الحديث ، وقال الذهبى فى الميزان لا يعرف قال : ثم ان الراوى عنه من المنكرات قال والخبر باطل ا هـ . قلت ونص العقيلى فى الضعفاء : هذا حديث منكر عمر وسعيد الراوى عنه مجهولان جميعا بالنقل ولا يتابع على حديثه ولا يثبت ، ثم قال العراقى : وأما حديث عائشة فرواه أبو نعيم فى الحلية قال : أخبرنا أبو بكر عبد الله بن يحيى بن معاوية الطلحى بإفادة الدارقطنى عن سهل بن المرزبان بن محمد التميمى عن عبد الله بن الزبير الحميدى عن ابن عيينة عن منصور عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : =

وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة • وعن أنس رضى الله عنه قال [١٩٦] : ﴿أثنى قوم على رجل عند النبى ﷺ حتى بالغوا فقال ﷺ كيف عقل الرجل ؟ فقالوا نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال ﷺ : إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم﴾ • وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٩٧] ﴿ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله﴾ • وقال ﷺ : [١٩٨] ﴿إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم

= أول ماخلق الله العقل فذكر الحديث . هكذا أورده فى ترجمة سفيان بن عيينة ولم أجد فى إسناده أحداً مذكوراً بالضعف ، ولا شك أن هذا مركب على هذا الإسناد ولا أدرى من وقع ذلك والحديث منكر اهـ .

قال مرتضى : ولفظ حديث عائشة على مافى الحلية قالت عائشة حدثنى رسول الله ﷺ أن أول ماخلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال ما خلقت شيئاً أحسن إلىّ منك .

(١٩٦) حديث ﴿أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا فقال كيف عقل الرجل...﴾ قال العراقى : سلام هو ابن أبى الصهباء ضعفه ابن معين وقال البخارى منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وأما أحمد فقال إنه حسن الحديث ورواه الحكيم الترمذى فى نوادره مختصراً قال حدثنا مهدى حدثنا الحسين عن عبد ربه عن موسى بن أبان عن أنس بن مالك رفعه : إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم، وفى إسناده جهالة اهـ .

(١٩٧) حديث ﴿ما اكتسب رجل مثل فضل عقل ...﴾ قال العراقى : ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود بن المحبر اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه البيهقى عن عمر ولفظه ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عنه أيضاً ولفظه ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله .

(١٩٨) حديث ﴿إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم إيمانه وأطاع ربه وعصا عدوه إبليس﴾ ولفظ داود يعنى ابليس قال العراقى : ومقاتل بن سليمان المفسر ليس بشىء قاله يحيى بن معين وقال الجوزجانى كان دجالا جسوراً وقال البخارى سكتوا عنه وقال النسائى وابن حبان كان يكذب وقال ابن عيينة سمعت مقاتلا يقول: إن لم يخرج الدجال فى سنة خمسين ومائة فاعلموا أنى كذاب فيقال له قد علمنا ذلك وأول الحديث صحيح رواه أبو داود من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن عائشة دون قوله ولا يتم إلخ وإسناده صحيح اهـ . =

عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس ﴾ * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٩٩] ﴿ لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ * وعن عمر رضى الله عنه [٢٠٠] ﴿ أنه قال لتميم الدارى ما السؤدد فيكم ؟ قال العقل : قال صدقت ، سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد فقال العقل ﴾ * وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ : [٢٠١] ﴿ فقال يا أيها الناس إن لكل شىء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة

= قال مرتضى : وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة بلفظ إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر وفيه : عفير بن معدان وهو ضعيف ورواه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال هو على شرطهما وأقره الذهبى فى التلخيص .

(١٩٩) حديث ﴿ لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه عز وجل أما سمعتم قول الفاجر ولو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ قال البيضاوى لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتماداً على مالاح من صدقهم بالمعجزات أو نعقل فنفكر فى حكمه ومعانيه فكر المستبصرين ماكنا فى عداد أصحاب السعير ومن جملتهم قال العراقى : ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود . اهـ .

(٢٠٠) حديث ﴿ عن عمر رضى الله عنه أنه قال لتميم الدارى ما السؤدد فيكم ؟ قال العقل ﴾ ولفظ داود سألت جبريل عن السؤدد فى الناس قال العراقى : ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود ورواه أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب عن الحرث .

(٢٠١) حديث « وقال داود بن المحبر أيضاً فى كتابه المذكور حدثنا غياث بن إبراهيم عن الربيع بن لوط الأنصارى عن أبيه عن جده عن البراء بن عازب بن الحرث بن عدى الأوسى صحابى ابن صحابى نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين قال ﴿ كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ ﴾ ولفظ داود كثرت المسائل على رسول الله ﷺ ذات يوم فقال يا أيها الناس إن لكل شىء مطية وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا » وعند العراقى أحسنهم وأفضلهم بضمير الغائب فى الموضعين ولفظ داود إن لكل شىء سبيل مطيه وثيقة وحجة واضحة ، وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة أفضلهم عقلا ، قال العراقى ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود وغياث بن إبراهيم النخعى أحد الوضاعين .

ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا • وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : [٢٠٢] ﴿ لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون : فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فلا علم لكم به قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله فقال ﷺ إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل ، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ﴾ • وعن البراء بن عازب أنه ﷺ قال : [٢٠٣] ﴿ جدّ الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا ﴾ • وعن عائشة رضى الله عنها [٢٠٤] قالت : ﴿ قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ قال بالعقل ، قلت وفى الآخرة ؟ قال : بالعقل قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ فقال ﷺ : ياعائشة

---

(٢٠٢) حديث ﴿ لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان ، وفلان أبلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبى ﷺ : أما هذا فلا علم لكم به ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى ، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ، ولفظ داود على قدر حسن نياتهم ، قال العراقى : ولعله سقط منه ذكر طاوس وإلا فعبد الله بن طاوس ، إنما روى عن التابعين .

(٢٠٣) حديث ﴿ جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه بالعقل ، وجد المؤمنون من بنى آدم ﴾ زاد داود هنا (واجتهدوا فى طاعة ربهم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا) قال العراقى : ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود وهكذا غير داود عما حدث به ميسرة ابن عبد ربه لجهله داود عن البراء بن عازب وإنما هو أبو عازب رجل آخر ذكر فى الصحابة هكذا رواه أبو القاسم البغوى فى معجم الصحابة قال حدثنى محمد بن على الجوزجانى حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد حدثنا ميسرة بن عبد ربه وحسين بن المروزى البغدادى ماعلمنا فيه جرحا وقد أتاه أبو حاتم الرازى يسمع منه تفسير شيبان فلم يتفق فهو أولى من داود بن المحبر والله أعلم ا هـ .

قال مرتضى : وقد تقدم شىء من حال ميسرة وهو ميسرة بن عبد ربه الفارسى ثم البصرى التراس الأكال فى الميزان قال ابن حبان كان يروى الموضوعات عن الاثبات وهو واضع أحاديث فضائل القرآن وقال أبو داود أقر بوضع الحديث وقال أبو زرعة وضع فى فضل قزوين أربعين حديثا وكان يقول احتسب فى ذلك .

(٢٠٤) حديث ﴿ عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله بم (وفى نسخة العراقى بأى شىء) يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل ، قلت وفى الآخرة ؟ قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون =

وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل ؛ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يجزون﴾ * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : [٢٠٥] قال رسول الله ﷺ : ﴿لكل شىء آلة وعدة ، وإن آلة المؤمن العقل ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ، ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ، ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ، ولكل امرىء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل ، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل﴾ * [٢٠٦] وقال ﷺ : ﴿إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل مَن نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه﴾ فأبصر وعمل به أيام حياته

= بأعمالهم ؟ ولفظ داود بقدر أعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل ، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون﴾ قال العراقى : رواه الحكيم الترمذى فى نوادره فقال : حدثنا محمد بن الحسن حدثنا أبى عن هشام بن القاسم عن ميسرة عن عباد بن كثير عن محمد بن زيد فزاد فى إسناده بين ميسرة ومحمد بن زيد عباد بن كثير ولفظه بأى شىء يتفاضل الناس ؟ قال : بالعقل فى الدنيا والآخرة .

قال مرتضى : أليس يجزى الناس بأعمالهم قال : يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا من عقل ، فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون اهـ . ثم قال وفى اللآلىء المصنوعة للحافظ السيوطى الحرث ابن أبى أسامة حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال يا أم المؤمنين الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك فقالت سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال أحسنهما عقلا فقلت يارسول الله أسألك عن عبادتهما فقال يا عائشة إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة . قال ابن الجوزى : موضوع .

(٢٠٥) حديث ﴿عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شىء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل . . .﴾ قال العراقى ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود .

(٢٠٦) حديث ﴿إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل مَن نصب فى طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه﴾ وعند داود بعد قوله عقله وتفقه وصح يقينه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح ، ولفظه داود وعمل لله بدل به قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية حبيب كاتب مالك عن محمد بن عبد السلام عن الزهرى عن سالم عن أبيه بجمله من حديث عبد الله بن عمر ، وحبيب ابن أبى حبيب كاتب مالك متفق على ضعفه وقال أبو داود : كان من أكذب الناس اهـ . =

فأفلح وأنجح ﴾ . وقال ﷺ : [٢٠٧] ﴿ أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوّعاً ﴾ .

﴿ بيان حقيقة العقل وأقسامه ﴾

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم ، والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة . وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالأول) الوصف الذى يفارق الإنسان به سائر البهائم ، وهو الذى استعدّ به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذى أراده الحرث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الاشياء ولم ينصف من أنكر هذا وردّ العقل إلى مجرد العلوم الضرورية ، فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم ، وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية ، فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ، ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والحمار فى الغريزة والإدراكات الحسية ، فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق فى الإنسان علوماً وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ، ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة ، فإنه لو قدّر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد ، وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الإنسان البهيمة فى إدراك

= قال مرتضى : وزاد فى الميزان قال ابن عدى أحاديثه كلها موضوعة وقال ابن حبان كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروى عن الثقات الموضوعات كان يدخل عليهم ما ليس من حديثهم .

(٢٠٧) حديث ﴿ أتمكم عقلا أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً ﴾ وأخرج ابن عدى من رواية محمد بن وهب الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعلمهم بطاعته ، وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعلمهم بطاعته ، قال فى الميزان : هو حديث باطل منكر آفته من محمد بن وهب ، وقال الدارقطنى : هو حديث غير محفوظ والله أعلم .

العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة ، وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية ، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة فى سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة (الثانى) هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضاً صحيح فى نفسه لأن هذه العلو موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر ، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ، ويقال لا موجود إلا هذه العلوم (الثالث) علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة ، فيقال إنه غبى غمر جاهل ؛ فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا (الرابع) أن تنتهى قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها ؛ فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة ، وهذه أيضاً من خواص الإنسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان ، فالأول هو الأس والسنخ والمنبع ، والثانى هو الفرع الأقرب إليه ، والثالث فرع الأول والثانى إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب ، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهى الغاية القصوى ؛ فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ، ولذلك قال علىّ كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

* والأول هو المراد بقوله ﷺ : [٢٠٨] ﴿ ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه

---

(٢٠٨) حديث ﴿ ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من العقل ﴾ قال العراقى رواه الحكيم الترمذى فى النوادر بإسناد ضعيف من رواية الحسن البصرى قال حدثنى عدة من أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فيه أن الله تعالى قال « ما خلقت خلقاً أحب إلىّ منك ولا أكرم علىّ منك » الحديث قد تقدم فى ثالث حديث الباب . اهـ .

قال مرتضى : وأشار إلى أنه ضعيف لكون الترمذى المذكور رواه عن عبد الرحمن بن حبيب عن داود بن المحبر عن الحسن بن دينار قال سمعت الحسن ، ورجاله ما عدا الحسن هلكى ، وقد رواه داود أيضاً فى كتابه مرسلا ، فقال حدثنا صالح المرى عن الحسن فذكره .

من العقل ﴾ . والأخير هو المراد بقوله ﷺ : [٢٠٩] ﴿ إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك ﴾ . وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه [٢١٠] ﴿ ازدد عقلا تزدد من ربك قرباً ، فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك؟ فقال اجتنب محارم الله تعالى ، وأدّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة ، وتنل في آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز ﴾ . وعن سعيد بن المسيب [٢١١] ﴿ أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال ﷺ : العاقل ، قالوا فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال: العاقل قالوا : أليس العاقل من تمت مروءته ، وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته ؟ فقال ﷺ : وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقي ، وإن كان في الدنيا خسيساً ذليلا ﴾ . قال ﷺ في حديث

---

(٢٠٩) حديث ﴿ إذا تقرب الناس بأبواب البر فتقرب أنت بعقلك ﴾ ولفظ الذريعة إذا تقرب الناس إلى خالقهم بالبر فتقرب إليه أنت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الله في الدنيا والآخرة اهـ وأخرج ابن نعيم بإسناد ضعيف من رواية عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة ، وفي الجزء الثالث من أمالي أبي القاسم بن عليك النيسابوري قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا محمد بن منصور العتكي حدثنا محمد بن أشرس السلمي حدثنا سليمان بن عيسى السنجري عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا اكتسب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فاكتسب إليه بأنواع العقل تسبقهم بالقربة والراحة والدرجات في الدنيا .

(٢١٠) حديث ﴿ ازدد عقلا تزدد قرباً ﴾ قال العراقي وأبان بن أبي عياش ضعيف ، وقد رواه بسياق المصنف داود بن المحبر في كتاب العقل ، ومن طريقه رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده . اهـ .

قال مرتضى : وأخرج البيهقي وابن عدي من حديث ابن مسعود رفعه أدّ ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس ، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس ، وارض بما قسمه الله لك تكن من أغنى الناس .

(٢١١) حديث ﴿ أن سعيد بن المسيب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال العاقل ﴾ ، قال العراقي وقول المصنف عن ابن المسيب : يريد أنه مرسل وهو كذلك .

آخر : [٢١٢] ﴿إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته﴾ ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة ، وكذا فى الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ، ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة ، والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها إلا فى القسم الأول ، والصحيح وجودها بل هى الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر فى الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ، ومثاله الماء فى الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا أن يساق إليها شيء جديد ، وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد فى الورد ، ولذلك قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فإنهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد ، ولذلك قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم « فطرة الله التى فطر الناس عليها » أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك ثم لما كان الإيمان مركوزاً فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين : إلى من أعرض فنسى وهم الكفار . وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ، ولذلك قال عز وجل « لعلهم يتذكرون » ، « وليتذكر أولوا الألباب » ، « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به » ، « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ، وتسمية هذا النمط تذكراً ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يكون صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة ، وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروح السماع والتقليد دون الكشف والعيان ، ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف فى تأويل التذكر . وإقرار النفوس أنواعاً من التعسفات ويتخايل إليه فى الأخبار والآيات ضروب من المناقضات ، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل داراً فيعثر فيها بالأوانى

---

(٢١٢) حديث ﴿ إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ﴾ ، قال العراقى رواه ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا ، وفيه قصة .

المصفوفة فى الدار فيقول : ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها ؟ فيقال له إنها فى مواضعها ، وإنما الخلل فى بصرك ؛ فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطمّ منه وأعظم إذ النفس كالفارس ، والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ، ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر ، قال الله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » وقال تعالى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » وقال تعالى : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » وهذه الأمور التى كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرة الباطنة ثاقبة لم يعلق بها من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه ، فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها .

﴿ بيان تفاوت النفوس فى العقل ﴾

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله ، بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ؛ فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشىء الواحد قديماً حادثاً ، وكذا سائر النظائر ، وكل ما يدركه إدراكا محققاً من غير شك ، وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها ، أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ، ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه ، وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفاً ، وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة ، وقد لا يقدر من يساويه فى العقل على ذلك إذا لم يكن طبيباً ، وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل ، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً أيضاً فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه ،

وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد ، وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتاً فى الغريزة وإما تفاوتاً فى الممارسة ، فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس ، وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر ، بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الإيجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة ، بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ، ومن ظن أن عقل النبى ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس فى فهم العلوم ، ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى : « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور » وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام . وعن مثله عبر النبى ﷺ حيث قال : [٢١٣] ﴿ إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به ﴾ وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة

---

(٢١٣) حديث ﴿ أحبب من أحببت فإنك مفارقه ، وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به ﴾ وعند الطبرانى فإنك ملاقيه ، وفيه تقديم هذه الجملة على الثانية وفى آخره ، وقال رسول الله ﷺ : أوجز لى جبريل فى الخطبة قال ولا يروى عن على إلا بهذا الإسناد ، وقد روى هذا الحديث عن سهل بن سعد وسياق المصنف أشبه به إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً وزيادة فى الآخر ، أخرجه الطبرانى أيضاً فى الأوسط من رواية زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ماشئت فإنك مجزى به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس » وراويه عن زافر تابعه محمد بن حميد الرازى وتابعه عليه إسمعيل بن ثوبة فيما رواه الشيرازى فى الألقاب إلا أنه قال : واجمع ما شئت فإنك تاركه بدل واعمل ما شئت .

الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع ودرجات الوحى كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن أن معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن وكان خالياً عنها ، فالعلم شىء ووجود المعلوم شىء آخر ، فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا ولياً ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقياً ، وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى مايجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً وإلى مايحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس ، وذلك لاختلاف جواهر الأرض فى صفاتها فكذلك اختلاف النفوس فى غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه [٢١٤] ﴿ سأل النبى ﷺ فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت : يا ربنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش ؟ قال نعم العقل ، قالوا وما بلغ من قدره ؟ قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا : لا قال الله عز وجل : فإنى خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقاً ومنهم من أعطى وسقاً ومنهم من أعطى أكثر من ذلك ﴾ • فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول • فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية إذ كان ذلك لا ينمحى

---

(٢١٤) حديث ﴿ سأل رسول الله ﷺ فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت : يارب هل خلقت شيئاً أعظم من العرش ؟ قال : نعم العقل قالوا : وما بلغ من قدره ؟ قال : هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا : لا ، قال تعالى : فإنى خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل ، فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقاً ومنهم من أعطى وسقاً ومنهم من أكثر من ذلك ﴾ قال العراقى : رواه داود بن المحبر فى كتاب العقل ، فقال : حدثنا ميسرة عن موسى بن جابان عن أنس بن مالك فذكره مع اختلاف يسير ، ورواه الترمذى الحكيم فى النوادر مختصراً فقال : حدثنا مهدى حدثنا الحسن عن منصور عن موسى بن خالد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله خلق العقل أكبر من عدد الرمل ، فمن الناس من أعطى حبة من ذلك ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى مداً ومنهم من أعطى صاعاً ومنهم من أعطى فرقاً وبعضهم وسقا فقال ابن سلام : من هم يا رسول الله ؟ قال العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذى فى قلوبهم اهـ .

عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه ، وقد أثنى الله تعالى عليه ، وإن ذم فما الذى بعده يحمد ، فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فإن علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لابالعقل ، فإنا نريد بالعقل مانريده بعين اليقين ونور الإيمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور ، وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم .

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولاً وآخراً .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الكتاب الثانى من ربع العبادات

﴿ كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الإسلام فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرّف إياهم أنه فى ذاته واحد لاشريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لاضدّ له ، منفرد لا ندّ له ، وأنه واحد قديم لا أول له ، أزلى لابداية له، مستمر الوجود لا آخر له أبدىّ لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ، ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شىء ، ولا هو مثل شىء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه

الأرضون ولا السموات ، وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء ، وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شىء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار فى دار القرار ، وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم . (الحياة والقدرة) وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون فى قبضته ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والإبداع ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته . (العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفاً به فى أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال . (الإرادة) وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته

فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك ، وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . (السمع والبصر) وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق (الكلام) وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشـــبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى ﷺ سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات . (الأفعال) وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها واعدلها وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلماً فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئاً إذ كان فى الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته ولما حق فى الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً

وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم، ولا يجب لأحد عليه حق، وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به. (معنى الكلمة الثانية) وهى الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبى الأمى القرشى محمداً ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها، وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله، وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وإنه لا يتقبل إيمان عبده حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت * وأوله [٢١٥] ﴿سؤال منكر ونكير﴾ وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سوياً ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة، ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك * [٢١٦] ﴿وهما فتانا القبر﴾ * [٢١٧] ﴿وسؤالهما أول فتنة بعد الموت﴾ * [٢١٨] وأن يؤمن ﴿بعذاب القبر﴾ وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء * [٢١٩] وأن يؤمن ﴿بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات

---

(٢١٥) حديث ﴿سؤال منكر ونكير﴾ الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير وفى الصحيحين من حديث أنس إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث.

(٢١٦) حديث ﴿إنهما فتانا القبر﴾ أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ذكر فتانى القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا؟ الحديث.

(٢١٧) حديث ﴿إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت﴾ قال العراقى لم أجده.

(٢١٨) حديث ﴿عذاب القبر﴾ أخرجاه من حديث عائشة إنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم الحديث، ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة إستعاذته ﷺ من عذاب القبر.

(٢١٩) حديث ﴿الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم إنه مثل طباق السموات والأرض﴾ البيهقى فى البعث من حديث عمر قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حبى قد علمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشىء ويوضع فى هذه الشىء فيرجح =

والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله * [٢٢٠] ﴿ وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة ﴾ تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار * [٢٢١] ﴿ وأن يؤمن بالحوض المورود ﴾ حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط * [٢٢٢] ﴿ من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضاً من

= إحداهما وتخف الأخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس واطلبنى عند الميزان ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة الحديث وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس : كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها .

(٢٢٠) حديث ﴿ الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعر ﴾ قال العراقى : الشيخان من حديث أبى هريرة ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب و البعث من حديث أنس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

(٢٢١) حديث ﴿الإيمان بالحوض﴾ وأنه يشرب منه المؤمنون قال العراقى : رواه مسلم من حديث أنس فى نزول « إنا أعطيناك الكوثر » هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة بن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أمامكم حوض كما بين جرباء وأدرج وقال الطبرانى كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وعبدالله بن عمرو وحذيفة وأبى ذر وحابس ابن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء .

(٢٢٢) حديث ﴿ من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء ﴾ قال العراقى : من حديث عبد الله بن عمرو ، ولهما من حديث أنس: فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، قال العراقى : وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء .

اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء ﴾ * [٢٢٣] ﴿ فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر ﴾ * و [٢٢٤] ﴿ أن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ﴾ وهم المقرّبون * [٢٢٥] ﴿ فيسأل الله تعالى من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ﴾ * [٢٢٦] ﴿ ويسأل المبتدعة عن السنة ﴾ * [٢٢٧] ﴿ ويسأل المسلمين عن الأعمال ﴾ * [٢٢٨] وأن يؤمن ﴿ بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد

---

(٢٢٣) حديث ﴿ فيه ميزابان يصبان من الكوثر ﴾ قال العراقى : هو مسلم من حديث ثوبان يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق .

(٢٢٤) حديث ﴿ الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ﴾ قال العراقى: البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال يارسول الله ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة : من نوقش الحساب عذّب ، قالت قلت : أليس يقول الله تعالى « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » قال ذلك العرض ، ولهما من حديث ابن عباس عرضت علىّ الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب * ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفاً زاد أحمد من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال : قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر : فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبى بكر بين يديه الحديث .

(٢٢٥) حديث ﴿ سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ﴾ قال العراقى : رواه البخارى من حديث أبى سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحـــديث * ولابن ماجه يجىء النبى يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث .

(٢٢٦) حديث ﴿ سؤال المبتدعة عن السنة ﴾ قال العراقى : رواه ابن ماجه من حديث عائشة مَن تكلم بشىء من القدر سئل عنه يوم القيامة * ومن حديث أبى هريرة ما من داع يدعو إلى شىء إلا وقف يوم القيامة لازماً لدعوة ما دعا إليه وإن دعا رجل رجلاً وإسنادهما ضعيف .

(٢٢٧) حديث ﴿ سؤال المسلمين عن الأعمال ﴾ قال العراقى رواه أصحاب السنن من حديث أبى هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتى فى الصلاة .

(٢٢٨) حديث ﴿ إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه ﴾ قال =

بفضل الله تعالى﴾ فلا يخلد فى النار موحد * [٢٢٩] وأن يؤمن ﴿ بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ﴾ كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم وترتيبهم * [٢٣٠] ﴿ وأن أفضل الناس بعد النبى ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ﴾ * [٢٣١] ﴿ وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم ﴾ كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ وعليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى كل عبد مصطفى .

= العراقى : رواه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث .

(٢٢٩) حديث ﴿شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان﴾ قال العراقى : رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم فى العلم ، وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفى رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط الحديث .

(٢٣٠) حديث ﴿ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على﴾ قال العراقى : رواه البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان . ولأبى داود كنا نقول ورسول الله ﷺ حى : أفضل أمة النبى ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبرانى ويسمع ذلك النبى ﷺ ولا ينكره .

(٢٣١) حديث ﴿ إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم ﴾ قال العراقى : رواه الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى » وللشيخين من حديث أبى سعيد « لا تسبوا أصحابى » وللطبرانى من حديث ابن مسعود « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا » .

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد • اعلم أن ماذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أول نشوءه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئاً فشيئاً فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان ، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشوءه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء ، على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء بذر فى الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر إجزاؤها ، وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك فى هذا بياناً فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً إذ لا فرق فى التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شىء والاستدلال بالنظر شىء آخر بعيد عنه ثم الصبى إذا وقع نشوءه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ، ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف

عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده عز وجل إذ قال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق ، وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى ، وفى الاستضاءة بنور اليقين ، وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . ﴿ مسئلة ﴾ فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس فى هذا غلواً وإسرافاً فى أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ، ومن قائل إنه واجب فرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى ، وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله وسمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصاً الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام ، ولقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضاً قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام ؛ وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصاً الفرد وأصحابه أخزاهم الله ، ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له : من أنا ؟ فقال : حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه ، وقال أيضاً لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد ، وقال أيضاً : إذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له ، قال الزعفرانى قال الشافعى : حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأخذ فى الكلام ، وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبداً . ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل ، وبالغ فى ذمه حتى هجر الحرث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً فى الرد على المبتدعة ، وقال له : ويحك ألست تحكى بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم ؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات ، فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ؟ وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة .

وقال مالك رحمه الله : أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ! يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت ، وقال مالك رحمه الله أيضاً : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ؛ فقال بعض أصحابه فى تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا ، وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق ، وقال الحسن: لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه ، وقالوا : ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر . ولذلك قال النبى ﷺ : [٢٣٢] ﴿هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون ﴾ أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه و يثنى عليه وعلى أربابه . [٢٣٣] ﴿ فقد علمهم الاستنجاء ﴾ . [٢٣٤] ﴿ وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ﴾ . [٢٣٥] ﴿ ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال : أمسكوا عن القدر﴾ وعلى هذا استمر الصحابة

---

(٢٣٢) حديث ﴿هلك المتنطعون﴾ مسلم من حديث ابن مسعود قال قال: ذلك ثلاثا، قاله العراقى .
قال مرتضى : أخرجه الإمام أحمد فى القدر أيضاً وأبو داود فى السنة وليس عندهما ذكره ثلاث مرات كلهم عن ابن مسعود رضى الله عنه رفعه .

(٢٣٣) حديث ﴿ فقد علمهم الاستنجاء ﴾ قال العراقى : أخرجه مسلم فى صحيحه عن سلمان رضى الله عنه .

(٢٣٤) حديث ﴿وندبهم إلى علم الفرائض ﴾ قال مرتضى : أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه « تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شىء ينزع من أمتى » قال الحافظ الذهبى فيه حفص بن عمر بن أبى العطاف واه بمرة وقال ابن حجر الحافظ مداره على حفص وهو متروك وقال البيهقى تفرد به حفص وليس بقوى وفى رواية فإنه من الدين وأخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وصححه بلفظ تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنى امرؤ مقبوض وإن العلم سيقبض حتى يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما قال الحافظ فى الفتح رواته موثقون إلا أنه أختلف فيه على عوف الأعرابى وأخرج الترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد ابن ثابت ﴿ وأثنى عليهم ﴾ حيث قال : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال فى افتراق الأمم الناجية منهم واحدة فقيل من هم ؟ فقال ما أنا عليه وأصحابى .

(٢٣٥) حديث ﴿ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا﴾ قال مرتضى: أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود وعن ثوبان وابن عدى فى الكامل عن عمر بن الخطاب رفعوه « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا » أى لما فى الخوض فى الثلاثة من المفاسد التى =

رضى الله عنهم ، فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم ، وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة ، وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة رضى الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التى تورد على القياس لما كانوا يفقهونه ، فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح ، وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المحذور وهو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ، ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً ، وقد قال الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم » وقال عز وجل : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » وقال تعالى : « قل هل عندكم من سلطان بهذا » أى حجة وبرهان وقال تعالى : « قل فلله الحجة البالغة » وقال تعالى : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه » إلى قوله «فبهت الذى كفر » إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال عز وجل « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » وقال تعالى : « قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا » وقال تعالى فى قصة فرعون : « وما رب العالمين » إلى قوله : « أو لو جئتك بشىء مبين » وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وفى النبوة : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وفى البعث : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى : « وجادلهم بالتى هى أحسن » فالصحابة رضى الله عنهم أيضاً كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة فى زمانهم وأول

= لا تحصى وقد مر هذ الحديث فى كتاب العلم وأشبعنا الكلام عليه من جهة الصناعة الحديثية قال البغوى القدر سر الله لم يطلع عليه ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلا لا يجوز الخوض فى البحث عنه من طريق العقل بل يعتقد أنه تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين : أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا .

من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه إذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما إلى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك فى قتال الكفار ، أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ماتستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب ؟ فقالوا لا ، فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان ؛ وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الإيمان قال عبد الله لو قلت إنى مؤمن لقلت إنى فى الجنة ، فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله : هذه زلة منك ، وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان ، وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ؛ فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ، ولا نقول إنا من أهل الجنة ، فقال ابن مسعود صدقت والله إنها منى زلة فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيراً وقصيراً لا طويلا ، وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة ؛ فيقال أما قلة خوضهم فيه ؛ فإنه كان لقلة الحاجة ، إذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان ، وأما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة ؛ فلو طال إشكال الخصم أو إلجاجه لطال لامحالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها ، وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه ؛ فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث أيضاً ؛ فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق إلا على الندور إمّا ادخاراً ليوم وقوعها وإن كان نادراً أو تشحيذاً للخواطر ؛ فنحن أيضاً نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين * فإن قلت فما المختار عندك فيه ؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشىء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى لذاته أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت ، وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ، ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار ، وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر ، وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار ، وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره ، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول

عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور ، وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال ؛ فإن تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل . فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم ؛ فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق ، وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا إلى نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه ، وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره، وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف وأمل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا ، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ، ولعمرى لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ، ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع ، وإن كان فاسداً ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغى أن يكون كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا فى موضعه ، وذلك فى وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة . وتفصيله أن العوام والمشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا

على سلامة عقائدهم التى اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض فى حقهم إذ ربما يثير لهم شكاً ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامى المعتقد للبدعة فينبغى أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامى إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضاً يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا مع من وقع فى شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ، والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامى اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب « الاقتصاد فى الاعتقاد » وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض سارياً فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان : أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض فى الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع مالا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثانى زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القـــدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضاً

ولو قال قائل : البحث عن حكم الإدراكات والإعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه ، كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضاً ، وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة ؛ فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به ، والشخص الذي لا ينتفع به ، فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ، ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضاً من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم ، فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير ؛ فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال : إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت * والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه * والثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه ، فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه . وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه ، وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه ، وأن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة ، وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم

طريق النضال عنها وحفظها ، فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هى عليه وإدراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب ، وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله . ﴿ مسئلة ﴾ فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلى يبدو أولاً وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب ، وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن ، بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة ، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيئاً وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء ، وذلك ظاهر من أدلة الشرع * قال ﷺ : [٢٣٦] ﴿ إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً ﴾ ، وقال على رضى الله عنه : وأشار إلى صدره « إن ههنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة » * وقال ﷺ : [٢٣٧] ﴿ نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ﴾ * وقال ﷺ : [٢٣٨] ﴿ ما حدّث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم ﴾ وقال الله تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » * وقال ﷺ : [٢٣٩] ﴿ إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى ﴾ الحديث إلى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم * وقال ﷺ : [٢٤٠] ﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ﴾ فليت شعرى إن لم يكن ذلك سراً منع من إفشائه لقصور

---

(٢٣٦) حديث « إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً » قال العراقى : أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه وأورده ابن الأثير فى نهايته .

(٢٣٧) الحديث * تقدم فى كتاب العلم برقم ١٣٦ ص ١٦٨

(٢٣٨) الحديث * تقدم فى كتاب العلم برقم ٩٩ ص ١٢١

(٢٣٩) الحديث * تقدم فى كتاب العلم برقم ٧٢ ص ٨٦

(٢٤٠) حديث ﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ﴾ قال العراقى : أخرجاه من حديث عائشة وأنس اهـ . قلت وأخرجه أيضاً الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم عن أنس قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت قط بمثلها ثم ذكره وأخرج الحاكم فى المستدرك من رواية يوسف بن حبان عن مجاهد عن أبى ذر رفعه : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً =

الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ، ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن » لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم إنه كافر . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال ﷺ : [٢٤١] ﴿ ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره ﴾ رضى الله عنه ، ولا شك فى أن ذلك السر كان متعلقاً بقواعد الدين غير خارج منها ، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافياً بظواهره على غيره ، وقال سهل التسترى رضى الله عنه « للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد ، وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر ، وقال بعضهم « للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوّة وللنبوّة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام ، وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوّة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه وملاك الورع النبوة ﴿ مسئلة ﴾ فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن ، فإن الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ، ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحداً فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيما وينجرّ إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التى ذكرناها من أعمال

= ولما ساغ لكم الطعام والشراب» وقال على شرطهما ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى بأنه منقطع ورواه أيضاً من طريقة ابن عساكر فى التاريخ بتلك الزيادة وأخرج الحاكم أيضاً فى كتاب الرقاق والبيهقى فى الشعب عن أبى الدرداء رفعه : لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون لا تدرون تنجون أو لا تنجون » وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبى وقال الهيثمى رواه الطبرانى من طريق إبنة أبى الدرداء عن أبيها ولم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح وأخرج الحاكم أيضاً فى الأهوال عن أبى هريرة رفعه : لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا يظهر النفاق وترفع الأمانة وتقبض الرحمة ويتهم الأمين ويؤتمن غير الأمين أناخ بكم الشر الجون . الفتن كأمثال الليل المظلم وقال صحيح وأقره الذهبى .

(٢٤١) الحديث * تقدم فى كتاب العلم برقم ٧٤ ص ٩١

القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ، ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب ، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الأول من الكتاب ، وإنما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ، ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز فى حله ؛ فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التى يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون فى علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام (القسم الأول) أن يكون الشيء فى نفسه دقيقاً تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح * [٢٤٢] ﴿وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم﴾ فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ، ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله ﷺ فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ، ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ، ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علماً وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبى أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق ، والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل * وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر

---

(٢٤٢) حديث ﴿وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم﴾ أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبى ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً الحديث وقال ابن عباس قالت اليهود للنبى ﷺ أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يجبهم فأتاه جبريل عليه السلام بالآية « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال * ولذلك قال ﷺ : [٢٤٣] ﴿لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك﴾ وليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم « ماعرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل » وقال الصدّيق رضى الله عنه « الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله * فى قوله ﷺ : [٢٤٤]﴿إن لله سبحانه سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره﴾ * القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضراً ببعض الخلق كما

---

(٢٤٣) حديث ﴿ لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ أخرج مسلم من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك فى سجوده .قاله العراقى .

قال مرتضى : قال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة هو حماد بن أسامة عن عبد الله ابن عمر عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبى هريرة عن عائشة رضى الله عنها قالت فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وأخرجه الإمام أحمد عن أبى أسامة قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الأذكار وفى السند لطيفة وهى رواية صحابى عن صحابى : أبو هريرة عن عائشة .

(٢٤٤) حديث ﴿ إن لله سبحانه سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره ﴾ . قال العراقى أخرج أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وإسناده ضعيف وفيه أيضاً من حديث أنس قال رسول الله ﷺ لجبريل هل ترى ربك قال إن بينى وبينه لسبعين حجابا من نور وفى الكبير للطبرانى من حديث سهل بن سعد « دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ولابن ماجه كل شىء أدركه بصره اه .

وقال مرتضى : وهكذا أورده المصنف فى كتابه مشكاة الأنوار إلا أنه قال من نور وظلمة والباقى سواء قال وفى بعض الروايات سبعمائة وفى بعضها سبعين ألفا اهـ . وفى كتاب الأسماء والصفات =

يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش ، وكما تضر رياح الورد بالجعل ، وكيف يبعد هذا وقولنا أن الكفر والزنا والمعاصي والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم ،

= لأبي منصور التميمي أنه ﷺ وصف ربه عز وجل فقال : حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركته . وفي رواية دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة اهـ . قال أبو منصور التميمي في كتابه المذكور كل خبر ذكر فيه الحجاب فإنه يرجع معناه إلى الخلق لأنهم هم المحجوبون عن رؤية الله عز وجل وليس الخالق محجوبا عنهم لأنه يراهم ولا يجوز أن يكون مستورا بحجاب لأن ما ستره غيره فساتره أكبر منه وليس لله عز وجل حد ولا نهاية فلا يصح أن يكون بغيره مستوراً ودليله قوله عز وجل كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولم يقل إنه محجوب عنهم ويؤيد ذلك ما رواه ابن أبي ليلى عن علي رضي الله عنه أنه مر بقصاب فسمعه يقول في يمينه لا والذي احتجب سبعة أطباق فعلاه بالدرة وقال له يا لكع إن الله لا يحتجب عن خلقه بشيء ولكنه حجب خلقه عنه فقال له القصاب أولا أكفر عن يميني يا أمير المؤمنين فقال لا إنك حلفت بغير الله فأما قوله لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه فقد تأوله أبو عبيد على أن المراد به لو كشف الرحمة عن النار لأحرقت من على الأرض وكذلك قوله دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة معناه أنها أجمع ؛ حجاب لغيره لأنه غير محصور في شيء وقيل معناه إن لله عز وجل علامات ودلالات على وحدانيته لو شاهدها الخلق لقامت مقام العيان في الدلالة عليه غير أنه خلق دون تلك الدلائل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ليتوصل الخلق إلى معرفته بالأدلة النظرية دون المعارف الضرورية اهـ وفصل الخطاب في هذا المقام ما قاله المصنف في مشكاة الأنوار في تفسير هذا الحديث ما نصه إن الله متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالإضافة إلى محجوب لا محالة ، وإن المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام منهم من يحجب بمجرد الظلمة ، ومنهم من يحجب بالنور المحض ، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة ، وأصناف هذه الأقسام كثيرة ، ويمكنني أن أتكلف حصرها لكني لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر ، إذ لا أدري أنه المراد بالحديث أم لا ، أما الحصر إلى سبعمائة أو سبعين ألفاً ، فتلك لا يستقل بها إلا القوة النبوية مع أن ظاهر ظني أن هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد ، وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد به الحصر بل التكثير والله أعلم بتحقيق ذلك وذلك خارج عن الوسع ، وإنما الذي يمكنني الآن أن أعرفك هذه الأقسام وبعض أصناف كل قسم : القسم الأول المحجوبون بمحض الظلمة وهؤلاء صنفان والصنف الثاني منهما ينقسمون أربعة فرق وأصناف الفرقة الرابعة لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ، والقسم الثاني طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف : صنف منشأ ظلمتهم من الحس ، وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال ، وصنف منشأ ظلمتهم عن مقايسات عقلية فاسدة ، وفي الصنف الأول طوائف ستة لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات إلى نفسه والتشوق إلى معرفة ربه ، =

وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك ، وكذلك سر القدر ، ولو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزاً إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ، ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوماً ، ولكن لم يذكر لمصلحة العباد خوفاً من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد ، وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ، ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ، ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال ، وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم ﴿القسم الثالث﴾ أن يكون الشىء بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر ، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الأمر فى قلبه

= وفى الصنف الثانى أيضاً طوائف وأحسنهم رتبة المجسمة ثم الكرامية ، وفى الثالث أيضاً فرق فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثانى الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة والقسم الثالث هم المحجوبون بمحض الأنوار وهم أربعة أصناف الواصلون منهم الصنف الرابع وهم الذين تجلى لهم أن الرب المطاع موصوف بصفة لا تتناهى فى الوحدانية المحضة والكمال البالغ وأن نسبة هذا المطاع إلى الموجودات الحسية نسبة الشمس فى الأنوار المحسوسة منه فتوجهوا من الذى يحرك السموات ومن الذى أمر بتحريكها إلى الذى فطر السموات وفطر الأرض بتحريكها فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم ، إذ وجدوه من قبله فأحرقت سبحات وجهه وجه الأول إلا على جميع ما أدركه الناظرون وبصيرتهم ، إذ وجدوه مقدسا منزها ثم هؤلاء انقسموا ، فنهم من أحرق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى ولكن بقى هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظا ذاته فى جماله الذى ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية وانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وامحقوا وتلاشوا فى ذاته ولم يبق لهم لحاظ إلى أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم ولم يبق إلا الواحد الحق ، وصار معنى قوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه » لهم ذوقا وحالا ، فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج فى الترقى والعروج عن التفصيل الذى ذكرناه ، ولم يطل عليه العروج فسبقوا فى أول وهلة إلى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم أولاً ما غلب على الآخرين آخراً وهجم عليهم التجلى دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسى أو بصيرة عقلية ويشبه أن يكون الأول طريق الخليل ، والثانى طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله أعلم بأسرار اقدامهما وأنوار مقامهما ، فهذه إشارة إلى أصناف المحجوبين ولا يبعد أن يبلغ عددهم إذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفاً ، وإذا فتشت لا تجد واحداً منهم خارجاً عن الأقسام التى حصرناها فإنهم إنما يحجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو بالخيال أو بمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق والله أعلم .

كما لو قال قائل رأيت فلاناً يقلد الدر فى أعناق الخنازير فكنى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ، ومن هذا قال الشاعر :

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الأعزل

لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبـــل

فإنه عبر عن سبب سماوى فى الإقبال والإدبار برجلين صانعين ، وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله * ومنه قوله ﷺ : [٢٤٥] ﴿ إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة عن النار ﴾ ، وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظماً ورمى النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة * وكذلك قوله ﷺ : [٢٤٦] ﴿ أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار ﴾ وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون

---

(٢٤٥) حديث ﴿ إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة عن النـار ﴾ أى عن مماستها قال العراقى : هذا لم أر له أصلا فى المرفوع ، وإنما هو فى قول أبى هريرة ، رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه ا هـ .

قال مرتضى : ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبى هريرة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال : ما بال أحدكم مستقبل ربه فينخع أمامه ، أيحب أحدكم أن يستقبل فينخع فى وجهه .

(٢٤٦) حديث ﴿ أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمـار ﴾ أو يجعل الله صورته صورة حمار ، أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة ، وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه كذلك كلهم فى الصلاة ، وفى رواية ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه أى من السجود فهو نص فيه وعند أبى داود زيادة والإمام ساجد وهو دليل على التخصيص والحق به الركوع لكونه فى معناه ، وإنما نص على السجود لمزيد مزية فيه إذ المصلى أقرب ما يكون من ربه فيه وهو غاية الخضوع المطلوب كذا فى الفتح وعند ابن خزيمة قبل الإمام فى صلاته ، وقوله رأسه أى التى جنت بالرفع تعديا رأس حمار وفى رواية ابن حبان رأس كلب .

الشكل الذى هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى ، أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله ﷺ : [٢٤٧] ﴿قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن﴾ إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفى وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً فى تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى : « إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » فإن ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطاباً للشىء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل ، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ، ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها ، وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكناً ، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » الآية ، وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ، ومعنى الأودية هى القلوب وأن بعضها احتملت شيئاً كثيراً وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل ، والزبد مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث ، وفى هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر (القسم الرابع) أن يدرك الإنسان الشىء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابساً له فيتفاوت العلمان ، ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب ، والأول كالظاهر ، والثانى كالباطن ، وذلك كما يتمثل الإنسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ، ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له فكذلك العلم والإيمان والتصديق إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ، ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للإنسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه ، والثانى عند وقوعه ، والثالث بعد تصرمه فإن تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال ، وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقاً فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ؛ ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شىء منها

---

(٢٤٧) حديث ﴿ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ﴾ أخرجه مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما .

باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام . (القسم الخامس) أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقاً ، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه ، وهذا كقول القائل: قال الجدار للوتد : لم تشقنى ؟ قال : سل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى ؛ فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » فالبليد يفتقر فى فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلا وفهماً للخطاب ، وخطاباً هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال ، وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياةَ وعقلا ونطقاً بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه ، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحاً بوجوده ومقدساً بذاته وشاهداً بوحدانية الله سبحانه كما يقال : * وفى كل شىء له آية * تدل على أنه الواحد * وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شىء إلا وهو محتاج فى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ، ويردده فى أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى : « ولكن لاتفقهون تسبيحهم »وأما القاصرون فلايفقهون أصلاً وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شىء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لايليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضاً مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر ، وفى هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى: « وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم » وقوله تعالى : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء » وكذلك المخاطبات التى تجرى من منكر ونكير ، وفى الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم : « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون فى حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله : « كن فيكون » وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كون كل مكوّن حتى

سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ . قوله ﷺ [٢٤٨] ﴿ الحجر الأسود يمين الله فى أرضه ﴾ وقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » . وقوله ﷺ [٢٤٩] ﴿ إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ﴾ ، ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر ، والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ، ولكنه منع من التأويل حسماً للباب ورعاية لصلاح الخلق ، فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الإقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط ، فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف ، فإنهم كانوا يقولون أمرّوها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء « الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤية وأوّلوا كونه سميعاً بصيرا وأوّلوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأوّلوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ، ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد فى الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا : ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس ، وهؤلاء هم المسرفون ، وحد الاقتصاد بين

---

(٢٤٨) حديث ﴿ الحجر الأسود يمين الله فى أرضه ﴾ قال العراقى : أخرجه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ الحجر يمين الله .

(٢٤٩) حديث ﴿ إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ﴾ أخرج أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه « وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات قاله العراقى اهـ .

قال مرتضى : وأخرج الخطيب وابن عساكر عن جابر رفعه « الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده » قال ابن الجوزى فى سنده اسحق بن بشير كذبه ابن شيبة وغيره ، وقال الدارقطنى هو فى عداد من يضع ، وأخرج الديلمى عن أنس رفعه « الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله » وفى سنده على بن عمر السكرى ضعفه البرقانى وأيضاً العلاء بن سلمة الروّاس ، قال الذهبى متهم بالوضع ثم إن معنى قوله يمين الله أى هو بمنزلة يمينه ، ولما كان كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه والحاج أول ما يقدم يسن له تقبيله ، فلذا نزل منزل يمين الكعبة .

هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهى لا بالسماع ، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة ، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه ، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله ، والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه ، والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له ، فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة ، وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التى حررناها ، وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية فى قواعد العقائد وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

﴿ الفصل الثالث ﴾ من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس فنقول :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين ، وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسى بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين لجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلمتى الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهى أربعة ، ويدور كل ركن منها على عشرة أصول :

﴿ الركن الأول ﴾ فى معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول : وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان ، وأنه يرى وأنه واحد .

﴿ الركن الثانى ﴾ فى صفاته ، ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حياً عالماً قادراً

مريداً سميعاً بصيراً متكلماً منزهاً عن حلول الحوادث ، وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة .

﴿ الركن الثالث ﴾ فى أفعاله ومداره على عشرة أصول ، وهى أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد ، وأنها مرادة لله تعالى، وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأن له تعالى تكليف ما لا يطاق ، وأن له إيلام البرىء ولا يجب عليه رعاية الأصلح وأنه لا واجب إلا بالشرع ، وأن بعثة الأنبياء جائزة ، وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات .

﴿ الركن الرابع ﴾ فى السمعيات ومداره على عشرة أصول ، وهى إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ، والميزان والصراط ، وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، وشروط الإمامة .

(فأما الركن الأول من أركان الإيمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول) :

﴿ الأصل الأول ﴾ معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى: « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافا » ، وقال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ، وقال تعالى : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا » ، وقال تعالى : « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » إلى قوله « للمقوين » فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات ، وبدائع فطرة الحيوان والنبات ، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره ، وفاعل يحكمه ويقدره ، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ، ولذلك قال الله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » ، ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله ، فإن ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم ، وفى عنفوان شبابهم ، ولذا قال عز وجل : « ولئن سألتهم من خلق

السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » فإذاً فى فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغنى عن إقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فإذاً لا يستغنى فى حدوثه عن سبب أما قولنا إن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص ، وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى ، الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسماً لا ساكناً ولا متحركاً كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا ، الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارىء منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس ، الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً أو شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً ومحال أن تكون شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً فإن ذلك جمع بين النفى والإثبات إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع يصير وتراً بزيادة واحد وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لأعدادها ومحال أن يكون لا شفعاً ولا وتراً إذ له نهاية فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذاً حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة .

﴿ الأصل الثانى ﴾ العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شىء وقبل كل ميت وحى ، وبرهانه أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر هو أيضاً إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه .

﴿ الأصل الثالث ﴾ العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أبدياً ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه . وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ، ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه ، فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب ، وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المقدم لو كان قديماً لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده ؛ فإن كان الضد المعدم حادثاً كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث .

﴿ الأصل الرابع ﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم ، فإن سماه مسم جوهراً ولم يرد به المتحيز كان مخطئاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى .

﴿ الأصل الخامس ﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصاً بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ، ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر ، كان ذلك غلطاً في الإسم مع الإصابة في نفي معنى الجسم .

﴿ الأصل السادس ﴾ العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محال لأن العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته ، وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فإذاً لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره

والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه ، فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته .

﴿ الأصل السابع ﴾ العـــلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف ، وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس واسم السفل لما يلى جهة الرجل حتى أن النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وإن كان فى حقنا فوقا ، وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله ، وتسمى الجهة التى تلى اليمين يميناً والأخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها ، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان فى الأزل مختصاً بجهة ، والجهة حادثة أو كيف صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس ، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض ، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً فاستحال كونه مختصاً بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً فى الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له وكل محاذ لجسم ، فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الأيدى عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف المدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء ، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء .

﴿ الأصل الثامن ﴾ العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لا ينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء ، وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال فى القرآن « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم ، وحمل قوله ﷺ «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر ، وحمل قوله ﷺ « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماساً للعرش ، إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدى إلى المحال فهو محال .

﴿ الأصل التاسع ﴾ العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئى بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة ، دار القرار لقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ولا يرى فى الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام « لن ترانى » وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام ، وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ، ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم ، وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال ، فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم ، فإذا جاز تعلق العلم به ، وليس فى جهة ، جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة ، وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك .

﴿ الأصل العاشر ﴾ العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له ، انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثانى إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثانى مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثانى قوياً قاهراً ، والأول ضعيفاً قاصراً ، ولم يكن إلهاً قادراً .

﴿ الركن الثانى : العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿ الأصل الأول ﴾ العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى فى قوله « وهو على كل شيء قدير » صادق لأن العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ، ومن رأى ثوباً من ديباج حسن النسج

والتأليف متناسب التطريز والتطريف ، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعاً عن غريزة العقل ، ومنخرطاً فى سلك أهل الغباوة والجهل .

﴿ الأصل الثانى ﴾ العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، صادق فى قوله « وهو بكل شىء عليم » ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف ، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف .

﴿ الأصل الثالث ﴾ العلم بكونه عز وجل حياً فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ، ولو تصوّر قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حياً لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات ، بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات ، وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات .

﴿ الأصل الرابع ﴾ العلم بكونه تعالى مريداً لأفعاله ، فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته ، فهو المبدىء المعيد ، والفعال لما يريد ، وكيف لا يكون مريداً ، وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده ، وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده ، والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة ، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده ، لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه .

﴿ الأصل الخامس ﴾ العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، وكيف لا يكون سميعاً بصيراً ، والسمع والبصر كمال لا محالة ، ليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ، وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبراهيم ﷺ على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغياً فقال له : « لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً » ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » ، وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة ، وعالماً بلا قلب ودماغ ، فليعقل كونه بصيراً بلا حدقة ، وسميعاً بلا أذن ، إذ لا فرق بينهما .

﴿ الأصل السادس ﴾ أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفه للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات ، وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نُهاه عن أن يقول لسانى حادث ، ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء ، وأن الباء قبل السين فى قولك : بسم الله ، فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديماً فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سبحانه سر فى إبعاد بعض العباد ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاماً ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجوداً ليس بجسم ولا لون ، وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية ، وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل فى حاسة السمع ما عقله فى حاسة البصر ، وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب أن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة ، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة محفوظاً فى القلوب مكتوباً فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق ، وحلت ذات النار بكتابة اسمها فى الورق ولاحترق .

﴿ الأصل السابع ﴾ أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلاً للحوادث داخلاً تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات ، بل لم يزل فى قدمه موصوفاً بمحامد الصفات ولا يزال فى أبده كذلك منزهاً عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه ، وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن

يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علماً متعلقاً بما فى قلب أبيه من الطلب صار مأموراً بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة والده له فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل : « اخلع نعليك » بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطباً به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ، وسمع لذلك الكلام القديم .

﴿ الأصل الثامن ﴾ إن علمه قديم فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ، ودام ذلك العلم تقديراً حتى طلعت الشمس ، لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى .

﴿ الأصل التاسع ﴾ أن إرادته قديمة وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ، ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريداً لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك ، وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ، ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة .

﴿ الأصل العاشر ﴾ أن الله تعالى عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة ، وقول القائل عالم بلا علم ، كقوله غنى بلا مال ، وعلم بلا عالم ، وعالم بلا معلوم ، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل ، وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ، ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل ، كذلك لا يتصور عالم بلا علم ، ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم ، بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوّز انفكاك العالم عن العلم ؛ فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .

﴿ الركن الثالث : العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿ الأصل الأول ﴾ العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه ، لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم ؛ فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقاً له فى قوله تعالى : « الله خالق كل شىء » وفى قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » وفى قوله تعالى : « وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم

لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق ، وكيف لا يكون خالقاً لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها ، وهى متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب ؟ فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب ، وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ! ؟ هيهات هيهات ، ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات .

﴿ الأصل الثانى ﴾ أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وخلق الاختيار والمختار جميعاً فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له ، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له ، فإنها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً ، وكيف تكون جبراً محضاً وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقاً للعبد وهو لا يحيط علماً بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها ، وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، إذ قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ، ولم يكن الاختراع حاصلاً بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها .

﴿ الأصل الثالث ﴾ أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ، ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته ، ومنه الشر والخير ، والنفع والضر ، والإسلام والكفر ، والعرفان والنكر ، والفوز والخسران ، والغواية والرشد ، والطاعة والعصيان ، والشرك والإيمان ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة « ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن » وقول الله عز وجل : « أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » وقوله تعالى : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها ، وإنما هى جارية على وفق إرادة

العدو إبليس لعنه الله ، مع أنه عدو لله سبحانه ، والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يردّ ملك الجبار ذى الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز ، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علواً كبيراً ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له فإن قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد !؟ قلنا الأمر غير الإرادة ، ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان ، فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ، فقال له : أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان ، فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ، ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهداً ، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه ، وهو محال .

﴿ الأصل الرابع ﴾ أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطوّل بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه ، وقالت المعتزلة : وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد ، وهو محال ، إذ هو الموجب والآمر والناهى ، وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب . والمراد بالواجب أحد أمرين : إما الفعل الذى فى تركه ضرر إما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار ، أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت ، وإما أن يراد به الذى يؤدى عدمه إلى محال ، كما يقال وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا ، فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر ، وإن أراد به المعنى الثانى فهو مسلم ، إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم ، وإن أراد به معنى ثالثاً فهو غير مفهوم . وقوله « يجب لمصلحة عباده » كلام فاسد ، فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى ، ثم إن مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة ، فأما أن يخلقهم فى دار البلايا ، ويعرضهم للخطايا ، ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب ، فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب .

﴿ الأصل الخامس ﴾ أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافاً للمعتزلة ، ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه ، وقد سألوا ذلك فقالوا : ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، ولأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن

يأمره بأن يصدقه فى جميع أقواله ، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه ، فكيف يصدقه فى أنه لا يصدقه ؟ وهل هذا إلا محال وجوده !!!؟

﴿ الأصل السادس ﴾ أن لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ، ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف فى ملكه ، ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه ، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها ، وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة * فإن قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ، ويجب ذلك على الله سبحانه * فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل ، إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجباً عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعانى المذكورة للواجب .

﴿ الأصل السابع ﴾ أنه تعالى يفعــــل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء ، بل لا يعقل فى حقه الوجوب فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ، وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله : إن الأصلح واجب عليه فى مسألة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبي وبالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلى فلو قال الصبي : يا رب لم رفعت منزلته علىّ فيقول لأنه بلغ واجتهد فى الطاعات ، ويقول الصبي : أنت أمتنى فى الصبا ، فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فأجتهد ! فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بطول العمر له دونى ، فلم فضلته ؟ فيقول الله تعالى : لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت فى الصبا ، هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل ، وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون : يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلاّ أمتنا فى الصبا ، فإنا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم ، فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال * فإن قيل مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ، ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحاً لا يليق بالحكمة * قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشيء قبيحاً عند شخص حسناً عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ، ويستحسنه أعداؤه فإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض البارى سبحانه ، فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصوّر منه قبيح

كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف فى ملك الغير ، وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير ، فلم قلتم إن ذلك عليه محال ، وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار ، ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته ، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ؟ وإنما الحكيم منا يراعى الأصلح نظراً لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء ، وفى الآخرة ثواباً ، أو يدفع به عن نفسه آفة ، وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى .

﴿ الأصل الثامن ﴾ أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى ، مشرعه لا بالعقل خلافاً للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فإن العقل لا يوجب العبث ، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لايخلو ، إما أن يرجع إلى المعبود ، وذلك محال فى حقه تعالى فإنه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان ، وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضاً محال لأنه لاغرض له فى الحال ، بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه ، وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب ، ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان ، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص ، وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ، ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فإن قيل فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع ، والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه ؛ فإذا قال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب علىّ النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر ، أدّى ذلك إلى إفحام الرسول ﷺ قلنا هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع : إن وراءك سبعاً ضارياً فإن لم تبرح عن المكان قتلك ، وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى ، فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائى ، ولا ألتفت ورائى ولا أنظر ما لم يثبت صدقك ؛ فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادى المرشد ؛ فكذلك النبي ﷺ يقول : « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ، إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لى صدق بالالتفات إلى معجزتى ، وإلا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر علىّ إن هلك الناس كلهم أجمعون ، وإنما علىّ البلاغ المبين ، فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ، ومعنى كون الشيء واجباً أن فى تركه ضرراً ومعنى كون

الشرع موجباً أنه معرف للضرر المتوقع ؛ فإن العقل لا يهدى إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات ، فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ، ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتاً ، إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة .

﴿الأصل التاسع﴾ أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافاً للبراهمة حيث قالوا : لافائدة فى بعثتهم ، إذ فى العقل مندوحة عنهم ؛ لأن العقل لايهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة ، كما لا يهدى إلى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ، ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

﴿الأصل العاشر﴾ أن الله سبحانه قد أرسل محمداً ﷺ خاتماً للنبيين وناسخاً لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين ، وأيده بالمعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة * [٢٥٠] ﴿كانشقاق القمر﴾ * [٢٥١] و﴿تسبيح الحصى﴾ .

---

(٢٥٠) حديث ﴿انشقاق القمر﴾ له فلقتين ومحل الانشقاق كان بمكة ، وقيل بمنى ، قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : حدثنى الهيثم بن حبيب الصيرفى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة فلقتين أى شقين متباعدين بحيث كان الجبل بينهما ، وكان ذلك فى مقام التحدى ، فكان معجزة كما فى شرح المواقف ، والحديث متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس ، قاله العراقى .

قال مرتضى : وأخرجه أحمد وأبو داود الطيالسى وأبو عوانة وإسحق وعبد الرزاق والطبرانى وابن مردويه من حديث ابن مسعود وابن عباس ، والبيهقى وأبو نعيم من حديث ابن مسعود ، وفى رواية عن أنس أن ذلك كان بعد سؤال المشركين ، وفى رواية أبى نعيم عن ابن مسعود : لقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذى بمنى ، ونحن بمكة وأخرجه البيهقى وعياض عن على وحذيفة ، ومسلم والترمذى عن ابن عمر وأحمد والبيهقى عن جبير بن مطعم ، وقال ابن السبكى إنه متواتر .

﴿تنبيه﴾ أنس وابن عباس رضى الله عنهما لم يحضرا الانشقاق ، لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين ، وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد وأما أنس فكان ابن أربع أو خمس بالمدينة ، وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك ، كذا فى المواهب .

(٢٥١) حديث ﴿وتسبيح الحصى﴾ قال العراقى أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر وقال صالح : ابن أبى الأخضر ليس بالحافظ ، والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر . اهـ .

قال مرتضى : عبارة البيهقى فى الدلائل : كذا رواه صالح بن أبى الأخضر ، ولم يكن بالحافظ عن =

. . . .

= الزهرى عن سويد بن يزيد السلمى عن أبى ذر ، والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبى حمزة عن الزهرى قال وذكر الوليد ابن سويد أن رجلا من بنى سليم كبير السن ا هـ . وهكذا أخرجه محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات قال أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن أبى حمزة عن الزهرى ، قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بنى سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبى ذر قال : هجرت يوماً من الأيام فإذا النبى ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرنى أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس ، وكأنى أرى حينئذ أنه فى وهن فسلمت عليه فرد علىّ السلام ثم قال : ما جاء بك؟ قلت الله ورسوله أعلم فأمرنى أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شىء إلا ويذكره لى فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشى مسرعاً فسلم فرد عليه السلام ، ثم قال ما جاء بك ؟ قال : جاء بى الله ورسوله ، فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبى ﷺ ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك وجلس إلى جنب أبى بكر ، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع ، أو ما قرب من ذلك فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فى كف رسول الله ﷺ ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبحن فى كفه ، ثم أخذهن منه فوضعهن فى الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه ، ثم أخذهن منه فوضعهن فى الأرض فخرسن اهـ . وقال الحافظ ابن حجر اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى فى كفه ﷺ أخرجه البزار والطبرانى فى الأوسط وفى رواية الطبرانى فسمع تسبيحهن من فى الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا ، ثم ساق كلام البيهقى الذى أوردناه بتمامه ، ثم قال : وليس لهذا الحديث إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها ، لكنه مشهور عند الناس .

﴿ فصل ﴾ وأما تسبيح الطعام فقد أخرج البخارى من حديث ابن مسعود ، قال : كنا نأكل مع النبى ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام ، وفى الشفاء عن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبى ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبى ﷺ فسبح وأقره الحافظ ابن حجر فى الفتح ، فلو قال المصنف الطعام بدل الحصى لكونه ثابتاً فى الصحيح بخلاف حديث الحصى كان أحسن ، ولذا أسقطه فى المسايرة وإنما ذكر تسبيح الطعام ، وكأن المصنف راعى ما هو المشهور على الألسنة .

﴿ تنبيه ﴾ قال صاحب المواهب : اعلم أن التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون فى غير من قام به مجازا ، فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة ، وهذا من قبيل خرق العادة ، وفى قوله : ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه ، وذلك ببركته ﷺ .

• [٢٥٢] ﴿ وإنطاق العجماء ﴾ وما تفجر من بين أصابعه من الماء ، ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب : القرآن العظيم فإنهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبه ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ، ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن ، إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أمياً غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال ، كقوله تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين » ، وكقوله تعالى : « ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » ، ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى فمهما كان مقروناً بتحدي النبي ﷺ ينزل منزلة قوله « صدقت » ، وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم ، فإنه مهما قال للملك : إن كنت صادقاً فقم على سريرك ثلاثاً واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت .

---

(٢٥٢) حديث ﴿ إنطاق العجماء ﴾ كذا في سائر نسخ الكتاب ، وفي لمع الأدلة لشيخه إمام الحرمين « ونطق العجماء » ، والنطق إبراز الكلام بالصوت وأنطقه جعله ناطقاً ، وللمصنف في كتاب المعارف الإلهية تحقيق في النطق غريب أعرضنا عن إيراده هنا لعدم مناسبته وغاية ما يحتاج هنا معرفة معنى النطق لغة والإنطاق ، وقد ذكرناهما والعجماء تأنيث الأعجم من العجمة بالضم ، وهي اللكنة في اللسان وعدم الإفصاح ، والمراد هنا الحيوانات ومنه الحديث « العجماء جبار » قال العراقي : وأخرج أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكا إلى النبي ﷺ أهله ، وقد ورد في كلام الضب والظبية والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل . اهـ .

قال مرتضى : وسياق حديث يعلى بن مرة الثقفي على ما أورده البغوي في شرح السنة هكذا : بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مر بنا بعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي ﷺ فقال : أين صاحب البعير ؟ فجاءه فقال : بعنيه فقال : بلى ، نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال : أما ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه ، وروى الإمام أحمد قصة أخرى بنحو ما تقدم من حديثه وسنده ضعيف ، وأخرج ابن شاهين في الدلائل عن عبد الله بن جعفر ، قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حن فذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفرانه فسكن ، ثم قال : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار ، فقال : هذا لي يا رسول الله ، فقال : ألا تتق الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه وهو حديث صحيح ، ورواه أبو داود عن موسى بن إسمعيل عن مهدي بن ميمون وروى أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه كان =

. . . .

= أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسنى عليه ، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا ، فقاموا ، فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وإنا نخاف عليك صولته ، فقال رسول الله ﷺ ليس علىّ منه بأس ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل فقال له أصحابه يارسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال ﷺ : لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »
وأما كلام الضب لحديثه مشهور ، رواه البيهقى من طرق كثيرة وهو غريب ضعيف ، قال المزنى لا يصح إسناداً ولا متناً وذكره القاضى عياض فى الشفاء ، وقد روى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضباً جعله فى كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال من هذا ؟ قالوا نبى الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسـول الله ﷺ فقال النبى ﷺ يا ضب فأجابه بلسان يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال : من تعبد ؟ قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه ، قال فمن أنا ؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك ، فأسلم الأعرابى . الحديث بطوله وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع لكن معجزاته ﷺ فيها ما هو أبلغ من هـذا وليس فيه ما ينكر شرعاً خصوصاً وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع وأما حديث الظبية فأخرجه البيهقى من طرق وضعفه جماعة من الأئمة وذكره عياض فى الشفاء ورواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة الحديث بطوله وفيه قالت : يا رسول الله صادنى هذا الأعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع إلخ رواه الطبرانى بنحوه والمنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة وقال الحافظ بن كثير إنه لا أصل له وقال الحافظ السخاوى لكنه ورد فى الجملة عدة أحاديث يقوى بعضها بعضاً أوردها الحافظ ابن حجر فى المجلس الحادى والستين من تخريج أحاديث المختصر ، وأما قصة تكليم الذئب وشهادته فرويت من عدة طرق أخرجه أحمد من حديث أبى سعيد بإسناد جيد وأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقى من حديث ابن عمر وأبو نعيم فى الدلائل من حديث أنس وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح والبغوى فى شرح السنة وسعيد بن منصور فى سننه من حديث أبى هريرة ، وألفاظ الكل مختلفة ورواه عياض فى الشفاء وهى قصة أخرى ، ويلحق بذلك سجود الغنم له ﷺ وأخرجه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى دلائل النبوة بإسناد ضعيف وهو فى الشفاء .

﴿الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه ، ومداره على عشرة أصول﴾

﴿الأصل الأول﴾ • [٢٥٣] ﴿الحشر والنشر﴾ وقد ورد بهما الشرع وهو حق ، والتصديق بهما واجب لأنه فى العقل ممكن ومعناه الإعادة بعد الإفناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الإنشاء قال الله تعالى : « قال من يحي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » فاستدل بالابتداء على الإعادة وقال عز وجل : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » والإعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالابتداء الأول .

﴿الأصل الثانى﴾ • [٢٥٤] ﴿سؤال منكر ونكير﴾ وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذى به فهم الخطاب ، وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فإن النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه • وقد كان رسول الله ﷺ [٢٥٥] ﴿يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه﴾ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، فإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

---

(٢٥٣) حديث ﴿الحشر والنشر﴾ هو إحياء الخلق بعد موتهم وسوقهم إلى موقف الحساب ثم إلى الجنة أو النار (وقد ورد بهما الشرع) يشير إلى ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس أنكم محشورون إلى الله ، الحديث . ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، الحديث ، ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة الحديث . ومن حديث أبى هريرة يحشر الناس على ثلاثة طرائق ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبى ﷺ افتنا فى بيت المقدس ؟ قال أرض المحشر والمنشر الحديث وإسناده جيد .

(٢٥٤) حديث ﴿سؤال منكر ونكير﴾ وهما كما تقدم شخصان أسودان أزرقان مهيبان هائلان شعورهما إلى أقدامهما ، كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف بأيديهما مقامع من حديد ، قال الإمام أبو منصور البغدادى : إنما سمى الملك منكراً لأن الكافر ينكره إذا رآه ، وسمى الآخر نكيراً لأنه هو الذى ينكر على الكافر فعله وقد أنكرهما الكعبى من المعتزلة وهو مردود عليه .

(٢٥٥) حديث ﴿وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه﴾ وقد أخرج البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ يوماً : يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ترى مالا أرى . قال العراقى وهذا هو الأغلب ، وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبدالله وكعب بن مالك وغيرهم اهـ =

﴿ الأصل الثالث ﴾ . [٢٥٦] ﴿ عذاب القبر ﴾ وقد ورد الشرع به قال الله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها .

﴿ الأصل الرابع ﴾ الميزان وهو حق ، قال الله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » وقال تعالى : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه » الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب .

﴿ الأصل الخامس ﴾ الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحدّ من السيف ، قال الله تعالى : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون » وهذا ممكن فيجب التصديق به ، فإن القادر على أن يُطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط .

﴿ الأصل السادس ﴾ أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت المتقين » ، فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ، ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »

= وهذا الذى ذكره من سماع السؤال ورد الجواب رأى لم يشاهد ، وإنما قلنا به لأن الإدراك والإسماع بخلق الله تعالى ، وقد قال الله تعالى — ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء .

(٢٥٦) حديث ﴿ الاستعاذة من عذاب القبر ﴾ أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما ولها أيضاً من حديث عائشة رفعته أنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم وعند مسلم إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ، ثم أقبل النبى ﷺ بوجهه علينا فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر ، وأما استعاذة السلف الصالح منه فكثير على اختلاف طبقاتهم ، من راجع الحلية ظفر بمجموع المقصود ، وكذلك ورد فى نعيم القبر من الكتاب والسنة ما يصحح ثبوته ومن نعيمه توسيعه وفتح طاق فيه من الجنة ووضع قنديل فيه وامتلاؤه بالروح والريحان وجعله روضة من رياض الجنة ؛ وكل هذا من العذاب والنعيم محمول على الحقيقة عند العلماء .

﴿ الأصل السابع ﴾ أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ، ولم يكن نص رسول الله ﷺ على إمام أصلا ، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ، ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة ، وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله ﷺ وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجزىء على اختراعه إلا الروافض ، واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وماجرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الإمامة إذ ظن على رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرّض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء : كل مجتهد مصيب ، وقال قائلون المصيب واحد ، ولم يذهب إلى تخطئة علىّ ذو تحصيل أصلاً .

﴿ الأصل الثامن ﴾ أن فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة إذ حقيقة الفضل ماهو فضل عند الله عز وجل ، وذلك لايطلع عليه إلا رسول الله ﷺ * [٢٥٧] وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة ، وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عن الحق صارف .

﴿ الأصل التاسع ﴾ أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة ، والورع والعلم والكفاية ، ونسبة قريش * لقوله ﷺ [٢٥٨] ﴿ الأئمة من قريش ﴾ وإذا اجتمع عدد

---

(٢٥٧) حديث ﴿ الثناء على الصحابة ﴾ وردت فيه أخبار صحيحة وقد تقدم .

(٢٥٨) حديث ﴿ الأئمة من قريش ﴾ قال العراقى أخرجه النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث أنس والحاكم من حديث على وصححه اهـ .

قال مرتضى : وكذا أخرجه البخارى فى التاريخ وأبو يعلى كلهم من طريق بكير الجزرى عن أنس وأخرجه الطيالسى والبزار والبخارى فى التاريخ من طريق سعد بن إبراهيم عن أنس وفيه زيادة «ما إذا حكموا فعدلوا» وأخرجه أحمد من حديث أبى هريرة وأبى بكر الصديق رضى الله عنهم بهذا اللفظ من غير زيادة ورجاله رجال الصحيح ، لكن فى سنده انقطاع وأخرجه الطبرانى والحاكم من حديث على وعند الطبرانى =

من الموصوفين بهذه الصفات فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق .

﴿ الأصل العاشر ﴾ أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنا بين أن نحرك فتنة الاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفاً بمزاياها كالذى يبنى قصراً ويهدم مصراً وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الأقضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة .

فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هى قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقاً لأهل السنة ومبايناً لرهط البدعة فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

= أيضاً من حديث على ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا ثلاثاً الحديث ، وعنده أيضاً من رواية قتادة عن أنس بلفظ أن الملك فى قريش الحديث وأخرج يعقوب ابن سفيان وأبو يعلى والطبرانى من طريق سكين بن عبد العزيز حدثنا سيار بن سلامة أبو المنهال قال دخلت مع أبى على أبى برزة الأسلمى فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأمراء من قريش الحديث ، وأخرج البخارى فى الصحيح من حديث ابن عمر رفعه لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان ، وعند مسلم ما بقى من الناس اثنان وفى رواية الإسماعيلى ما بقى فى الناس اثنان ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ، وأخرج البيهقى من حديث جبير بن مطعم رفعه قدموا قريشا ولا تقدموها ، وعند الطبرانى من حديث عبد الله بن حنطب ، ومن حديث عبد الله بن السائب مثله ، وفى نسخة أبى اليمانى عن شعيب عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة مرسلا إنه بلغه مثله ، وأخرجه الشافعى من وجه آخر عن ابن شهاب أنه بلغه مثله ، وفى الباب حديث أبى هريرة رفعه : الناس تبع لقريش فى هذا الشأن ، أخرجه البخارى من رواية المغيرة بن عبد الرحمن ومسلم من رواية سفيان بن عيينة كلاهما عن الأعرج عن أبى هريرة وأخرجه مسلم أيضاً من رواية همام عن أبى هريرة ولأحمد من رواية أبى سلمة عن أبى هريرة مثله لكن قال فى هذا الأمر ، قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى عند قوله : إن هذا الأمر فى قريش ما نصه : قال ابن المنير وجه الدلالة من الحديث ليس من جهة تخصيص قريش بالذكر فإنه يكون مفهوم نعت ، ولا حجة فيه عند المحققين وإنما الحجة وقوع المبتدأ معرفا باللام الجنسية لأن المبتدأ بالحقيقة ههنا هو الأمر الواقع صفة لهذا ، وهذا لا يوصف إلا بالجنس فمقتضاه حصر جنس الأمر فى قريش فيصير كأنه قال لا أمر إلا فى قريش ، وهو كقوله : « الشفعة فيما لم يقسم » والحديث وإن كان بلفظ الخبر فهو بمعنى الأمر =

﴿ الفصل الرابع من قواعد العقائد ﴾

فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه ، وفيه ثلاث مسائل :

﴿مسئلة﴾ اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره ، وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه : أو مرتبط به يلازمه ، فقيل إنهما شيء واحد ، وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان ، وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب المكى فى هذا كلاماً شديد

= كأنه قال : ائتموا بقريش خاصة وبقية طرق الحديث تؤيد ذلك ، ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على إفادة المفهوم للحصر خلافاً لمن أنكر ذلك ، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشيا ، وقيد ذلك طوائف ببعض قريش فقالت طائفة : لا يجوز إلا من ولد على ، وهذا قول الشيعة ، ثم اختلفوا اختلافا شديداً فى بعض تعيين ذرية على وقالت طائفة تختص بولد العباس وهو قول أبى مسلم الخراسانى وأتباعه ، ونقل ابن حزم أن طائفة قالت : لا تجوز إلا فى ولد جعفر ابن أبى طالب ، وقالت أخرى : فى ولد عبد المطلب وعن بعضهم لا تجوز إلا فى بنى أمية ، وعن بعضهم إلا فى ولد عمر قال : ولا حجة لأحد من هؤلاء الفرق اهـ . وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة يجوز أن يكون الإمام غير قرشى ، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسنة سواء كان عربياً أو عجمياً ، وبالغ ضرار بن عمرو فقال : تولية غير القرشى أولى لأنه يكون أقل عشيرة ، فإذا عصى كان أمكن لخلعه ، وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت الحديث : الأئمة من قريش وعمل المسلمون به قرنا بعد قرن ، وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الإختلاف ، قال الحافظ : قد عمل بقول ضرار من قبل أن يوجد من قام بالخلافة من الخوارج على بنى أمية كقطرى ، ودامت فتنتهم حتى أبادهم المهلب فى أكثر من عشرين سنة ، وكذا تسمى بأمير المؤمنين من غير الخوارج ممن قام على الحجاج كابن الأشعث ثم تسمى بالخلافة من قام فى قطر من الأقطار فى وقت ما وليس من قريش كبنى عباد وغيرهم بالأندلس ، وكعبد المؤمن وذريته ببلاد المغرب كلها ، وهؤلاء ضاهوا الخوارج فى هذا ولم يقولوا بأقوالهم ، ولا تمذهبوا بآرائهم بل كانوا من أهل السنة داعين إليها ، وقال عياض : إشتراط كون الإمام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدّوها فى مسائل الإجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف ، وكذلك من بعدهم فى جميع الأمصار ، قال ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين . قال الحافظ : ويحتاج فى نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر فى ذلك ، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة حى استخلفته فذكر الحديث وفيه إن أدركنى أجلى وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل الحديث ، ومعاذ أنصارى لا نسب له فى قريش ، فيحتمل أن يقال : لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة =

الاضطراب كثير التطويل ، فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول فى هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث عن المراد بهما فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لغوى ، والثانى تفسيرى ، والثالث فقهى شرعى .

﴿البحث الأول﴾ فى موجب اللغة : والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى : « وما أنت بمؤمن لنا » أى بمصدق ، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه ، وأما التسليم فإنه عام فى القلب واللسان والجوارح ، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم ، وترك الإباء والجحود ، وكذلك الاعتراف باللسان ، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص ، فكأن الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام ، فإذن كل تصديق تسليم ، وليس كل تسليم تصديقا .

﴿ البحث الثانى ﴾ عن إطلاق الشرع : والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد ، وورد على سبيل الاختلاف ، وورد على سبيل التداخل ، أما الترادف ففى قوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » ، ولم يكن باتفاق إلا بيت واحد ، وقال تعالى : « يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » وقال صلى الله عليه وسلم : [٢٥٩] ﴿ بنى الإسلام على خمس ﴾ .

= قرشياً أو تغير اجتهاد عمر فى ذلك ، والله أعلم ا هـ . واستدل بحديث ابن عمر على عدم وقوع ما فرضه الفقهاء من الشافعية وغيرهم ، أنه إذا لم يوجد قرشى يستخلف كنانى ، فإن لم يوجد فمن بنى إسمعيل ، فإن لم يوجد منهم أحد مستجمع الشرائط (فعجمى) وفى وجه جرهمى وإلا فمن ولد إسحق ، قالوا : وإنما فرض الفقهاء ذلك على عادتهم فى ذكر ما يمكن أن يقع عقلا ، وإن كان لا يقع عادة أو شرعا . قال الحافظ : والذى حمل قائل هذا القول عليه أنه فهم منه الخبر المحض ، وخبر الصادق لا يتخلف ، وأما من حمله على الأمر فلا يحتاج إلى هذا التأويل ، والله أعلم .

(٢٥٩) حديث ﴿ بنى الإسلام على خمس ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان ، قال العراقى : أخرجاه من حديث ابن عمر ا هـ .
قال مرتضى : أخرجاه فى كتاب الإيمان والبخارى وحده فى التفسير أيضاً من طريق عكرمة بن خالد عن ابن عمر ، وفى القوت رواه جرير بن عبد الله عن سالم بن الجعد عن عطية مولى ابن عامر عن زميل ابن بشير قال : أتيت ابن عمر فجاءه رجل فقال يا عبد الله مالك تحج وتعتمر وقد تركت الغزو فقال : =

* [٢٦٠] ﴿ وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ﴾ وأما الاختلاف فقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ومعناه استسلمنا فى الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح . [٢٦١] * ﴿ وفى حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره ، فقال : فما الإسلام ؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس ﴾ فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر

= ويلك إن الإيمان بنى على خمس : تعبدالله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، كذلك حدثنا رسول الله ﷺ قلت : وليس فيه ذكر الشهادتين فإما أنه اختصار من الراوى أو تركها اعتماداً على الشهرة ، فتأمل .

(٢٦٠) حديث ﴿ وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ﴾ المراد بالخمس المذكورة ما تقدم فى الحديث قبله الشهادتان والصلاة والزكاة والحج والصوم قال العراق أخرجه أحمد والبيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس تدرون ما الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث فى الصحيحين ، لكن ليس فيه ذكر الحج ، وزاد وأن تؤدوا خمساً من المغنم اهـ .

قال مرتضى أخرجه البخارى فى عشرة مواضع من كتابه فى الإيمان وفى خبر الواحد وفى كتاب العلم وفى الصلاة وفى الزكاة وفى الخمس وفى مناقب قريش وفى المغازى وفى الأدب وفى التوحيد ، وأخرجه مسلم فى الإيمان وفى الأشربة وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح أى قال صحيح والنسائى فى العلم وفى الإيمان وفى الصلاة ، وإنما لم يذكر الحج فى هذه القصة اقتصاراً لهم على ما يمكنهم فعله فى الحال أو لكونه لم يكن لهم سبيل إليه من أجل كفار مضر ، أو لكونه على التراخى ، أو لكونه لم يفرض إلا فى سنة تسع ووفادتهم فى سنة ثمان ، قاله عياض ، والأرجح أنه فرض سنة ست أو أخبرهم ببعض الأوامر :أقوال ، على أن زيادة الحج موجودة فى صحيح أبى عوانة ، وفى السنن الكبرى للبيهقى ، وفى كتاب القوت ، وعلى هذا أخبر رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام بوصف واحد فقال فى حديث ابن عمر بنى الإسلام على خمس الحديث ، وقال فى حديث ابن عباس حين وفد عبد القيس لما سألوه عن الإيمان فذكر هذه الأوصاف فدل بذلك أنه لا إيمان باطن إلا بإسلام ظاهر ولا إسلام علانية إلا بإيمان سريرة ، وأن الإيمان والعمل قرينان ، إلى آخر ما قاله .

(٢٦١) حديث ﴿ حديث جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت ﴾ قال العراق أخرجاه من حديث أبى هريرة دون ذكر الحج ، ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب ورواه البيهقى فى البعث اهـ . =

بالقول والعمل * وفى الحديث عن سعد أنه ﷺ [٢٦٢] ﴿أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد : يارسول الله تركت فلاناً لم تعطه وهو مؤمن؟فقال ﷺ : أو مسلم،فأعاد عليه فأعاد

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى الإيمان وفى التفسير وفى الزكاة مختصراً ومسلم فى الإيمان وابن ماجه فى السنة بتمامه وفى الفتن ببعضه وأبو داود فى السنة والنسائى فى الإيمان ، وكذا الترمذى وأحمد والبزار بإسناد حسن وأبو عوانة فى صحيحه وأخرجه مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب ولم يخرجه البخارى من طريقه لاختلاف فيه على بعض رواته ، أوضحت ذلك فى كتاب «الجواهر المنيفة فى بيان أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة » فراجعه إن شئت ثم إن البخارى أورده فى كتاب الإيمان من طريق أبى حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة بلفظ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وأن تؤمن بالبعث ، قال ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان الحديث وليس فيه ذكر الحج أفاد هو ، لا من الراوى بدليل مجيئه فى رواية كهمس وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا وقيل لأنه لم يكن فرض وهو مدفوع كما تقدم ، ولم يذكر الصوم فى رواية عطاء الخراسانى واقتصر فى حديث أبى عامر على الصلاة والزكاة ولم يزد فى حديث ابن عباس على الشهادتين ، وزاد سليمان التيمى بعد ذكر الجميع : الحج والاعتمار والاغتسال من الجنابة وإتمام الوضوء .

﴿ تنبيه ﴾ وجه الدلالة من الحديث التفريق بين الإيمان والإسلام ، فجعل الإيمان عمل القلب والإسلام عمل الجوارح ، فالإيمان لغة التصديق مطلقاً ، وفى الشرع التصديق والنطق معاً فأحدهما ليس بإيمان فتفسيره فى الحديث الإيمان بالتصديق والإسلام بالعمل يدل على اختلافهما .

(٢٦٢) حديث ﴿ حديث سعد أنه ﷺ أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلاناً لم تعطه وهو مؤمن فقال ﷺ أو مسلم ، فرد عليه فأعاده رسول الله ﷺ ﴾ هكذا أورده صاحب القوت ، وقال العراقى أخرجاه بنحوه اهـ .

قال مرتضى : أخرجاه فى الإيمان والزكاة من طريق شعيب عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه وأخرجه عبد الرحمن بن عمر فى كتاب الإيمان من طريق يونس عن الزهرى ليس فيه إعادة السؤال ولا الجواب عنه وأخرجه أحمد والحميدى فى مسنديهما عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى وعند البخارى فى كتاب الزكاة من طريق صالح عن الزهرى ولفظه فى كتاب الإيمان أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس ، فترك رجلا هو أعجبهم إلى فقلت يا رسول الله مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمناً فقال أو مسلماً فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى فقلت مالك عن فلان فوالله إنى لأراه مؤمناً ، فقال: أو مسلماً ، فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى وعاد رسول الله ﷺ ثم قال : يا سعد إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله فى النار .

رسول الله ﷺ ﴾ ، وأما التداخل فما روى أيضاً * [٢٦٣] ﴿ أنه سئل فقيل أى الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ : الإسلام فقال أى الإسلام أفضل ؟ فقال ﷺ الإيمان ﴾ وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها ، والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان ، وإما بالجوارح ، وأفضلها الذى بالقلب ، وهو التصديق الذى يسمى إيماناً والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز فى اللغة ، أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهراً وهو أيضاً موافق للغة ؛ فإن التسليم ببعض محالّ التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الإسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامساً وإن لم يستغرق جميع بدنه فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان ، وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » وقوله ﷺ فى حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين ، وأما التداخل فوافق أيضاً للغة فى خصوص الإيمان وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً والإيمان عبارة عن بعض ما دخل فى الإسلام وهو التصديق بالقلب ، وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان فى جواب قول السائل أى الإسلام أفضل ؟ لأنه جعل الإيمان خصوصاً من الإسلام فأدخله فيه ، وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعاً فإن كل ذلك تسليم ، وكذا الإيمان ويكون التصرف فى الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر فى معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته ، وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفاً لاسم الإسلام ومطابقاً له فلا يزيد عليه ولا ينقص ، وعليه خرج قوله « فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » .

---

(٢٦٣) حديث ﴿ سئل أى الأعمال أفضل فقال ﷺ الإسلام ، فقال : أى الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ الإيمان ﴾ هكذا أورده صاحب القوت ، وقال العراقى أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير ، قال رجل : يا رسول الله أى الإسلام أفضل ؟ قال الإيمان ، الحديث وإسناده صحيح ، لكنه منقطع اهـ . ووجدت فى حاشية كتاب المغنى ما نصه : علقه البخارى ووصله الحاكم فى الأربعين .

﴿ البحث الثالث ﴾ عن الحكم الشرعى للإسلام والإيمان : حكمان أخروى ودنيوى ٭ أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله ﷺ [١٦٤] ﴿ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ما ذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو ؟ فمن قائل إنه مجرد العقد ، ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ، ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ، ونحن نكشف عنه الغطاء ونقول : من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف فى أن مستقره الجنة وهذه درجة ٭ والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ، ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ؛ فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل فى الكفر بل سمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما سنذكره ٭ الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح ، وقد اختلفوا فى حكمه ؛ فقال أبو طالب المكى : العمل بالجوارح من الإيمان ، ولا يتم دونه وادعى الإجماع فيه ، واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان ، وإلا فيكون العمل فى حكم المعاد ، والعجب أنه ادعى الإجماع

= قال مرتضى : والذى فى الصحيح من حديث عبد الله بن عمر : سأل رجل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، ومن حديث أبى هريرة سئل رسول الله ﷺ : أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله الحديث ، وأخرجه أيضاً مسلم والنسائى والترمذى بألفاظ .

(٢٦٤) حديث ﴿ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ قال العراقى : أخرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى فى الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ولهما من حديث : فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، لفظ البخارى فيهما وله تعليقاً من حديث أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ : خير مكان إيمان .

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان من طريق هشام الدستوائى عن قتادة ، عن أنس بلفظ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير ، ثم قال : قال أبان : حدثنا قتادة عن أنس رفعه « من إيمان » مكان « خير » ، وهذا التعليق قد وصله الحاكم فى كتاب الأربعين « له » من طريق موسى بن إسمعيل قال : حدثنا أبان وأخرجه البخارى أيضاً فى التوحيد ومسلم فى الإيمان والترمذى فى صفة جهنم ، وقال حسن صحيح .

فى هذا . وهو مع ذلك ينقل قوله ﷺ [٢٦٥] « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقرّ به » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر ، والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدّق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقى حياً حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد فى النار ، فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة ، وإن قال لا ، فهو تصريح بأن العمل ليس ركناً من نفس الإيمان ولا شرطاً فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به ، وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ، ولا يقدم على الشىء من الأعمال الشرعية ، فنقول : فما ضبط تلك المدة ، وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الإيمان ، وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الايمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ، ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان ، أو يشتغل بالأعمال ومات ، فهل يقول مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى ، وهذا مما اختلف فيه ، ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول : هذا مات قبل الإيمان ، وهو فاسد إذ قال ﷺ : يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، وهذا قلبه طافح بالإيمان ، فكيف يخلد فى النار ، ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام الإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة : أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ، ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ، ونقول : هو مؤمن غير مخلد فى النار ، والإيمان هو التصديق المحض ، واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان ، وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ، ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال ﷺ : يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة ، ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب ، وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب ، بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام ، والأول أظهر ،

---

(٢٦٥) حديث « لا يكفر أحد إلا بجحوده بما أقر به » ونص القوت إلا بجحود ما أقر به ، وفى بعض نسخ الإحياء إلا بعد جحوده لما أقر به ، قال العراق : أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد بلفظ ولن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحوده ما دخل فيه ، وإسناده ضعيف اهـ .

قال مرتضى : وهكذا هو فى الجامع الكبير للسيوطى ، والجحد والجحود يقال فيما ينكر باللسان ، لا بالقلب .

وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم ه الدرجة السادسة : أن يقول بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك فى أن هذا فى حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد فى النار ، ولا نشك فى أنه فى حكم الدنيا الذى يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين ، لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه فى قلبه ، وإنما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ، ثم يستفتى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت ، والميراث الآن فى يدى فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى، أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح ، هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً ، ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر فى حق غيره ، لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله تعالى ، والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ، ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وإن كان من العبادات والتوقى عن الحرام أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله ﷺ : « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مناقضاً لقولنا إن الإرث حكم الإسلام وهو الاستسلام ، بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع ، فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم فى العلوم ه فإن قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة ، وما حجة بطلان قولهم ، فأقول شبهتهم عمومات القرآن ، أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل : « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً » ولقوله عز وجل : « والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون » الآية ، ولقوله تعالى « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها » إلى قوله : « فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء » فقوله كلما ألقى فيها فوج عام فينبغى أن يكون كل من ألقى فى النار مكذباً ، ولقوله تعالى : « لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى » وهذا حصر وإثبات ونفى ولقوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون » فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى : « والله يحب المحسنين » وقال تعالى : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ولا حجة لهم فى ذلك فإنه حيث ذكر الإيمان فى هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل، ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير

العقاب وقوله ﷺ « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ، ومن القرآن قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها » ، وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى : « ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم » ، وقال تعالى : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار » فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة * [٢٦٦] ﴿ بأن العصاة يعذبون ﴾ بل قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها » كالصريح فى أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى : « لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى » « أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصاً معيناً أيضاً ، وقوله تعالى : « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها » ، أى فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ، ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم ، وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها * وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقوله تعالى : « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وقوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » ثم قال : « ثم ننجى الذين اتقوا » ، وقوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم » وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان ، وقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالد فيها » ، وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى : « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ما سوى الشرك ، وكذلك قوله عليه السلام : (يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان) ، وقوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ، وقوله تعالى : « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » فكيف يضيع أجر أهل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة ، وقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » أى لإيمانه ، وقد ورد على مثل هذا السبب * فإن قلت فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل ، وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل ، فما معناه ؟ قلنا : لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم ، كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ،

---

(٢٦٦) حديث ﴿ العصاة يعذبون على قدر ذنوبهم ﴾ منها ما أخرجه البخارى فى الصحيح من حديث أنس رفعه « ليصيبن أقواما سفع بذنوب أصابوها » . ويأتى للمصنف ذكر عدة أحاديث فى تعذيب العصاة فى آخر الكتاب عند ذكر الموت ، نتكلم عليها إن شاء الله تعالى .

ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس ، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد ، وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة ، وإن كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض ، ٭ وقد قال ﷺ [٢٦٧] ﴿ لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ﴾ والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الإيمان بالزنا ، ولكن معناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف : هذا ليس بإنسان ، أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الإنسانية .

﴿ مسئلة ﴾ فان قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان ٭ فأقول : السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق ، وإنما الشأن فى فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به ، والزائد موجود والناقص موجود ، والشيء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه ، بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ، ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود ، بل تزيد بالآداب والسنن ، فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ، ثم بعد الوجود يختلف حالة بالزيادة والنقصان ٭ فإن قلت فالإشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ٭ فأقول إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال فنقول الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه ٭ الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر ، وهو إيمان العوام ، بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص ، وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا ، ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ، ولا بتخييل

---

(٢٦٧) حديث ﴿ لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ﴾ قال العراقى : متفق عليه من حديث أبى هريرة .

قال مرتضى : وفيه زيادة عندهما وهى « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » وهكذا رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

ووعظ ، ولا تحقيق وبرهان ، وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ، ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك فى عقده كالأول ، ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم ، وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضاً ، والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ، ولذلك قال تعالى : « فزادتهم إيماناً » ، وقال تعالى : « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » ، وقال ﷺ فيما يروى فى بعض الأخبار : [٢٦٨] ﴿ الإيمان يزيد وينقص ﴾ وذلك بتأثير الطاعات فى القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الإيمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك ، بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل ، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة ، وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر ، والأعمال بالعقائد والقلوب ؛ فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت ، وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة ، والقلب من عالم الملكوت ، والأعضاء وأعمالها من عالم

---

(٢٦٨) حديث ﴿ الإيمان يزيد وينقص ﴾ قال العراقى : أخرجه ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ، وقال ابن عدى باطل : فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحمى يتعمد الكذب ، وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء .

قال مرتضى : ونص القوت : وروينا فى حديث واثلة بن الأسقع : الإيمان يزيد وينقص ، وروى ذلك عن جماعة من الصحابة لا تحصى كثرتهم اﻫ . وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة معروف ابن عبد الله الخياط الدمشقى قال : حدثنا واثلة بلفظ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يكون قولا بلا عمل ، ثم قال : هو منكر والحمل فيه على معروف اﻫ . وأخرجه أبو نعيم فى ترجمة الشافعى فى الحلية وهو عند الحاكم بلفظ ابن عدى الذى سقناه فالذى تحصل لنا من هذا أنه رواه أربعة من الصحابة وظاهر سياق القوت يقتضى أنه موقوف على واثلة رضى الله عنهم ، وروى أبو إسحق الثعلبى فى تفسيره من رواية على بن عبد العزيز عن حبيب بن عيسى بن فروخ عن إسمعيل بن عبد الرحمن عن مالك عن نافع عن ابن عمر قلنا : يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا العلم خارج عن علم المعاملة ، ولكن بين العلمين أيضاً اتصال وارتباط ، فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسابق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف ، فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ، ولهذا قال عليّ كرم الله وجهه أن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء ، «فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وأن النفاق ليبدو نكتة سوداء ، فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى : «كلا بل ران على قلوبهم» الآية . الإطلاق الثاني أن يراد به التصديق والعمل جميعاً * كما قال ﷺ : [٢٦٩] ﴿الإيمان بضع وسبعون باباً﴾ وكما قال ﷺ : (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ، وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه ، وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الإطلاق الثالث أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة ، وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ، ولكني أقول

---

(٢٦٩) حديث ﴿الإيمان بضع وسبعون بابا﴾ قال العراقي : وذكر بعد هذا فزاد فيه أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الإيمان بضع وسبعون شعبة ، زاد مسلم في روايته فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها فذكره ، ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخاري في أول صحيحه عن المسندي عن أبي عامر العقدي عن سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان ، ورواه مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح عن عبدالله بن دينار بضع وستون أو بضع وسبعون على الشك ، وعند أبي داود والترمذي والنسائي من طريقه بضع وسبعون من غير شك ورجح البيهقي رواية البخاري بعدم شك سليمان وعورض بوقوع الشك عنه عند أبي عوانة ، ورجح لأنه المتيقن ، وما عداه مشكوك فيه ، وعند ابن عدي في الكامل من رواية ثابت بن محمد عن الثوري عن أبي الزبير عن جابر بلفظ بضع وستون .

الأمر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الإثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث ، وإن كان لا شك فى واحد منهما فإن اليقينيات تختلف فى درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها ، وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة ، وقد ظهر فى جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق ، وكيف لا * [٢٧٠] وفى الأخبار أنه ﴿ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ وفى بعض المواضع فى خبر آخر : « مثقال دينار » فأى معنى لاختلاف مقاديره ، إن كان ما فى القلب لا يتفاوت .

﴿ مسئلة ﴾ فان قلت ما وجه قول السلف « أنا مؤمن إن شاء الله » والاستثناء شك والشك فى الإيمان كفر ، وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثورى رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ، ومن قال أنا مؤمن حقاً فهو بدعة . فكيف يكون كاذباً وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمناً فى نفسه كان مؤمناً عند الله كما أن من كان طويلا وسخياً فى نفسه ، وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسروراً أو حزيناً أو سميعاً أو بصيراً ، ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ، ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول؟ قال : « آمنا بالله وما أنزل إلينا » وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن ، وقيل للحسن أمؤمن أنت ؟ فقال إن شاء الله ، فقيل له لم تستثنى يا أبا سعيد فى الإيمان ؟ فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه وتعالى : كذبت يا حسن فتحق علىّ الكلمة ، وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع علىّ فى بعض ما يكره فمقتنى ، وقال اذهب لا قبلت لك عملا ، فأنا أعمل فى غير معمل ، وقال إبراهيم ابن أدهم : إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل لا إله إلا الله ، وقال مرة : قل أنا لا أشك فى الإيمان وسؤالك إياى بدعة ، وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال أرجو إن شاء الله ، وقال الثورى : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما ندرى ما نحن عند الله تعالى ، فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه : وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الإيمان ولكن فى خاتمته أو كماله . ووجهان لا يستندان إلى الشك .

﴿ الوجه الأول ﴾ الذى لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من

---

(٢٧٠) حديث ﴿ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ وفى بعض المواضع من خبر آخر « مثقال دينار » قال العراقى : متفق عليه من حديث أبى سعيد وقد تقدم الكلام عليه اهـ .

تزكية النفس ، قال الله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم » وقال : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » وقال تعالى : « أنظر كيف يفترون على الله الكذب » وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر ، فيقول : نعم إن شاء الله ، لا فى معرض التشكيك ، ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه ، فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ، ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء .

﴿ الوجه الثانى ﴾ التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال ، وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال تعالى : « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين » وكان الله سبحانه عالماً بأنهم يدخلون لا محالة ، وأنه شاءه ، ولكن المقصود تعليمه ذلك ، فتأدب رسول الله ﷺ فى كل ما كان يخبر عنه معلوماً كان أو مشكوكا . [٢٧١] ﴿ حتى قال ﷺ لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾ واللحوق بهم غير مشكوك فيه ، ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار

---

(٢٧١) حديث ﴿ لما دخل المقابر : السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾ ونص القوت تنكير السلام ، وقال العراقى أخرجه مسلم عن أبى هريرة اهـ .

قال مرتضى روى مالك من حديث أبى هريرة وعائشة وأنس وبريدة بن الحصيب رضى الله عنه . أما حديث أبى هريرة فأخرجه مسلم واللالكائى من طريق مالك واللالكائى وحده من طريق اسمعيل ابن علية كلاهما عن روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عنه بلفظ خرج رسول الله ﷺ إلى المقبرة فسلم على أهلها فقال : (سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) ولفظ الحديث لابن علية ، وأما حديث عائشة فأخرجه مسلم واللالكائى من طريق شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء بن يسار عنها بلفظ أن النبى ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا وإياكم غداً موجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) ، وأما حديث أنس فأخرجه اللالكائى من طريق ابن أحمد الزبيدى عن كثير بن زيد عنه بلفظ أن النبى ﷺ أتى البقيع فقال : (السلام عليكم وإنا بكم لاحقون إن شاء الله أسأل الله ربى أن لا يحرمنا أجركم ولا يفتنا بعدكم) ، =

الرغبة والتمنى فإذا قيل لك : إن فلاناً يموت سريعاً فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة ؛ فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة ، وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر .

﴿ الوجه الثالث ﴾ مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقاً إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم : « أولئك هم المؤمنون حقاً » فانقسموا إلى قسمين ، ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الإيمان لا فى أصله ، وكل إنسان شاك فى كمال إيمانه ، وذلك ليس بكفر ، والشك فى كمال الإيمان حق من وجهين . أحدهما من حيث أن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه . والثانى أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » فيكون الشك فى هذا الصدق ، وكذلك قال الله تعالى : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » فشرط عشرين وصفاً كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى : « أولئك الذين صدقوا » ، وقد قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، وقال تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل » الآية ، وقد قال تعالى : « هم درجات عند الله » . وقال ﷺ [٢٧٢] ﴿ الإيمان عريان

= وأما حديث بريدة بن الحصيب فأخرجه مسلم واللالكائى من طريق سفيان واللالكائى وحده من طريق شعبة كلاهما عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا أتى على المقابر ، وفى حديث سفيان كان النبى ﷺ إذا خرجنا إلى المقابر يقول : (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين) زاد محمد بن بشار عن جرير بن عمارة عن سفيان (أنتم لنا سلف) ثم اتفقوا « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » .

(٢٧٢) حديث ﴿ الإيمان عريان ولباسه التقوى ﴾ الحديث أى إلى آخره وهو قوله « وزينته الحياء وحليته الورع وثمرته العلم » وقد تقدم تخريجه فى كتاب العلم ، قال صاحب القوت ففيه معنى أن من لا تقوى له فلا لبس لإيمانه ومن لا ورع له فلا زينة لإيمانه ومن لا علم له فلا ثمرة لإيمانه ، فإن اتفق فاسق جاهل ظالم ، كان بالمنافقين أشبه منه بالمؤمنين ، وكان إيمانه على النفاق أقرب ويقينه إلى الشك أميل ، ولم يخرجه من اسم الايمان إلا أن إيمانه عريان لا لبس له معطل لا كسب له كما قال : أو كسبت فى إيمانها خيراً ، والنفاق مقامات ، وقد قيل سبعون باباً ، والشرك مثل ذلك ، وهم فيه طبقات .

ولباسه التقوى ﴾ الحديث . وقال ﷺ [٢٧٢] مكرر ﴿ الإيمان بضع وسبعون باباً أدناها إماطة الأذى عن الطريق ﴾ فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال ، وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى . فقوله ﷺ [٢٧٣] ﴿ أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر ﴾ وفى بعض الروايات ، وإذا عاهد غدر . وفى حديث أبى سعيد الخدرى :

---

(٢٧٢) مكرر حديث ﴿ وقال ﷺ الايمان بضع وسبعون باباً أدناها إماطة الأذى عن الطريق ﴾ قد تقدم الكلام على تخريجه قريباً والاختلاف فى قول البخارى ومسلم فى الشك فلفظ مسلم فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وفى رواية أعظمها ، وفى أخرى أعلاها ورواه حماد ابن سلمة عن سهل عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة بلفظ الإيمان بضع وسبعون ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة العظم عن الطريق ، وفى رواية الليث عن ابن عجلان عن عبد الله بن دينار الايمان ستون باباً أو سبعون باباً أو بضع واحد من العددين أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها أن يماط الأذى عن الطريق ، وفى رواية عمارة بن غزية عن أبى صالح الايمان أربع وستون باباً أدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والأذى أعم من أن يكون حجراً أو شوكا أو غصناً بارزاً أو غير ذلك مما يتأذى به الناس واماطته إزالته ورفعه من ذلك الموضع .

(٢٧٣) حديث ﴿ أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر ﴾ هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى : متفق عليه من حديث عبد بن عمرو اﻫ . (وفى بعض الروايات وإذا عاهد غدر) ونص القوت وفى غير بعض هذا الحديث وإذا عاهد غدر فصارت خمساً ، فإن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها .

قال مرتضى : أخرجه البخارى ومسلم فى الايمان وأعاده البخارى فى الجزية ، وأخرجه أصحاب السنن كلهم من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن عبد الله بن عمرو رفعه أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان ، وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ، أى أربع خصال من وجدت فيه كان منافقاً فى هذه الخصال لا فى غيرها أو شديد الشبه بالمنافقين ، ووصفه بالخلوص يؤيد من قال أن المراد بالنفاق العملى لا الإيمانى أو العرفى لا الشرعى لأن الخلوص بهذين المعنيين لا يستلزم الكفر الملقى فى الدرك الأسفل من النار ، وأخرج البخارى فى الإيمان والوصايا والشهادات والأدب ومسلم فى الإيمان والترمذى والنسائى من طريق نافع بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة رفعه « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » .

[٢٧٤] ﴿ القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها ﴾ وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به ، وقال عليه السلام : [٢٧٥] ﴿ أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها ﴾ . وفى حديث [٢٧٦] ﴿ الشرك

---

(٢٧٤) حديث ﴿ القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر ﴾ قال العراقى : أخرجه أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه اهـ .

قال مرتضى : وقال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البحترى عن حذيفة رضى الله عنه قال : القلوب أربعة : قلب أغلف فذلك قلب الكافر ، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق ، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب فيه نفاق وإيمان ، فمثل الايمان فيه كشجرة يمدها ماء طيب ، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم ، فأيهما غلب عليه غلب ، قلت : وبه يظهر تقسيم الأربعة والمصنف تابع سياق القوت ، ولا يلتفت إلى غيره .

(٢٧٥) حديث ﴿ أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها ﴾ ونص القوت منافقى أمتى ، قال العراقى : أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر ، وفيه ابن لهيعة وسيأتى فى آداب تلاوة القرآن اهـ .

قال مرتضى : وجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودى له طريق من غير رواية ابن لهيعة ، ورويناه فى صفة المنافقين للفريابى اهـ . وقرأت فى ذخيرة الحفاظ للحافظ أبى الفضل بن ناصر الذى رتب فيه الكامل لابن عدى ، والكتاب عندى بخطه ما نصه : رواه عبد الله بن لهيعة عن مشرح ابن هاعان عن عقبة بن عامر وابن لهيعة ليس بحجة ، ورواه الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن خالد الخطمى ولا يتابع عليه اهـ . ووجدت بإزائه بخط الحافظ بن حجر لم ينفرد به ابن لهيعة بل تابعه الوليد بن المغيرة مصرى صدوق ، وقال السيوطى فى الجامع الصغير : أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمرو وأحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر عن عصمة بن مالك اهـ .

(٢٧٦) حديث ﴿ الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا ﴾ هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى : أخرجه أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى وسيأتى فى ذم الجاه والرياء اهـ .

قال مرتضى : قال ابن عدى : رواه يحيى بن كثير النضرى عن الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهذا عن الثورى ليس يرويه عنه غير يحيى بن كثير هذا اهـ . وله فى الجامع الصغير بقية ، وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره =

أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا ﴾ ٭ وقال حذيفة رضى الله عنه : [٢٧٧] ﴿ كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقاً إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات ﴾ وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق ، وقال حذيفة « المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى ﷺ فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه » وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله ، وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه ، فقد قيل للحسن البصرى : يقولون أن لا نفاق اليوم ؟ فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق ، وقال هو أو غيره « لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا » ٭ [٢٧٨] ﴿ وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض

= الحديث وسيأتى ذكره قريباً، أخرجه الحكيم الترمذى عن أبى بكر قال المناوى وظاهر صنيعه أنه لم يره مخرجا لأحد من المشاهير ، وإلا لما أبعد النجعة وهو ذهول ، فقد خرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر وأحمد والطبرانى عن أبى موسى قلت : هذا ليس بذهول من الحافظ وإنما مراده بالاقتصار على تخريج الحكيم الترمذى إشارة إلى أنه انفرد بإخراجه هكذا على التمام ، وأما من ذكرهم بعد كأحمد والطبرانى وأبى يعلى فإنهم اقتصروا على الجملة الأولى إلى قوله على الصفا . وفى الجامع الصغير أيضاً الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شىء من الجور أو تبغض على شىء من العدل ، وهل الدين إلا الحب فى الله والبغض فى الله الحديث ، قال أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر والحاكم فى التفسير وأبو نعيم فى الحلية كلهم عن عائشة ، قال المناوى قال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبى بأن فيه عبد الأعلى بن أعين قال الدارقطنى غير ثقة وقال فى الميزان عن العقيلى جاء بأحاديث منكرة ، وساق هذا منها ، وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به والله أعلم .

(٢٧٧) حديث حذيفة رضى الله عنه ﴿ كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقاً إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات ﴾ هكذا أورده صاحب القوت . قال العراقى أخرجه أحمد بإسناد فيه جهالة ا هـ .

قال مرتضى : قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنى الجهنى حدثنا أبو الرقاد وقال خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً وإنى لأسمعها من أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتنكم الله بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم .

(٢٧٨) حديث ﴿ وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضراً أكنت =

للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضراً يسمع أكنت تتكلم فيه ؟ فقال لا ، فقال : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ « من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة » وقال أيضاً ﷺ « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » وقيل للحسن إن قوماً يقولون : إنا لا نخاف النفاق ، فقال والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلىّ من تلاع الأرض ذهباً ، وقال الحسن « إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج » وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه : إنى أخاف أن أكون منافقاً ، فقال : لو كنت منافقاً ما خفت النفاق ، إن المنافق قد أمن من النفاق ، وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة ، وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخافون النفاق ، « وروى أن رسول الله ﷺ [٢٧٩] ﴿ كان جالساً فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه ، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده ، وبين عينيه أثر السجود ، فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه فقال ﷺ أرى على وجهه سفعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبى ﷺ نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟ فقال اللهم نعم ﴾ » وقال ﷺ فى دعائه [٢٨٠] ﴿ اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم ، فقيل له أتخاف يا رسول الله ؟ فقال : وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ﴾

= تتكلم فيه ؟ قال لا قال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ ﴾ ، قال العراقى أخرجه أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه الحجاج ا هـ .

ووجد مرتضى بخط من وجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه هو فى الغيلانيات من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر وفيه ذكر الحجاج ا هـ .

(٢٧٩) حديث ﴿ كان جالساً فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء . . . ﴾ .

قال العراقى أخرجه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس ا هـ . قال مرتضى : وفيه صدق ما تفرس به النبى ﷺ فى الرجل المذكور وبيان لمعجزته حيث أخبر عن شىء لم يصل إليه علم القوم فأطلع الله حبيبه ﷺ على أحواله ، وأن باطنه مخالف لظاهره فإنه قد خطر فى ضميره أنه أفضل القوم وهذا فيه خطر عظيم ومثله كان يعد منافقاً . اللهم سلمنا منه يارب العالمين .

(٢٨٠) حديث ﴿ اللهم إنى أستغفرك لما علمت وما لم أعلم ، فقيل له : أتخاف يا رسول الله فقال : وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ﴾ هكذا أورده صاحب القوت =

وقد قال سبحانه : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » قيل فى التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات ، وقال سرى السقطى لو أن إنساناً دخل بستاناً فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة ، فقال السلام عليك ياولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً فى يديها ، فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى ، وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين ، وقال أبو سليمان الدارانى سمعت من بعض الأمراء شيئاً فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ، ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله ، فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار ، والثانى يفضى بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصدّيقين ، وذلك مشكوك فيه ، ولذلك حسن الاستثناء فيه ، وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب ، وأمور أخر لايخلو عنها إلا الصدّيقون.

﴿ الوجه الرابع ﴾ وهو أيضاً مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدرى أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا ، فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه ، فقال أنا صائم قطعاً ، فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه ، إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التى لا تظهر إلا بظهور المقضى به ولا مطلع عليه لأحد من

= إلا أنه قال : وكان من دعاء رسول الله ﷺ فذكره . وقال العراقى أخرجه مسلم من حديث عائشة : (اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث مرسل وشر ما لم أعلم وآخر الحديث عند مسلم من حديث عبد الله بن عمر . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن عائشة كسياق مسلم : اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم ، وفى القوت وعلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه دعاء قال فيه : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ، وأخرج أحمد وأبو يعلى والحكيم والترمذى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر (الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل) وسأدلك على شىء إن فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ، تقولها ثلاث مرات .

البشر نخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر فى الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، وقيل فى معنى قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » أى بالسابقة يعنى أظهرتها وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من أحد يسلب إيمانه إلا سلبه ، وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك ، وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علىّ الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار ، وقال بعضهم لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بينى وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد » [٢٨١] وفى الحديث ﴿ من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل ﴾ وقيل فى قوله تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا » صدقاً لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى : « ولله عاقبة الأمور » فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجباً لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة ، كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الذمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسئل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه ، فيقال أصمت بالأمس ؟ فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقى هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ، ويكون ذلك شكا فى القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله ، فيحسن الشك فيه ، فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الإيمان وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد .

﴿ تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى ﴾

---

(٢٨١) حديث ﴿ من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل) هكذا هو فى القوت ، وقال العراقى أخرجه الطبرانى فى الأوسط الشطر الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبى سليم والشطر الأول روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الصغير بلفظ «من قال : أنا فى الجنة فهو فى النار» وسنده ضعيف ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث البراء بإسناد ضعيف جداً ورويناه فى مسند الحرث ابن أبى أسامة من رواية قتادة عن عمر بن الخطاب مرفوعا وهو منقطع اه.

قال مرتضى : هكذا نقله الحافظ السخاوى بتمامه فى المقاصد ، إلا أنه قال فى رواية الديلمى عن جابر بدل البراء فلا أدرى هو تصحيف فى نسخة المقاصد أو تغيير منه قصداً فليراجع .

فهرس

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشابورى ـ القاهرة ت ٩٢٠٨٦٨ - ٩١٩٣٧٧

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٥٩ / ١٩٨٢